١١١٠
Harlequin Presents
دار م. التحاس

كبير

1110
HARLEQUIN

الدلال

شارلوت لامب

www.elromancia.com
روايتي مرمورية

الدلال

شارلوت لامب

كانت فاليري نايت تعرف معنى الالتزام بالمبادىء وحيث أنها محررة في قسم الشخصيات البارزة في صحيفة سنتنال، فقد جاهدت كثيراً في سبيل القضية التي كانت نشرتها تؤمن بها، وكانت تعرف ماوراء ذلك من ربح أو خسارة، ولكن ماذا عن الإلتزام في حياتها الخاصة؟ لقد كان جيب كوليفوود، المحرر المالي في الصحيفة، يلاحقها دون هوادة، وكانت هي مفتونة به بشكل واضح، ومع ذلك كانت مصممة على جعله بعيداً عنها.

هل هناك شخص اخر في حياة فاليري؟ شخص لايعرف جيب عنه شيئاً؟ أم تحاول التشبه بصاحبة الصحيفة، جينا تيريل، والتي كان رفضها لرئيس الصحيفة، نيكولاس كاسبيان، لا يجهله أحد؟ أتراها كانت تكره اقاويل الموظفين؟ أم أن فاليري كانت بكل بساطة، تريد ان تتدلل وتعزز نفسها لتكون صعبة المنال.

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

عالم باربري وارف

مؤسسة هارلكان وشارلوت لامب مؤلفة أكثر الكتب مبيعاً يرحبان بكم في عالم باربري وارف.

في هذه الرواية ستتعرف إلى عالم الصحافة المثير والمتألق، سترقب العمل الداخلي في غرفة صياغة الاخبار، وتشارك في معرفة الاسرار التي تناقش خلف الابواب المغلقة وتسافر إلى اكثر المدن اثارة في العالم.

تتعرف إلى نيكولاس كاسبيان وجينا تيريل اللذين تكتشف قصة حبهما خلال هذه السلسلة، كما انك ستتعرف إلى هيزل وبييت، روز ودانيال وايرينا واستيبان ومشاكلهم العاطفية. وأيضاً فاليري وجيب اللذين يجدان ان من الممكن دمج العمل مع التسلية. لا تدع هذه المغامرات الشاعرية تفوتك... والتي هي اكثر الروايات الشاعرية شعبية في العالم.

شارلوت لامب

شارلوت لامب هي إحدى أكثر كتّاب مؤسسة هارلكان شعبية كما أن رواياتها هي أكثر الكتب رواجاً، إن مهنتها غير العادية، وقد صدر لها حتى الآن أكثر من مئة رواية، قد ساهمت في نشر الشاعرية في انحاء العالم.

ولدت في شرق لندن حيث أمضت طفولتها متنقلة بين بيوت اقاربها هرباً من الغارات الجوية اثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد أن عملت سكرتيرة في الإذاعة البريطانية، تزوجت مراسلاً سياسياً يعمل في جريدة التايمس، وهي تقول انها ابتدأت الكتابة بناء على اقتراح منه. «لأنه عمل يمكنني أن أقوم به دون الإضطرار إلى ترك اولادنا الخمسة.» وهي تعيش الآن مع أسرتها في إحدى الجزر البريطانية جزيرة الانسان وهو مكان رائع لمن يكتب القصص الشاعرية مثلها.

عبير ١١١٠

Abir 1110

الدلال

شارلوت لامب

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

بعد الحادية عشرة مباشرة من صباح يوم حار من آواخر شهر آب (اغسطس)، دخلت فاليري نايت إلى مجمع باربري وارف وهي تتمنى لو أمكنها البقاء في السرير، فقد كانت سهرت في الأمس إلى ساعة متأخرة من الليل، وعندما تصاعد صوت المنبه، لم يكن من السهل عليها ان تستيقظ من النوم، ولكنها نجحت في التقاط ما امكنها من أقاويل عليها أن تنشرها في صحيفة الغد قبل أن تسبقها إلى نشرها صحيفة أخرى.

كانت فاليري تحب أن يأخذ الآخرون عنها صورة اللعوب العابثة، يساعدها على ذلك شعر ذهبي وعينان بنفسجيتان رائعتا الجمال، فكانت تتنقل لا تعرف سوى المرح ولا تأخذ شيئاً بشكل جاد، ولكن الحقيقة هي أنها تعمل بجد بالغ كما أنها تتمتع بإرادة قوية، ومهما كان نومها قليلاً، فلا بد ان تستيقظ في الصباح التالي في الوقت المناسب لكي تقوم بعملها، وكان هذا ما جعلها الكاتبة الأولى في الصحيفة عن الشخصيات البارزة.

وعندما كانت تنتظر المصعد بصبر نافد، ألقت نظرة من خلال الباب الزجاجي إلى حدائق بلازا، كان روبرتو توريلي واقفاً عند عتبة مطعمه الصغير، وقد وضع مئزراً أبيض نظيفاً، ومضى يستمتع بدفء الشمس، فياله من رجل محظوظ، وفوق الرؤوس كانت السماء زرقاء صافية، فيا

له من يوم رائع تمضيه حبيسة بين الجدران! ولكن اليوم هو الجمعة، فإذا لم يتغير الجو قبل العطلة الأسبوعية، ربما ستتمكن من الاستمتاع بأشعة الشمس.

في هذه الأثناء كانت مجموعة من الرجال قادمين من بلازا، وما أن تمكنت فاليري من تمييز واحد منهم، حتى اشاحت بوجهها، ولكن بعد فوات الأوان لأن ذلك الرجل كان رآها. فقال ساخراً وهو يتقدم نحوها: «لا تقولي انك وصلت لتوك.»

فقالت وهي تضغط مرة أخرى على زر المصعد: «إذن فلن أقول ذلك.» ولكن يبدو ان المصعد قد التصق بالطوابق العليا، ولكن هذه هي العادة التي تحدث دوماً عندما يكون الشخص في أمس الحاجة إليه.

«يا ليتني اقوم بعملك، انني هنا منذ التاسعة.»

«وأنا بقيت أعمل حتى الساعة الثالثة من هذا الصباح.» اجابته بذلك بحدة وهي تراه يكاد يلتصق بها، ولكنه زاد من اقترابه منها قائلاً: «عطرك هذا أعجبني ما اسمه؟»

«لا اتذكر.» وكان هذا صحيحاً بعد أن أنساها وجوده كل شيء، كالعادة.

«وما الذي كنت تفعلينه حتى الساعة الثالثة صباحاً.»

فقالت وهي تعود إلى ضغط زر المصعد: «كنت في حفلة.»

«مع من؟»

أجفلت لأسئلته المقتضبة فأجابته بحدة: «نصف شارع الصحافة، واستوديوهات فيسيكس أقاموا حفلة كبرى للدعاية لفيلمهم الجديد. «كان نجوم الفن بأجمعهم هناك... كريستا نوردستروم ولي بالمير وبيانكا فالينسي... حتى

انهم عرضوا علينا مقاطع من الفيلم، وكان الطعام كافيار وسلمون مدخن، كانت حفلة رائعة.»

تملكها الارتياح وهي ترى المصعد يصل أخيراً، فسكتت ثم دخلت إليه بسرعة يتبعها جيلبي كولينغوود ولكن بقية مجموعته كانت سئمت من الانتظار فصعدت السلالم، ما جعل فاليري معه بمفردها.

شعرت بتلك الخفقة المعتادة في صدرها فودت لو تصرخ، كان ذلك أمراً متعذراً تفسيره، فهي لم تكن تشعر نحوه بأي إعجاب، وكل ما كانت تريده منه هو أن يتركها وشأنها، فما الذي جعله يسبب لها هذه الأعراض الغريبة؟

قال لها وهو يتكىء على جدار المصعد: «حاولت الحديث معك طوال الأسبوع، ولكنني لم أجدك قط في مكتبك.» كان وجوده طاغياً، ما جعلها لا تستطيع التظاهر بعدم الانتباه إليه، كان فارع الطول، وملامحه خشنة وكتفيه عريضتين. كان محبوباً من زملائه، والجميع يعرفونه كما يبدو ويسمونه جيب كما كان يضحكهم بروحه الفكهة، وكان معتبراً بطلاً نوعاً ما، حيث إنه منذ اللحظة التي جاء بها ليعمل في صحيفة سنتنال كان هو النبراس في نادي سنتنال الرياضي.

كان لاعب النادي في لعبة الرغبي وممثله في مباريات السباحة، وفي ركض الماراتون السنوية، وكان غالباً يأتي في التصفية النهائية للبطولة.

قالت له بطريقة ملتوية أملاً في الهرب منه: «لقد كنت مشغولة جداً هذا الأسبوع، فقد كنت أجري المقابلات يومياً تقريباً.»

ولكنه استمر يقترب منها وهو يقول: «حسناً، ما دمنا الآن

منفردين ما الذي تريدين سماعه أولاً؟ الخبر الحسن أم الخبر السيء؟»

فنظرت إليه بحيرة: «ماذا؟»

«ربما الأفضل ان نبدأ بالخبر الحسن، لقد تم طلاقي الاثنين الماضي.» قال ذلك ببرودة ولكنه كان يرقبها بنظرات حادة، ثم عاد يقول: «لقد عدت رجلاً حراً.»

تشنج جسم فاليري، ثم حولت نظراتها عنه بسرعة، إذن فقد حصل حقاً على الطلاق؟ ولم تكن صدقته من قبل حين أخبرها بأنه ينتظر انتهاء اجراءات الطلاق، فالرجال غالباً لا يصدقون بكلمة في هذا الشأن.

فسألته بمرح: «هل اقول انني آسفة، أم اهنئك؟»

فقال بلهجة متوترة: «لقد كنت اخبرتك بأن زواجي قد انتهى منذ مدة طويلة، فقد رحلت زوجتي إلى استراليا منذ سنوات وهي تعيش هناك مع رجل آخر، والآن أصبح طلاقنا قانونياً، وهذا كل شيء، إنني رجل حر الآن، كما ان زوجتي كلير تزوجت يوم الثلاثاء الماضي.»

فعادت فاليري تحملق فيه غير مصدقة: «الثلاثاء الماضي؟ ألم تقل أنت ان الطلاق أصبح نافذا يوم الاثنين؟»

أجاب بجفاء: «كانت مستعجلة.»

«لابد أنها كانت كذلك، ولا أدري ما الفائدة من زواجها مرة أخرى وهي التي لم تستطع الاحتفاظ بعهود زواجها الأول.»

فنظر جيب اليها بغضب: «أنا وكلير مجرد بشر، أم انك لا تفهمين ما أعني، يا فاليري؟ إنني أعلم انك محافظة تتوخين الكمال في كل شيء، ولكن البعض منا لا يستطيعون الوصول إلى مستواك السامي، لقد ارتكبنا، أنا وكلير غلطة

كبرى حين أسرعنا بالزواج قبل ان نعرف بعضنا البعض حقاً، وهذا الأمر يحدث دوماً، وهي هذه المرة لم تسرع بالزواج، فقد عرفت ذلك الرجل منذ سنوات، فهي الآن واثقة من ان زواجهما سيدوم.»

فقالت بحدة: «يا لك من متسامح.» ذلك انها لم تعجبها طريقته في السخرية منها صحيح انها تتوخى الكمال في كل شيء، وهي لا ترى في هذا ما يستوجب منها الإعتذار عنه، فهي عندما تتزوج ستتأكد من ان زواجها مناسب تماماً وأنه سيدوم مدى الحياة.

لوى جيب فمه الواسع بسخرية وكأنه تكهن بما يجول في ذهنها: «ولماذا لا اكون متسامحاً؟ آه، إنني أعلم انك تحتقرين التسامح... فهو في نظرك ضعف، أليس كذلك؟»

فردت عليه بحدة: «كفّ عن وضع الكلمات في فمي، ان بإمكاني أن اتحدث بنفسي لو شئت، وشكراً.»

فهز كتفيه: «حسناً، لقد انهار زواجي منذ مدة طويلة، وقد بقيت فترة اشعر بالمرارة، ولكن كل هذا انتهى الآن وأنا أتمنى لها السعادة.»

كان المصعد الآن قد وصل إلى طابق المحررين، فخرجت منه وتبعها هو، فألقت عليه نظرة جانبية: «هذا ليس الطابق الذي فيه مكتبك.»

«إنني لم اخبرك بالخبر السيء بعد.»

فتمتمت تقول: «لا أحب سماعه، والأخبار السيئة يمكنها دوماً الانتظار.»

فقال ببطء وهو يدفع بشعره البني الكث بيده إلى الخلف: «حسناً، ربما كنت سمعته من قبل، إنه عن استيبان...»

فسألته مجفلة: «وماذا بالنسبة إلى استيبان؟ انه في باريس حالياً، حيث يحضر مؤتمراً عن التسويق.»

كان استيبان سيباستيان مدير التسويق في الصحيفة، وقد جذب فاليري منه شعره الأسود ووسامته الاسبانية وذلك منذ اللحظة التي رأته فيها، وعندما كانا يخرجان معاً، كانا يؤلفان رفيقين مذهلين... هو بسمرة بشرته وهي ببياضها، وكانت تستمتع برؤية الناس يحدقون اليهما، وفي الواقع لم تكن مغرمة به ولكنها ظنت ذلك أمراً محتمل الوقوع، فقد كان بالضبط ذلك النوع من الرجال الذي تحب الزواج به.

كان بالعكس من جيب كولينغوود فهو جاد رزين مفكر مهذب للغاية، ولديه نزعة شاعرية خفية لاحظتها منذ البداية، كانت تحب الرجل الذي يقدم إليها وردة حمراء، ويعاملها وكأنها مصنوعة من الخزف السهل الإنكسار، كان هذا يشعرها بأنوثتها، وإذا تزوج استيبان، فزواجه سيدوم إلى الأبد، كما أنه سيكون زوجاً رائعاً.

سألت بقلق: «لا اظن حادثاً وقع له؟»

اجاب بلطف وعيناه البنيتان مسمرتان على وجهها اجاب: «ليس بالضبط وإنما عقد خطبته.»

اخذت تحدّق إليه لحظة وقد اظلم وجهها، ثم اطلقت ضحكة قصيرة: «آه، هذا مضحك.»

فقال: «هذه ليست نكتة، إنه سيتزوج ايرينا، اخت روز إيميري الصغرى غير الشقيقة.»

«ايرينا؟» قالت فاليري ذلك بفتور وهي تتذكر تلك الفتاة الصغيرة، والتي اشتغلت لمدة قصيرة في قسم الترجمة في الصحيفة، كانت ايرينا حديثة السن إلى حد أنها فاليري، لم

تكن تعتقد ان من الممكن ان ينظر إليها استيبان بجد، عادت تقول: «لا تكن سخيفاً، فما هي سوى مراهقة.»

ولكن جيب حدّق إليها بحدة: «هذا الخبر صحيح يا فاليري.» وكانت لهجته جادة للغاية.

اشتبكت نظراتهما لحظة ما لبث الاحمرار بعدها أن صعد إلى وجهها إزاء النظرة التي بدت في عينيه، فقد أدركت وقد تملكتها صدمة، أنه يخبرها بالحقيقة، ولكنها ما لبثت أن تمالكت نفسها، أترى ما بدا في عينيه هو العطف؟

قال جيب بهدوء: «انها طالبة في جامعة السوربون في باريس، لقد عادت إلى الجامعة بعد أن انتهت من وظيفتها الصيفية هنا، وبعد ذلك عندما كان استيبان هناك أثناء هذا المؤتمر، تحدث إلى والدها ديس إيميري خاطباً، انك تعرفين تقاليد الاسبانيين الشكلية، بهذا الشأن، فقد طلب استيبان الاذن من والدها لكي يحدثها عن الزواج، ويبدو أن والدها منحه الموافقة.»

فسألته فاليري بغضب: «وكيف عرفت كل هذا؟»

«لقد اقاما حفلة الخطوبة في باريس حيث دعي إليها كثيراً من موظفي شركة كاسبيان الدولية. لقد كان جاك سمرز نائب استيبان في المؤتمر ذاك، وهكذا ذهب إلى الحفلة، وقد عاد هذا الصباح، حيث تناولت القهوة معه منذ برهة، أما استيبان فما زال في باريس، ويبدو ان استيبان يخطط للعودة إلى مدريد، فهو يشعر بالغربة في لندن... ولكنه سينتظر إلى ان تنهي ايرينا سنتها الأخيرة في السوربون، وبعد ذلك سيتزوجان، وطبعاً فان جاك يأمل في ان يحصل على وظيفته بعد رحيله.»

كانت فاليري وهو يتحدث تجاهد في مقاومة مزيج من التفاعلات تملكها، الصدمة، عدم التصديق، الكرامة المجروحة، فقد كان كل شخص في الصحيفة يعلم بأنها مهتمة بإستيبان، وسوف يتهامسون ويتساءلون إلى أي حد كان تألمها... وكانت معرفتها بكل هذا جعلت الأمر أسوأ... فقد كانت فاليري تكره أن يشعر احد بالشفقة عليها، وأخيراً استطاعت أن تمنح جيب ابتسامة باردة: «حسناً، هذا يبدو لي خبراً طيباً اكثر مما هو سيء.»

بدت لمحة من الاعجاب أو التسلية في عينيه، ولم تهتم هي بما تكونه، كل ما كانت تريده هو أن تبتعد عنه، وفي هذه اللحظة تملكها الارتياح وهي ترى المحررة الجديدة في باب الشخصيات البارزة تشير إليها بصبر فارغ من طرف الغرفة الآخر. فقالت له بسرعة: «يجب أن أذهب فتلك كوليت تشير إليّ.»

ودون ان تلقي عليه نظرة أخرى، تركته مبتعدة بسرعة مجتازة غرفة الأخبار الحافلة بالعمل، شاعرة بعيني جيب مسمرتين على ظهرها، ما الذي كان يتوقعه؟ ان تنهار وتشهق باكية على كتفه وهو يخبرها بأن استيبان سيتزوج امرأة أخرى؟

من حسن الحظ أنها لم تصل إلى مرحلة تغرق فيها بحب استيبان، لقد كانت لديه كل المزايا التي كانت تتطلع إليها، ولكنها كانت في منتهى الحذر. لقد كادت تصمم على أن تكون صداقتها لاستيبان جدية، ولكنها فضلت الانتظار. وشعرت بوجهها يلتهب وهي تفكر في ما قد يقوله الناس، كان لديها الكثير من الأصدقاء ولكنها كانت تعلم أن لديها أيضاً أعداء

والذين لن يشعروا بالأسى وهم يرون استيبان ينبذها، وإذا كان جيب الآن يظن أن حظه معها سيزداد الآن بعد ذهاب استيبان، فعليه ان ينسى ذلك، فقد اخبرته مرات ومرات بأنها لا تهتم به، ولكنه لم يتوقف قط عن المحاولة، حسناً من الأفضل له أن يفهم الآن، فهي لا تنوي الزواج من رجل ينظر إلى الحياة الزوجية بنفس النظرة الملتوية التي ينظر بها جيب كولينغوود.

دخلت إلى مكتب كوليت ذي الجدران الزجاجية، وابتدأت تتكلم على الفور: «انا أعلم أنني تأخرت، ولكن تلك الحفلة الليلة الماضية استمرت حتى الثالثة صباحاً و...»

فقاطعتها كوليت: «لا بأس الآن بالنسبة لذلك، ولكن تلك الأقاويل التي كتبتها عن ماك كاميرون...»

أجابت فاليري باهتمام وسرعة: «لقد تفحصت هذا الأمر، وإذا كنت تتذكرين، فقد كنت قابلت المحامي الليلي بهذا الشأن، وقد سمح بنشرها، ان لدى الفتاة ألبوم كامل من الصور تضمهما معاً على ظهر يخته، في البحر الكاريبي، وقد اعطتنا الصورتين اللتين نشرناهما، كما رأيت تقريراً طبياً، الفتاة حامل بكل تأكيد.»

فهزت كوليت كتفيها: «حسناً، ان محاميه يهدد بإقامة دعوى قضائية، بينما هو ينكر الأمر كلياً، فهو يقول إن الطفل ليس منه.»

جلست فاليري على حافة مكتب كوليت، شاعرة بضعف مفاجيء في ركبتيها، كان هذا هو الكابوس الذي يخاف منه كل صحافي، ذلك ان خسارة الصحيفة لهذه الدعوى تعني نهاية مهنتها، وقالت مفكرة بصوت عالٍ مرتجف: «من

الطبيعي ان يكذب، لقد صدقت الفتاة، فقد كانت في الحادية والعشرين من عمرها فقط، وحلوة للغاية.»

«هل سألت كاميرون قبل نشر القصة؟»

فهزت فاليري رأسها: «لم استطع الإتصال به، فقد كان يمثل فيلماً في اسبانيا.»

«ولكن هل حاولت ذلك.»

«لقد اتصلت ببيته، فقالت لي مديرة منزله انها لا تعلم متى يعود.»

فبدا على وجه كوليت ذلك التعبير الساخر الغامض الذي اصبحت فاليري تعرفه، فأنت لا تعرف قط ما الذي تفكر فيه كوليت إذا كان من المحتمل أن تقدم لك المساعدة في أية معركة تقوم أنت بها.

كانت كوليت امرأة في اوائل الثلاثينات من عمرها، صغيرة الجسم رشيقة القد، نصفها انكليزي والنصف الآخر صيني ما كونت معه مزيجاً غير عادي، كان لديها الحس الانكليزي بالدعابة والفكاهة إلى الهدوء والغموض، كما كانت أيضاً لامعة في عملها، وكان نيكولاس كاسبيان صاحب الصحيفة، قد سرقها من احدى الصحف المنافسة، فهو منذ استلامه صحيفة سنتنال قد غير الموظفين القدماء فيها عدة مرات، فقد أخذ ينقل الموظفين او يحولهم من مكان لآخر، أو يطردهم، ويحضر موظفين جدد، ويرقي آخرين، وذلك في مجال البحث عن افضل الموظفين لإبراز وجه الصحيفة الجديدة، وكانت سنتنال إحدى اكثر الصحف الوطنية احتراماً بين القراء وذلك في عهد الإدارة الماضية، ولكن انتشارها كان منخفضاً جداً، فكان القسم الأكبر من دخلها يعتمد على الاعلانات الغالية، وهكذا صمم

نيكولاس كاسبيان على ترويج بيع الصحيفة وذلك بخطوات سريعة، وهذا كان السبب الذي جعله يصطاد الصحافيين اللامعين امثال كوليت حتى ولو بدفع أجور مرتفعة لهم.

كثير من الصحافيين الذين كانوا أمضوا سنوات طويلة في الصحيفة، كرهوا هذا التغيير الذي ينحدر بقيمها طلباً لرواجها في السوق. فكانوا يجلسون في المقهى في بلازا وهم يتذمرون من التغييرات الجذرية التي تكتسح العالم الذي عرفوه منذ سنين طويلة، فكانوا يرحلون واحداً بعد الآخر إما بداعي التقاعد وإما لعثورهم على عمل آخر.

ولكن فاليري نايت كانت النموذج الذي يريده نيكولاس كاسبيان في الصحيفة، فقد كانت مناسبة للطراز الذي يريد صحيفته أن تكون عليه، فهو يريد كتابة متألقة عصرية مليئة بالحيوية، ثم انها كانت طموحاً، وقد راقت لها فكرة أن تتسبب في دعوى قضائية.

اخذت تتمتم قائلة: «لا يبدو هذا النهار جيداً.» ذلك انها سمعت في أوله، أن استيبان سيتزوج، وها هي ذي وظيفتها مهددة الآن، حتى ان حدساً بذلك لم يساورها وهي قادمة إلى العمل، كل ما شعرت به هو صداع خفيف بعد حفلة الليلة الماضية تلك، ولو كانت علمت ما كان ينتظرها عند وصولها إلى المكتب، لكانت فضلت البقاء في السرير.

قالت كوليت: «الأفضل ان تجمعي كل براهينك فهناك اجتماع سيعقد الساعة الثالثة من هذا النهار وذلك في مكتب السيد كاسبيان، وهو يريد أن يرى الصور الأصلية وكذلك صور الشهادات الطبية وأيضاً شريطك التسجيلي للمقابلة مع مولي غرين.»

فقالت فاليري عابسة: «اتعلمين؟ انني اصدقها تماماً، ان لها وجهاً لا يمكنك إلا ان تصدقيه، وبعد فإن ماك كاميرون معروف بعلاقاته الكثيرة، وجمهوره يتهافت عليه، وهذا ما يساعده على ذلك.»

«ربما كانت هذه هي المشكلة، هل ذلك لأن الأمر مجرد حالة نفسية؟» قالت كوليت ذلك بجفاء، بينما عبست فاليري قائلة: «اظن هذا ممكناً.»

«ان كاميرون لم ينكر أياً من علاقاته السابقة من قبل، إنه في الواقع يبدو مستمتعاً بسمعته هذه بصفته معشوق النساء، ما يساعد على رواج افلامه بكل تأكيد، وبعد سنوات قليلة سينتهي ذلك، إن اتخاذ صديقات يساعد على إبقائه شاباً فتيّ المظهر، وهو يتباهى بهن.»

فقالت فاليري: «هذه المرة سيكلفه ذلك ثروة لأجل الطفل.»

أومأت كوليت برأسها ببطء: «هذا صحيح. حسناً، احضري كل إثباتاتك إلى الطابق الأعلى الساعة الثالثة، اتمنى لك حظاً سعيداً بأن يساندك المجتمعون.»

فسألتها فاليري غير واثقة من موقف كوليت معها: «هل ستكونين انت هناك؟»

«طبعاً فأنا مسؤولة عما يكتبه الموظفون عندي.»

كان صوت كوليت جامداً لا يعبر عما إذا كانت تريد أن تساند فاليري أو تلقي بها إلى الذئاب، والتقطت ورقة رأت فاليري فيها القائمة الصباحية لما يحتمل أن تكونه مواضيع الغد، وسألتها: «هل التقطت أي شيء الليلة الماضية؟»

فقالت فاليري شاردة الذهن وقد شغلت بالها الدعوى

القضائية التي تهددها: «بعض الأقاويل التي تصلح لتكوين مقالات.»

«إذهبي واكتبيها إذن، ولكن لا تغامري بتجاوز الحدود بالنسبة لأي موضوع، ومنذ الآن فصاعداً كل ما تكتبينه يجب أن يفحصه المحامون مرتين، إذهبي باكراً إلى الغداء فأنا أريدك في المكتب الساعة الثانية والنصف على الأقل لأتمكن من مراجعة اثباتاتك قبل ان نصعد إلى الاجتماع لكي نواجه العاصفة.»

كان نذير بالشؤم يبدو في لهجتها، وأومأت فاليري باكتئاب، ثم عادت إلى مكتبها حيث كان أول ما قامت به هو الاتصال هاتفياً بمولي غرين، وأجابت أم الفتاة التي بدت البرودة في صوتها عندما أفصحت فاليري عن اسمها.

«لقد ذهبت إلى ديفون للإقامة مع ابنة عمها.»

«ومتى تعود؟»

«ليس لدي فكرة عن ذلك.»

قالت ببطء: «اسمعي، يا سيدة غرين، من الضروري أن اتحدث إلى مولي...»

«ضروري لمن؟ لك طبعاً، وهذا لن ينفع ابنتي بشيء، انك لم تفيديها بشيء بالكتابة عنها في صحيفتك، فقط إبتعدي عنها.»

واقفلت الهاتف في وجهها، فأجفلت فاليري، حسناً انها ستحاول مرة أخرى فيما بعد، وفي آخر الغرفة المستطيلة وقع نظرها على دانيال بروتي محرر صفحة الأخبار الأجنبية، وكان دانيال يعيش مع روز إيميري والتي هي احدى مراسلاته من الخارج، كما انها أخت ايرينا غير الشقيقة التي سيتزوجها استيبان.

وتذكرت فاليري الخبر الذي كان جيب اخبرها به، ثم تنهدت، كلا لن يكون هذا النهار حسناً بالنسبة اليها... ما الذي يحمله اكثر من هذا من الأخبار السيئة يا ترى؟

تقابلت عيناها بعيني دانيال القاتمتين، فأدركت من النظرة التي رأتها فيهما انه سمع بالدعوى القضائية، ولا شك ان هذا الخبر يعم المجمع الآن، ومن الغريب أن جيب كولينغوود لم يكن سمع عنها، أو ربما لم يعلم بذلك حتى الآن سوى رؤساء التحرير.

كان جيب يعمل في قسم الأعمال في الصحيفة، فيكتب المقالات الجافة عن المصارف التجارية، وإصدار الأسهم وهبوط الفوائد أو ارتفاعها، كان قد ابتدأ محاسباً في مصرف لندن التجاري وذلك لفترة قصيرة قبل أن يتحول إلى امتهان الصحافة، وبمثل هذه الخلفية الثابتة الجادة، كان غريباً ان لا يصبح رئيس تحرير.

قطبت جبينها، ما الذي يجعلها تفكر فيه؟ وكيف تسلل جيب كولينغوود إلى رأسها بينما لديها أمور أهم كثيراً واكثر إزعاجاً عليها أن تفكر فيها؟

أبعدته عن ذهنها، ثم عادت إلى مكتبها، فتحت جهازها الكمبيوتر أولاً، ثم اخرجت من حقيبتها دفتر ملاحظاتها، ثم آلة التسجيل التي كانت سجلت عليها مقابلاتها في الزوايا الهادئة اثناء حفلة الليلة الماضية.

استمعت إلى التسجيلات بأجمعها حيث أدركت ان كثيراً منها محفوفة بالمخاطر، فتنهدت ثم أخذت تطبع قطعة قصيرة عن ويسكس ستديو في الكمبيوتر مستعملة القطعة المطبوعة التي سبق وارسلتها اليها سابقاً شعبة الدعاية من

الستديو، إنهم على الأقل لن يرفعوا عليها دعوى لأجل موادهم هم.

استغرق الانتهاء من طباعة المقالات عن الأقاويل التي التقطتها في الحفلة، استغرق ثلاثة أرباع الساعة، فنزلت إلى بلازا لتشتري سلطة جاهزة للغداء من مطعم توريلي، ثم اخذتها معها إلى الحدائق القائمة على ضفاف النهر لتجد اكثر المقاعد الخشبية مشغولة، لقد كانت لندن تستمتع بموجات الحر الأخيرة لهذا الصيف، ابتدأ شهر ايلول يوم الثلاثاء، وأصبح الخريف في الطريق، وقد استغل اللندنيون هذا الجو، فقد كان يمكن ان يتغير في أية لحظة، ولهذا كانت الحدائق مليئة بالناس الذين كانوا يتناولون غداءهم في أشعة الشمس وهذا تقليد قديم في باربري وارف.

وجدت فاليري مقعداً خالياً تحت شجرة، فتناولت سلطتها بشوكة صغيرة من البلاستيك زودها روبرتو بها، ثم شربت علبة من عصير البرتقال وارتاحت عدة دقائق اخذت اثناءها تتفرج على مراكب نقل البضائع المغطاة بالمشمع والتي كانت تتهادى ببطء نحو جسر البرج.

كانت تتمنى لو بامكانها البقاء هنا طوال بعد الظهر، ولكن كان عليها أن تعود، وهكذا تنهدت وهي تنهض واقفة لتعود إلى المكتب، ولكنها وهي تستدير رأت جيب كولينغوود هابطاً درجات الحديقة، وكانت بجانبه فتاة كانت تتحدث معه، وأدركت فاليري أنها سبق ورأت هذه الفتاة من قبل، ولكنها لم تتذكر أين.

من تراها تكون؟ وقطبت فاليري جبينها محاولة أن تتذكر. وفي هذه اللحظة إنزلقت قدم الفتاة على الدرجة،

وترنحت نحو الأمام، ولكن جيب أمسكها من خصرها ثم أوقفها مرة أخرى، وتمسكت هي بقميصه، ثم رفعت بصرها إليه وهي تضحك له، فبادلها هو ذلك بابتسامة عريضة وعيناه البنيتا اللون مليئتان بالجاذبية، كان على الناظر أن يكون أعمى لكي لا يرى العلاقة الحميمة التي بينهما.

رأت فاليري ذلك فشعرت بطعنة حادة بين أضلعها، فأشاحت بوجهها غاضبة، ماذا جرى لها؟ لم يكن في هذا ما يدعو إلى الدهشة، ألم تكن دوماً تعلم أنه شاب عابث؟

عادت فاليري إلى مجمع باربري وارف حيث استقلت المصعد إلى طابق رؤساء التحرير وهي تطيل التفكير في الطريقة التي كان جيب ينظر بها إلى الفتاة.

ومن الآن فصاعداً لن تسمح لجيب كولينغوود بأي اتصال بها، ولكن أين تراها رأت تلك الفتاة؟ وهل هي تعمل مع جيب في قسم اخبار الأعمال؟

وفي الساعة الثالثة الا خمس دقائق من عصر ذلك اليوم، اتجهت فاليري وكوليت تسي إلى مكتب سكرتيرة نيكولاس كاسبيان، وكانت هيزل فان ليدن تتحدث في الهاتف فرفعت بصرها إليهما وهي تبتسم لهما بأدب وشيء من الشرود مشيرة اليهما بالجلوس بينما هي مستمرة في حديثها.

«نعم، يا سيد لينكولن، هذا سيكون شيئاً حسناً تماماً، نعم الساعة الثالثة من بعد ظهر الثلاثاء القادم، كلا، اسأل مكتب الاستقبال عمن سيذهب لملاقاتك، اهلاً وسهلاً وشكراً.»

وضعت السماعة في مكانها، ثم التفتت إليهما وهي تمنحهما ابتسامة أخرى من تلك الابتسامات الآلية المهذبة والتي لم تكن تبدو في عينيها. «ان السيد كاسبيان يتحدث

إلى المحامين، وسيتصل بي عندما يريد رؤيتكما، انني واثقة من أنه لن يجعلكما تنتظران طويلاً.»

كانت هيزل ودوداً دافئة الحديث، في العادة ما جعل فاليري تهتز لما لمسته من تغير في سلوكها، أترى ذلك نذير شؤم لما عسى أن يحصل عندما تدخلان إلى مكتب كاسبيان؟

فسألت هيزل: «كيف حال بييت؟»

ألقت هيزل عليها نظرة غريبة، ثم قالت بلهجة عفوية: «انه بخير شكراً.» ولكنها لم تبتسم، ثم نهضت وسارت إلى خزانة الملفات تضع رسالة في احدها، بينما كانت فاليري تعض شفتها، حسناً، ان ذكرها لبييت لم ينفع، ولكنها في الواقع شعرت بأنها أخطأت ولا بد أن الأمر اكثر خطورة مما كانت تخاف، ما الذي كانت هيزل تعلمه عنها؟ أتراهم سيطردونها من العمل؟

ولكن قد يكون الأمر مجرد خطأ منها في ذكر زوج هيزل ما ذكرها به وهي التي لا تراه إلا لماما، بعد أن اصبحا مرغمين حالياً على العيش مفترقين في بلدين مختلفين، وهذا لا يناسب عروسين رغم أنهما يجتمعان في معظم العطل الأسبوعية.

لم يكن قد مضى على زواج هيزل شهران، وذلك من بييت فان ليدن، المهندس الهولندي والذي كان يعمل مع شركة كاسبيان العالمية لمدة سنوات، وكانت هيزل قد عادت للعمل عند كاسبيان منذ رجوعها من شهر العسل، فقد كانت تتناول أجراً مرتفعاً وقد لا تتمكن من الحصول على عمل آخر بمثل هذا الأجر.

كان بييت يعيش في هولندا حيث كانت شركة كاسبيان الدولية تبني مجمعاً ضخماً لمختلف انواع الطباعة والتي ستسد حاجات كل الصحف التي تضمها الشركة، وكان بييت رئيس مهندسي كاسبيان في أوروبا، وكان لا يكف عن التنقل من بلد إلى بلد كما يملي عليه عمله، ولم يكن قد استقر بعد في مكان خاص.

كانت لديه أسرة في هولندا، طبعاً تضم والديه واللذين تقاعدا الآن ويعيشان في الريف بهدوء، وشقيقته ليلي والتي كانت تعيش في مدينة صغيرة في ميدلبورغ مع زوجها الدكتور هانز كيرك وولديهما كاريل وكارين.

ولا بد أن هذا التغيير المفاجيء من ذلك الاحتفال إلى العودة إلى الحياة العادية في المكتب، لا بد أنه السبب في تغير مزاج هيزل هذا.

وفجأة سمعت فاليري صوت رجل يرتفع من خلف باب مكتب نيكولاس كاسبيان، فشعرت براحتيها تنضحان بالعرق، ما الذي كانا يقولانه؟

انفتح الباب المؤدي إلى الممر، ما جعلها تجفل وتنظر حولها وقد اتسعت عيناها وخصوصاً عندما عرفت القادم الجديد.

كان هو الفتاة التي كانت تسير مع جيب، منذ فترة عند ضفاف النهر، وقد سارت بسرعة إلى مكتب هيزل حيث وضعت عليه ملف أوراق أزرق اللون، وهي تقول: «انها المستندات التي طلبها السيد كاسبيان.»

فقالت هيزل بذهن شارد: «آه، شكراً يا صوفي.» فأومأت الفتاة برأسها ثم عادت فخرجت وهي تلقي على المرأتين الاخريين نظرة مختصرة، وقد بدت بالغة الأناقة.

لم تستطع فاليري ان تصبر على ذلك، فهي تريد أن تعرف من تكون، فسألت هيزل: «من هي هذه الفتاة؟»

وردت هذه بدهشة: «صوفي واطسن.»

«وأين تعمل؟»

«انها سكرتيرة في الدائرة القانونية.»

فقالت فاليري: «لا بد انني رأيتها من قبل.»

فقالت هيزل دون اهتمام: «هذا ما اظنه.»

كانت فاليري غالباً ما تزور الدائرة القانونية لكي تستوضح بعض الأمور القانونية بالنسبة لما تكتبه، ولا بد انها كانت ترى صوفي هناك دون ان تعيرها انتباهاً حقيقياً.

نهضت هيزل واقفة ثم سارت إلى مكتب كاسبيان حاملة الملف الأزرق معها، بينما ألقت كوليت على فاليري نظرة جانبية: «لا تكوني متوترة بهذا الشكل، فهم لن يأكلوك.»

فتمتمت فاليري تقول: «أحقاً؟»

ضحكت كوليت: «اسمعي، ان الأمور ليست بهذه الكآبة، ان محامي الشركة سمح لك بالنشر، وهذا شيء هام في صالحك، كما ان الشريط المسجل عليه المقابلة هو شاهد ايجابي آخر معك، فإذا كانت مولي غرين تكذب فهم لن يلوموك، لقد كانت براهينها مقنعة للغاية، وبعد ان رأيت تلك الصور، لا أتصور كيف يمكن لماك كاميرون أن يربح دعوى ضدنا.»

نظرت فاليري إلى كوليت شاكرة: «اتظنين هذا حقاً؟ أرجو ان تكوني على صواب، وشكراً جزيلاً لمساندتك لي.»

فقالت كوليت ببرودة: «انني رئيسة تحرير قسم

الشخصيات، فأنا المسؤولة عما يكتب في صفحتي، أياً كان كاتبها.»

عادت هيزل وأبقت الباب مفتوحاً وهي تقول: «ان السيد كاسبيان سيراكما الآن.»

خفق قلب فاليري بعنف، ثم تبعت كوليت إلى الغرفة والتي بدت لأول وهلة، مليئة بالرجال، ولكن الرجل خلف المكتب كان هو المهم، مهما كان عدد الرجال الموجودين، فان نيكولاس كاسبيان هو الذي يجذب الأنظار دوماً، فقد كانت شخصيته طاغية بحيث لا يمكن تجاهلها.

لم يكن وسيماً، فقد كان اكثر خشونة من أن يعتبر كذلك... كان يهيمن على أية غرفة يدخلها، وأحست فاليري أنه عندما يقرر شيئاً فهو لن يتراجع عنه أبداً.

ولم تشأ ان تتصور نفسها ضده في أية معركة يخوضها، كان ثمة كرسيان وضعتا لأجلهما أمام مكتبه الفخم المكسو بالجلد، أشار اليهما بالجلوس وقد بدا العنف في نظراته: «اجلسا من فضلكما، يا آنسة نايت ويا آنسة تسي.»

امتثلتا لذلك، ونظرت فاليري حولها، وإذا بها ترى فجأة ان هناك امرأة أخرى، كانت جينا تيريل جالسة بجانب النافذة.

وعندما تلاقت اعينهما منحتها جينا ابتسامة ودود، فبادلتها فاليري ابتسامتها بسرعة وقد سرها وجود جينا، لقد جعلها هذا تشعر ان ثمة شخصاً على الأقل يتعاطف معها، وجينا لديها الكثير من النفوذ.

قبل ان يضم نيكولاس كاسبيان صحيفة سنتنال إلى امبراطوريته الواسعة، كانت تملك الصحيفة أسرة تيريل

لمدة أجيال، وكان آخر اصحابها، السير جورج تيريل، يحلم بالانتقال بها من شارع فليت للصحافة إلى مبنى اكثر اتساعاً، بجانب النهر، ولكن شراء مبنى باربري وارف، ثم بناء مجمع ضخم كان يعني استدانة مبلغ كبير من المال، وعندما ابتدأت الفوائد ترتفع، وجد السير جورج نفسه في مصاعب مالية خطيرة، وكان ذلك حين ابتدأ نيكولاس كاسبيان يهتم بأمر الصحيفة.

ثم دار نضال بين الرجلين انتهى بإرغام السير جورج على توقيع اتفاقية مع كاسبيان، وبعد ذلك بمدة قصيرة توفي الرجل العجوز تاركاً كل املاكه لجينا، أرملة حفيده جايمس، وكانت جينا تزوجت من أسرة تيريل عندما كانت صغيرة السن، وترملت بعد سنتين فقط.

وإذ كانت يتيمة الأبوين، فقد استمرت في العيش مع السير جورج تيريل والذي دمره موت حفيده باكثر مما دمر جينا، فكان بحاجة إلى كل التعزية التي كان بإمكان جينا ان تمنحها له، وكان في مقدار حاجته الكبير إليها تعزية لها هي الأخرى، وزادهما مرور السنوات قرباً من بعضهما البعض، ما جعل من وفاة السير جورج صدمة كبرى لها.

كل من يعمل في الصحيفة كان يعلم ان جينا تعتقد أن اللوم في التسبب بوفاة السير جورج يقع على عاتق نيكولاس كاسبيان، فقد كان السير جورج يحضر حفلة عشاء أقيمت في باربري وارف، للموظفين قبل الانتقال النهائي من شارع فليت مباشرة، وكان معظم الحاضرين قد سمعوا اقاويل وشائعات عما حدث، ولكن لم يعلم أحد بالضبط ما الذي تسبب في إصابة الرجل العجوز بتلك النوبة

القلبية، وكان الشيء الوحيد المؤكد الذي عرفه الناس هو أنه صدر عن جينا هجوم عنيف، ليلة وفاة السير جورج، وقد سمع الكثير منها ما قالته.

ومع انها استمرت منذ ذلك الحين، في العمل بشكل مباشر مع نيكولاس كاسبيان، وكانت عضواً في مجلس الإدارة، كان معروفاً أن جينا كانت كثيراً ما تتشاجر مع نيكولاس، وتعاكس قراراته، وكانت الشائعات والأقاويل سريعة الانتشار في باربري وارف، ولكن بعض تلك الهمسات كانت حقيقية تماماً، وطالما رأت فاليري جينا ونيكولاس معاً، كانت تعلم أن ثمة عداوة متأصلة بينهما.

قال نيكولاس كاسبيان بهدوء: «هذا اجتماع تمهيدي فقط، يا آنسة نايت، هل تعرفين محامينا؟ غاي فوكنر وهنري ساندال؟»

نظرت فاليري إلى الرجلين الجالسين بقربه، واللذين نهضا يصافحانها، كان اكبرهما سناً هو هنري ساندال، وكان اصلع قصير القامة ذا وجه شاحب بيضاوي الشكل، وكانت قابلته في عدد من المناسبات، وكان يبدو دوماً مهذباً حيادياً وهي عادته التي لمستها فيه.

أما الأصغر سناً وهو غاي فوكنر فقد كان اقرب سنا إليها، ذا عينين زرقاوين ووجه نحيل عليه إمارات الذكاء، وكان قد حصل على شهادة الحقوق في وقت متأخر عن المعتاد نوعاً ما إذ انه كان حصل على شهادة في الفنون وأصبح صحافياً قبل أن يقرر تفضيله دراسة الحقوق، وتبعاً لخلفيته تلك، كان خبيراً بأحكام الصحيفة القضائية.

قالت فاليري تجيب على سؤال لكاسبيان: «نعم، كان

السيد فوكنر هو الذي اعطاني الرخصة بنشر مقابلتي لمولي غرين.»

فنظر السيد فوكنر اليها بجفاء: «وهل أحضرت معك شريط التسجيل ودفتر الملاحظات الذي دونت فيه المقابلة مع مولي غرين، يا آنسة نايت؟»

أجابت فاليري وهي تضع هذه الأشياء على المكتب: «نعم، وكذلك احضرت الصور التي اعطتني إياها.»

نشر غاي فوكنر الصور بشكل مروحة، واخذ ينظر إليهم.

ثم قال لاوياً شفتيه: «ان كاميرون ابتدأ يفقد شعره، وهذا يبدو بوضوح في هذه الصورة، هل نشرنا هذه الصورة؟ ربما هذا هو السبب في تهديده بمقاضاتنا.»

فنظر هنري ساندال وقد بدا الدهاء في عينيه: «قبل أن نسمع الشريط أو ننظر في دفتر الملاحظات أريدك ان تخبريني بالضبط عما تتذكرينه من تلك المقابلة، خصوصاً بالنسبة للفتاة نفسها، ماذا كان انطباعك الحقيقي عنها، يا آنسة نايت؟ هل تعتقدين بصدقها كلياً؟ هل ساورتك أية بادرة شك فيها؟ ولا تدعي التوتر يتملكك، فأنت لست أمام المحكمة.» وابتسم لها برقة، ولكن فاليري لم تصدقه.

الفصل الثاني

عندما انتهى الاجتماع بعد عدة ساعات، خرجت فاليري وقد بدت قريبة من الإنهيار، فقد شحب وجهها واظلمت عيناها من الإنهاك.

نظرت جينا تيريل في اثرها وهي تتنهد: «يا للفتاة المسكينة، ما أسوأ حظها هذا.»

فقال نيكولاس بجفاء دون شفقة: «ربما سيعلمها هذا درساً نافعاً.»

فالتفتت جينا إليه: «هذا ليس عدلاً، فأنت لا تستطيع القول انها لم تتبع الإجراءات المطلوبة. لقد سجلت المقابلة، وسجلت ملاحظاتها الخاصة على دفترها في نفس الوقت، كما أن الصور تبدو حقيقية موثوقاً بها.» ثم نهضت واقفة وقد توهج وجهها تحته من الغضب، ليس هناك من يغضبها مثل نيكولاس كاسبيان.

فقال نيكولاس، غاضباً هو أيضاً: «الا تعلمين ما عليّ ان اقول، أو لا أقول.» لقد كان هذا يوماً صعباً، فلم يكن هذا هو التهديد القضائي الوحيد في الأفق، ولم يكن مزاجه يسمح له بالسماح لامرأة بأن تحاسبه، خصوصاً إذا كانت جينا.

ومؤخراً، اينما استدار، كان يراها تسد عليه الطريق وتجادله وتعاكسه في كل شيء يريد القيام به، وكان هو اعتاد التصرف كما يريد، خصوصاً مع النساء، وهذه المرأة بالذات لديها النفوذ للتأثير عليه، وكانت قد انتصرت عليه

في بعض المناقشات، ما جعله يخاف من أن يلاحظ ذلك الآخرون، وبلباقة تدخل رئيس التحرير فابيان أرنود، قائلاً: «اظن ان ذلك حدث لأن صحفاً أخرى اخذت تتابع ما كتبناه، ما أزعج السيد ماك كاميرون ودفعه إلى التهديد بإقامة دعوى قضائية، لقد سمعت أثناء الغداء، ان كل صحيفة شعبية في المدينة أرسلت مندوبيها لاكتشاف جوانب أخرى من الموضوع، ومعظمها متعاطف مع كاميرون وليس مع مولي غرين.»

فقال غاي فوكنر: «قالت فاليري ان مولي في الريف، ولم تشأ أمها ان تعطينا عنوانها.»

نظر إليه الرجال الآخرون باسمين بهزل، ثم قال فابيان مازحاً: «لاحظت انك معجب بها.»

بدا غاي جامد الأسارير دون ان ينكر الأمر أو يعترف به، بينما نظرت إليه جينا بفضول.

تمتم يقول وقد ضاقت عيناه، مفكراً: «انني أتساءل متى ترى غادرت مولي غرين المدينة، هل قبل ان تنشر فاليري المقالة، أم بعدها؟»

أخذ الجميع يحدقون إليه، وأخذ نيكولاس ينقر بأصابعه على سطح مكتبه، كان هذا مكتب أبيه، ذات يوم، زكريا كاسبيان، والذي كانت صورته معلقة على الجدار خلفه، في كل مرة رأت جينا فيها تلك الصورة، كانت تتذكر السير جورج تيريل والذي كان المفروض أن تكون صورته هو المعلقة هنا، وكذلك بالمرارة التي كانت ما تزال تشعر بها نحو نيكولاس، ولكنها في نفس الوقت، لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل عن ذلك الرجل الذي أنشأ امبراطورية

كاسبيان وتركها بأكملها لابنه بعد موته، كان لزكريا كاسبيان وجه غير عادي، وقد ورث نيكولاس بعض ملامح أبيه، أم لعله ورث طبيعة أبيه، ما جعل هذا يبدو في وجهيهما؟ الخشونة، الطمع، العزم... كانا رجلين ليس من السهل معرفتهما أو حبهما، وإذا بنيكولاس يقول مخاطباً غاي فوكنر: «اتظن ان مولي غرين اخبرت فاليري بمجموعة من الأكاذيب، ثم هربت من المدينة؟»

فهز هذا كتفيه: «ربما، أو ربما أخبرت فاليري بالحقيقة، ثم تملكها الذعر فهربت، ومهما كان الأمر، فيجب العثور عليها والتأكد من ان ما اخبرتنا به هي الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، هذه المرة.»

فتمتم نيكولاس عابساً: «كان على فاليري أن تتأكد من الحقيقة منذ البداية، وإذا جعلتنا ندفع ثروة في دعوى قضائية، فستطرد من العمل.»

فقالت جينا بغضب: «اللوم يقع عليك اكثر منه على فاليري، فأنت الذي تحدث عن منح الصحيفة اسناناً، فتجرؤ على نشر ما تحجم الصحف الأخرى عن التطرق إليه، ولكن لدى أول إشارة إلى حدوث مشكلات من وراء ذلك، تفقد اعصابك، (فإذا كنت لا تتحمل الحرارة، فابتعد عن المطبخ) كما يقول المثل.»

وفجأة جمد كل من في الغرفة من الدهشة وكأنهم من الخشب لا تسمع ولا ترى ولا تتكلم.

نهض نيكولاس واقفاً وهو يتنفس بغضب، وأخذ يحملق فيها بأسنان مطبقة: «انك لم تقبلي قط ان أجدد في الصحيفة، أليس كذلك؟»

«كلا، يمكنك ان تسمي هذا تجديداً، ولكنني أسميه تدميراً لصحيفة كبرى ليس له ما يبرره.»

«انك في الواقع قمت بكل ما من شأنه ان يوقفني عند حدي.»

«لقد قمت بهذا بكل تأكيد، وكل ما أرجوه أن اكون نجحت في ذلك.»

فقال بعنف: «حسناً، الأسبوع الماضي فقط قلت أنت ان المحررات امثال فاليري نايت لا مكان لهن في سنتنال.»

«هذا صحيح، فكل هذه الأقاويل الرخيصة، والتدخل في الخصوصيات والسخرية والتعريض بالآخرين، كل هذا هو ضد كل ما تمثله سنتنال، وترمز إليه، انني اعلم ان فاليري ذات شعبية، وتزيد من بيع الصحيفة، والقراء يحبون كتاباتها، ولكنني كنت افضل لو انها لا تعمل في سنتنال.»

فزمجر نيكولاس قائلاً: «فلماذا تقفين بجانبها الآن، إلا اذا كان ذلك لإغاظتي.»

أجابت بهدوء: «كان السير جورج يؤمن بأن الشخص يجب أن يكون وفياً لمن يعمل عنده.»

فعاد يزمجر قائلاً: «سير جورج. كان عليّ ان أعرف هذا، كنت أعلم ان أسمه سيطغى، سواء عاجلاً أم آجلاً، فهل سيلاحقني بقية حياتي؟»

قالت وقد فارق الهزل عينيها: «هذا ما أرجوه.» ثم استدارت تسير متجهة نحو الباب.

فصرخ نيكولاس في اثرها: «لا تتركيني عندما اكون اتحدث إليك، فأنا أريد ان أناقش أمراً آخر، أمراً هاماً.»

«أرسل إليّ مذكرة بذلك.» وفتحت الباب، فاندفع نيكولاس خلفها تاركاً الآخرين في مكتبه.

«اننا سنرحل إلى كاليفورنيا الخميس القادم، لا تنسي.»

فقالت ببرودة: «ان لديّ مواعيد طوال الأسبوع القادم.»

ساد صمت أخذ نيكولاس اثناءه يحدق فيها وقد بدت ثورة الغضب في عينيه: «لا يمكنك ان تتراجعي الآن، لقد علمت أنني قمت بترتيبات سفرك، انت أيضاً فعليك أن تأتي، ماذا عسى أن أقول لأمي؟»

فقالت بدهشة: «أمك؟» كان قد سبق واخبرها أن أمه تعيش في سان فرنسيسكو، وان الرحلة إلى كاليفورنيا هي للعمل فقط، وهكذا افترضت أن لقاءها بأمه سيكون مختصراً للغاية.

نظر إليها بغضب: «لقد اخبرتها بأنك قادمة، فدعتك للإقامة معها، فأي عذر أقدمه إليها إذا أنت لم تذهبي؟»

تملك جينا الذهول، لا شك أنه غير جاد، فأمه لم تقابلها قط، وربما لا تعرف من تكون، فلماذا تهتم بمجيء جينا أو عدمه مع بقية المجموعة الذاهبة إلى كاليفورنيا للتحري عن امكانية انتقال شركة كاسبيان الدولية، إلى السوق الاميركية؟

فقالت: «انني واثقة حتى من انها لن تلاحظ غيابي.» وفي هذه اللحظة جاءت هيزل نحوهما حاملة بين يديها مجموعة أوراق لنيكولاس للتوقيع عليها، فكان عليه أن يترك كتف جينا، وهكذا ابتعدت عنه دون ان تنظر إلى الخلف، وبعد لحظة سمعت باب المكتب يغلق، ولكنها لم تستطع ان تمحو من ذهنها ما ارتسم على ملامحه وهي تهبط في المصعد إلى حيث موقف السيارات ثم تستقل سيارتها. ما الذي يجعله مصراً بهذا الشكل على أخذها إلى

كاليفورنيا؟ لم تستطع ان تصدق أنه كان قلقاً فقط من استياء أمه، لقد كان لنيكولاس دوماً دافع خفي خلف كل شيء يقوم به، فلماذا يريدها أن تذهب معه في هذه الرحلة؟ ما الذي كان نيكولاس يهدف إليه في الحقيقة؟

لم تكن تثق فيه على الاطلاق، فهو قاس مراوغ، إنه رجل مصمم على الفوز على الدوام وذلك في كل أمر يقوم به، وتلك هي نظرته إلى الحياة... إنها في نظره حلبة سباق، وساحة معركة، وهو يعتقد بأن الغنائم هي للمنتصر.

ولم تكن جينا تنوي ان تنتهي بما يعتبره نيكولاس كاسبيان غنيمة النصر.

منذ شراءه الشقة الوحيدة الأخرى الموجودة في الطابق الذي تسكن فيه، أخذت تشعر بالشبكة تضيق حولها، فهي ترى نيكولاس في المكتب يومياً، وها هوذا الآن أصبح ملاصقاً لها في السكن، ومع انها كانت ترفض كل الدعوات الاجتماعية منه، وتحاول إبقاء حياتها الخاصة منفصلة عن عملها اليومي إلا أن نيكولاس بقي يقحم نفسه في حياتها بشكل ما. فقد كان يعرض عليها دوماً توصيلها إلى العمل بسيارته، أو يزورها في شقتها بحجة الحصول على معلومات منها لا يمكن تأجيلها، أو يدعوها مع مدراء آخرين إلى شقته لتناول القهوة.

عندما كانت تقود سيارتها على ضفاف النهر، ابتدأ المطر في الهطول بشكل غزير.

نظرت جينا إلى السماء الغائمة وعبست، كانت تتطلع إلى عطلة اسبوعية مريحة في الريف، ولكن إذا لم يكف المطر عن الهطول صباح غد، فستلغي خطتها في المكوث في

الريف في مكان يعلّم فيه الرسم للمبتدئين، فهم بطبيعة الحال لن يخرجوا إلى البرية للرسم بل سيمكثون في الاستديو، وهذا ليس مرادها، فقد كان ما جذبها إلى ذلك المكان هو فكرة الخروج والرسم في الهواء النقي، والاستمتاع برؤية النواحي الريفية، هذا إلى جانب تعلم مهنة أخرى، فما الداعي إلى العجلة بينما يمكنها الذهاب دوماً في أي وقت آخر؟ انها ستذهب بدلاً من ذلك، إلى متاجر سلفريدج صباح السبت وشراء ألبوم جديد للصور، والتفرج على آخر الأزياء المعروضة فيها، ثم تتناول غداءً خفيفاً في المطعم هناك، ثم تذهب في المساء إلى المسرح، لم تكن جينا تحب الحياة الصاخبة في الليالي، وإنما الأمسيات الهادئة المسلية وعلى الأخص المسرحيات الهزلية الموسيقية.

عندما وصلت إلى البيت، صنعت لنفسها كوباً من القهوة، ثم جلست على الأريكة تنظر في النسخة الصباحية من سنتنال حيث قائمة المسارح، كان قد سبق لها أن شاهدت معظم المسرحيات الموسيقية الجيدة منها، ولكن كان ثمة مسرحية جديدة في مسرح ستراند لم تكن رأتها بعد كتب تحتها مراجعة جيدة.

وضعت علامة على الفقرة، وإذا بها تفتح عينيها على اتساعهما، كان ماك كاميرون هو البطل في هذه المسرحية، طبعاً فكيف نسيت ذلك؟ رغم أن المسرحية معروضة لستة أسابيع فقط، ولا شك أن ثمة فيلماً آخر له، سيعرض بعد ذلك، ولكن بما أنه سيكون هو نجم العرض، فهذا سيجعل الموسيقى الجديدة تنتهي بخبطة عنيفة.

اتصلت جينا حالاً بشباك التذاكر، متوقعة أن يخبروها بنفاد التذاكر، ولكنها كانت محظوظة، فقد كانت اعيدت تذكرة إلى الشباك قبل اتصالها بدقائق، كما اخبرتها الموظفة، وكانت في المقاعد الأمامية من القاعة فابتاعتها جينا.

* * *

عندما غادرت فاليري نايت مجمع باربري وارف، كان الجو ممطراً، كانت قد جاءت إلى العمل بالباص، فتأوهت وهي تقف عند الباب، ناظرة إلى الصف الطويل في شارع سيلفر ستريت.

هل عليها أن تسير إلى حيث سيارات الأجرة؟ ولكنها قد لا تجد سيارة في مثل هذا الجو، فالآخرون لا بد تهافتوا لاستئجارها.

وإذا بسيارة تخرج من موقف السيارات تحت الأرض، ثم استدارت إلى شارع نورث ستريت بجانب المكان الذي كانت فاليري تحتمي فيه من المطر، وإذ تقدمت السيارة منها ببطء ثم توقفت، رأتها فاليري فأخذت تنظر إليها برجاء، إذا كانت تعرف سائقها فقد تحظى بتوصيله لها، ولكن مَنْ من معارفها يمتلك سيارة جاغوار حمراء؟

هبط زجاج السيارة أوتوماتيكياً، ثم انفتح الباب فركضت إليها فاليري شاعرة بالريح تتلف طراز شعرها الغالي الأجر، بينما المطر يبلل ثوبها الرقيق، ولكنها قبل أن تدخل السيارة إذا بها تلمح وجه جيب كولينوود وراء عجلة القيادة، فتوقفت تحدق إليه.

فقال ساخراً: «لا يهم نوع المرفأ عند العاصفة.» وكانت هي أوشكت على الرجوع من حيث أتت، ولكنها أدركت أن الحق معه، فهي حقاً لم يكن أمامها خيار آخر، فوقوفها هنا دقيقة فقط قد جعلها تبدو كفأرة غرقى.

صعدت إلى المقعد الأمامي وصفقت الباب خلفها وهي تقول بتوتر: «شكراً.»

«بكل سرور.» قال ذلك ببطء فشعرت برجفة، ذلك ان الطريقة التي قال بها ذلك لم تعجبها.

لم يتابع السير وبدلاً من ذلك تحرك في مقعده ومد ذراعه إلى المقعد الخلفي، فأجفلت ونظرت إليه بجفاء، ما الذي يفعله؟ إذا به يحضر من المقعد الخلفي علبة مناديل ورقية دفعها إليها: «خذي وامسحي وجهك.»

أخذت العلبة بينما تحرك هو بالسيارة متابعاً طريقه تحت المطر الغزير، بينما أخذت فاليري تجفف وجهها بحذر، وعندما انهت التجفيف، أخرجت علبة البودرة وأخذت تفحص وجهها في مرآتها.

فقال جيب وعيناه على الطريق: «لا تخافي، فأنت رائعة الجمال كالعادة.»

تجاهلته فاليري ومضت تصلح ما دمره المطر، وكالعادة في لندن في الأيام الممطرة، بدا زحام السير اكثر من المعتاد، كما تملك اليأس المارة على الأرصفة وهم يعلمون أنهم لن يجدوا سيارات أجرة، بينما حافلات الركاب مزدحمة وكذلك قطارات الميترو تحت الأرض.

قال وهو يبطىء في السير: «أليس هنا حيث تسكنين؟» فنظرت إلى الخارج وأجفلت لوصولها بهذه السرعة، ثم

قالت بارتياح وهي تتأهب للترجل من السيارة: «نعم شكراً.»

فقال لها: «انتظري، ان لديّ مظلة.» ومد يده مرة أخرى إلى المقعد الخلفي يحضر المظلة ثم يخرج من السيارة قبل ان تستطيع منعه. فتحت الباب ولكنها ما أن خرجت حتى وجدت جيب مشرفاً عليها وقد أمسك بالمظلة مفتوحة فوقها، وما ان اخذت تسير حتى قال لها بلهجة آمرة: «لا تتحركي.» فجمدت في مكانها بينما انحنى جيب يقفل باب السيارة. قائلاً: «هيا بنا.» ثم أمسكها من مرفقها وأسرع بها نحو مدخل مبنى حديث كانت فاليري قد انتقلت إليه في هذا الصيف فقط حيث اشترت شقة تحتوي على غرفة نوم واحدة.

وفجأة، خطرت لها فكرة، كيف عرف جيب مكان سكنها؟ انه لم يسألها، فقد جاء بها إلى هنا مباشرة عالماً بالضبط أين تسكن.

وعندما أصبحا داخل الشقة بعيداً عن المطر جذبت ذراعها من يده، ثم منحته ابتسامة باردة مهذبة: «شكراً لتوصيلك لي، تصبح على خير.» وقبل ان يرد عليها كانت قد ابتعدت عنه متجهة نحو السلم، وكانت شقتها في الطابق الأول، وهكذا لم تتعب نفسها بانتظار المصعد، وإنما أسرعت بارتقاء السلم.

وعند فسحة السلم وقفت تنظر خلفها، ولكن لم يكن هناك أثر لجيب، فقد كانت الردهة خالية، لقد تقبل طردها له وذهب، وشكرت حظها لذلك، لكنها لم تشعر بالسرور بل شعرت بالكآبة وهي تضع المفتاح في باب شقتها، ولم يكن هذا الشعور يتعلق بجيب كولينغوود، بالطبع، كما أخذت

تحدث نفسها، وإنما كان بسبب هذا النهار السيء للغاية، ابتدأ بخبر خطبة استيبان لفتاة أخرى لينتهي بالتهديد بإقامة ماك كاميرون دعوى قضائية.

دخلت إلى ردهة شقتها الصغيرة، ولكنها عندما استدارت لتغلق الباب إذا بها تواجه جيب كولينغوود. قالت متلعثمة: «ماذا...» سكتت وقد منعها الذهول من أن تفكر بسرعة، بينما تجاوزها هو داخلاً إلى غرفة الجلوس وبقيت هي تحاول أن تكيف مشاعرها إزاء رؤيته، وما لبثت أن شعرت بالغضب يتملكها فاحمر وجهها وهي تلحق به: «ما الذي تفعله؟ إنني لم أدعك إلى الدخول.»

«كلا، انك لم تفعلي، أليس كذلك؟ هذا ليس تهذيباً منك بعد أن أنقذتك من غرق وشيك واحضرتك إلى بيتك قاطعاً كل ذلك الطريق.» قال ذلك معاتباً، ثم التقط عن المنضدة صورة في إطار فضي: «هل هذا والداك؟»

أجابت بلهجة عدائية: «نعم.» بينما كانت تعلم أن أي شخص من العمل يوصلها إلى بيتها، كان عليها أن تدعوه إلى الدخول لتناول فنجان قهوة وذلك بصورة آلية.

«يمكنني أن أرى تشابهكم العائلي، انك تشهين أمك، أليس كذلك؟» وقبل أن تجيب اضاف يقول: «ألن تقدمي لي فنجان قهوة، على الأقل؟»

فأجابت وأسنانها مطبقة: «حسناً، سأصنع القهوة.»

فقال ساخراً: «ما أروع هذا.» ولحق بها إلى مطبخها الصغير حيث أخذ يحدق حوله بفضول: «المكان لا يتسع حتى لأرجحة قطة.»

«ليس لديّ قطة لكي أؤرجحها.»

«إنني لن أشكوك إذن بتهمة القسوة على الحيوان.» تجاهلته فاليري إذ لم يكن مزاجها يحتمل مزاحه، وكانت مشكلة جيب هي حبه للمزاح، فهو لم يكن يأخذ أي أمر بشكل جاد، وكان هذا هو أحد الأسباب التي جعلتها ترفض قبوله بشكل جاد، وما الذي يجعلها تفعل ذلك؟

كانت تصنع قهوة فورية في فنجانين كبيرين، فهي لم تنظر حولها رغم شعورها البالغ بوجوده بقربها، وهو يفتح باب الثلاجة الصغيرة، متفحصاً محتوياتها الزهيدة والتي كانت هي تحفظها عن ظهر قلب. فقد كانت جميعاً بقايا أطعمة... بعض السلمون المدخن، وبعض الجبنة، وشريحة من الشمام وبعض الخس، وكانت تريد أن تصنع من هذا المزيج كله عشاء خفيفاً، فيما بعد، رغم أن هذه الفكرة لم تكن لتفتح شهيتها.

سألها وهو يعود فيغلق باب الثلاجة: «هل هذا كل ما لديك لتأكلي في البيت؟»

فقالت متحدية: «نعم، ان قهوتك جاهزة.» وحملت الصينية إلى غرفة الجلوس بينما هو خلفها مباشرة، تكاد تشعر بأنفاسه على رقبتها، وشعرت برغبة في إفراغ القهوة على رأسه بدلاً من أن تناوله إياها بابتسامة مهذبة.

«تفضل.» ثم حملت فنجانها وجلست على كرسي منعزلة بجانب النافذة، تاركة اياه ليجلس على الأريكة أو أي كرسي آخر.

ولكن الغضب تملكها وهي تراه يضع فنجانه على رف المدفأة، ثم يقرب كرسياً من كرسيها حتى كادتا تتلامسان، ثم عاد فأحضر فنجانه وجلس وهو يلقي عليها نظرة جانبية هازلة وهو يراها تكتم غيظها.

تغيرت ملامحه ونظر إليها جاداً: «أنا في منتهى الأسف لما سمعته عن التهديد بإقامة دعوى، ما الذي يقوله رجال القانون؟ هل هم قلقون؟»

فأومأت تقول وقد بان الجد عليها هي أيضاً: «لقد أمضيت عصر هذا النهار كله أتحدث إليهم. كيف سمعت عن القضية والمفروض أن تبقى حالياً سرية للغاية؟»

«إنني أعرف شخصاً يشتغل في الدائرة القانونية.» عند ذلك تذكرت فاليري، فتمتمت تقول: «صوفي!»

فنظر اليها بدهشة: «هذا صحيح، كيف علمت؟»

لكنها لم تخبره وإنما قالت بصوت متوتر: «من المفروض عليها أن تكون كتوماً، كما تعلم، ما كان لها أن تثرثر بما تسمعه مع كل أصدقائها.»

فقطب حاجبيه: «إنني واثق من انها لا تثرثر عن عملها على الاطلاق.»

«آه، معك فقط.» كانت فاليري تعلم ان لهجتها لاذعة، ولكنها تعمدت ذلك، فقد كان الحق معها وجيب يعلم ذلك، فقد كانت صوفي تعمل في مهنة خاصة دقيقة للغاية، فهي تسمع معلومات سرية يومياً، ولا شك أنها ستفقد وظيفتها إذا ما اكتشف أي شخص أنها ثرثارة، فالدائرة القانونية لا تستطيع أن تقبل موظفاً فيها يسرّب الأسرار.

تردد جيب لحظة وقد عقد حاجبيه، ثم قال باقتضاب: «انها تعلم أنني أعرفك.»

«وهذا سبب كان أحرى بأن يمنعها من إخبارك.»

توترت شفتاه وبان الغضب في عينيه الباسمتين على الدوام: «ها قد رجعنا إلى الخصام، أليس كذلك؟» وانفجر

فجأة يقول: «سننتهي، عاجلاً أم آجلاً، بأن نصبح كالقط والكلب، في الخصام... وأنا أعلم جيداً أنه ليس أنا من يبدأ هذه المخاصمات، انه أنت على الدوام، فأنت كالقنفذ، من أي مكان لمستك، يصيبني الوخز، ماذا حدث الآن؟ صادف أن ذكرت لي صديقة لي أنك واقعة في مشكلة، وكانت نيتها سليمة للغاية، ان صوفي صبية طيبة، وبعكسك أنت ليس لديها طباع سيئة أو ذهن متشكك، فقد كانت تتحدث عنك بعطف.»

أخذت فاليري تفكر ساخرة في كلامه هذا، وأذناها تطّنان من خشونة صوته الغاضب، صوفي تعطف عليها؟ وهي التي تنتظر لحظة كهذه كي تزيحها من طريق قلبه؟ يا لها من صدمة حزينة لها وهي تدرك أنها قد تطرد من عملها في الصحيفة، تاركة جيب لها بأكمله، ولكن كل ما قالته هو: «ومع ذلك ما كان ينبغي لها أن تخبرك.»

ساد صمت قصير، ثم سألها باقتضاب: «انك لن تخبري أحداً بهذا أليس كذلك؟ حيث أن وظيفتك أنت مهددة، من المؤكد انك لا تريدين أن تتسببي لصوفي بفقد وظيفتها.»

كان واضحاً أنه مهتم جداً بصوفي، حولت فاليري عينيها بعيداً وقد بدا الجمود في ملامحها، لم تكن من خلو البال بحيث تمازحه لاهتمامه الجاد بتلك الفتاة.

ولكن الحق كان معه، فهي حتماً لا تريد أن تكون سبباً في خسارة تلك الفتاة لوظيفتها، حتى ولو بدا على صوفي عدم اهتمامها بذلك كثيراً، إلا ان ذلك لا يعني مجازفتها بخسارة عملها.

فقالت: «كلا، لن أنطق بكلمة، ولكن الأفضل أن تحذرها

أنت من أنه إذا علم نيكولاس كاسبيان بأنها تثرثر عن شؤون العمل فسيسقط عليها كطن من القرميد.»

أومأ جيب قائلاً: «الحق معك تماماً، فهو رئيس فظ تماماً إزاء المخطئين.» سكت لحظة ثم عاد يقول بجفاء: «أتراه سقط عليك كطن من القرميد.»

فقالت: «كلا، كان عادلاً تماماً، كان خشناً، وإنما ذا ذهن عادل، لقد ألقى عليّ بعض الأسئلة الثاقبة، ولكنه منحني الفرصة للدفاع عن وجهة نظري، وقد استمع إليّ جيداً.»

«لقد قرأت المقابلة مع تلك الفتاة، وقد بدت لي ساذجة، حلوة... أما زلت تصدقين قصتها، أم ان الأمر اخذ يبدو وكأنها كانت تكذب؟»

نظرت إليه فاليري بثبات وقد بانت الحدة في عينيها: «لقد حذروني من الحديث عن القضية. آسفة.»

فأومأ جيب برأسه دون أن يبتسم: «انني متفهم، والحق معك، ما كان لي أن أسألك، ولكن إذا كانت هناك طريقة يمكنني بها مساعدتك، فما عليك إلا ان تطلبي.»

«شكراً.» قالت ذلك مجفلة وهي تخفض بصرها، وقد احمر وجهها قليلاً، وساد صمت آخر بينهما، ولكن بشعور مختلف هذه المرة، ما جعل الجو حافلاً بمشاعر غامضة لم تستطع فاليري تحديدها.

ونهض واقفاً فجأة: «والآن ماذا بشأن العشاء؟ لا اظنك تريدين حقاً أن تأكلي ذلك الخليط من المواد الموجودة في ثلاجتك؟ لماذا لا نخرج فنتناول وجبة حقيقية في مكان ما؟ انني أعرف مطعماً إيطالياً جيداً تماماً، وليس بعيداً من هنا.»

احمر وجهها وقالت متلعثمة: «كلا... أنا... اشكرك، ولكن... في الحقيقة... لا يمكنني ذلك، إنني اتبع ريجيماً خاصاً والطعام الإيطالي دسم جداً...»

فقال: «السمك لا يسبب السمنة، انهم يشوونه بشكل رائع مع اللوز... وهذا ليس دسماً، ويمكنك ان تبدإي بالشمام الذي لا يكاد يحتوي على أية حراريات.»

نظرت بيأس إلى النوافذ التي يغسلها المطر: «ان الخروج في هذا الجو هو جنون.»

«ان لديّ مظلتي، وسيارتي امام الباب، هيا بنا وكفى جدالاً.»

«ولكن...»

«لا أريد (ولكن) هذه... ان لدينا الكثير لنتحدث عنه.»

رمقته بحذر: «وما هو؟»

فأجاب وقد عادت إليه دعابته: «سأخبرك بقصة حياتي، ويمكنك ان تخبريني بقصتك.»

فقالت وهي لا تدري أتضحك أم تغضب لدعابته هذه: «ليس ثمة ما أخبرك عنه.»

«ان كل كلمة منك ستعجبني.» فضحكت بشيء من فروغ الصبر: «انك تظن نفسك خفيف الروح، أليس كذلك؟»

فقال بنظرة حزينة ساخرة: «يبدو أنك لست كذلك.» ثم جذبها من يدها خارج شقتها حيث هبطا السلم ومن ثم إلى الشارع وقد أمسك بالمظلة فوقهما إلى أن وصلا إلى السيارة.

كانت المسافة إلى المطعم الإيطالي قصيرة، واستطاعا توقيف السيارة قريباً من المطعم، سألته وهما يركضان تحت

المطر والمظلة فوقهما: «ماذا لو لم نجد مائدة خالية؟»

فقال يطمئنها: «بل سنجد.»

«انها ليلة الجمعة، وقد تكون الموائد مشغولة كلها.»

ادخلها إلى المطعم المزدحم المليء بالضوضاء ورآهما النادل فجاء يحيي جيب بابتسامة عريضة: «انك تأخرت، ولكنني حفظت لك مائدتك لأنني أعرفك.»

فألقت فاليري نظرة حادة متهمة على جيب، ولكنه لم ينظر إليها، وإنما منح النادل ابتسامة مشرقة: «شكراً يا ريكو، لقد حدث ما جعلني أتأخر.» وعند ذلك فقط ألقى نظرة قصيرة جانبية على فاليري، فضحك ريكو: «حسناً، انها تستحق ان تنتظرها، اهلاً بك في مطعم ريكو، يا سنيوريتا. أرجو ان نراك مرات كثيرة في المستقبل.»

أحست بجيب ينظر إليها فنظرت إليه، كان عابساً، وفجأة قال يحادث النادل: «هل احتفظت لي بمائدتي المعتادة، يا ريكو؟»

فتغير سلوك النادل فجأة، وقد فهم إشارة جيب الصامتة، وقال مشيراً إلى آخر الغرفة: «انك تعرف طريقك، هل أحضر الشراب أم انكما تريدان المقبلات أولاً؟»

فقال جيب وهو يجر فاليري خلال الموائد المتراصة: «الشراب، وشكراً يا ريكو.»

فقالت وقد كرهت لهجة السيطرة في صوته: «ربما كنت أريد المقبلات أولاً.»

فقال متحدياً وقد فرغ صبره: «أحقاً؟»

«كلا، ولكن...»

«وما الذي تشكين منه إذن؟»

فقالت بحدة وهما يصلان إلى مائدتهما: «لأنك لم تمنحني الخيار.»

جذب جيب كرسياً وأمسكه لها وهو يقول بوقار: «سأتذكر في المرة القادمة أن اسألك.» ولكنها لمحت السخرية من وراء وقاره هذا، فأدركت أنه يضحك منها خفية، فسألته: «متى حجزت المائدة؟»

فهز كتفيه: «انها محجوزة لي كل ليلة جمعة.»

فتمتمت متهكمة: «وكل أسبوع هنالك فتاة مختلفة؟»

نظر اليها مازحاً: «لا أستطيع ان اتصور السبب الذي جعلك تقولين ذلك.»

فضحكت بجفاء: «كلا بالطبع، ولكن ما الذي حدث للفتاة التي كان ينبغي أن تكون هنا بدلاً مني؟ هل ألقيت بها، أم ألقت هي بك؟»

«لم يكن لي موعد مع أية فتاة، وكنت أنوي أن اتصل هاتفياً وألغي الحجز، وأنا غالباً ما أفعل هذا، وريكو لا يمانع لأن المطعم ليلة الجمعة مزدحم على الدوام.»

قالت له: «لا تخبرني بأنها صوفي.» وهذه المرة ألقى عليها نظرة سريعة هازلة: «حسناً، لن أخبرك.»

سألها جيب عما تريد أن تشرب.

لم تكن تشرب سوى عصير الفواكه والمياه المعدنية، وهكذا طلبت كوكتيل من عصير الفاكهة، كانت معظم انواع الطعام دسمة تسبب السمنة، ولكن كان عليها أن توافق على ما نصحها به جيب الشمام والسمك والسلطة.

أما جيب فقد اختار إسكالوب وسمكاً وخضاراً طازجة وأنواعاً أخرى من أطعمة ايطالية لم تكن تعرف اسمها.

قالت له فاليري وهي تقلب شفتيها: «يبدو انك لا تستعمل نظاماً ضد السمنة.»

«إنني أقوم بتمارين رياضية عدة ساعات يومياً، ونادراً ما أتناول وجبة كهذه، كما أنني غالباً ما أهمل تناول طعام الإفطار ما عدا عصير البرتقال والقهوة، ومنذ سنوات لم يتغير وزني كثيراً.»

نظرت إليه متأملة، كان له قوام رياضي جيد، فهو طويل القامة، نحيفها، قوي العضلات، ورفعت بصرها إليه مجفلة فرأت نفسها تنظر في عينيه الساخرتين.

قال لها برقة: «انك هادئة بشكل يثير الأعصاب، بماذا تفكرين؟»

قالت: «أفكر بنظام النحافة من حسن حظك أن ليس عليك أن تزعج نفسك بذلك، أما أنا فكلما نظرت إلى البطاطا، حتى دون أن آكلها، يزداد وزني نصف كيلوغرام.»

جاء ريكو حاملاً أول نوع طلباه من الطعام، فحولت فاليري عينيها عن طبق الباذنجان اللذيذ الذي أحضره النادل لجيب، وهي تسأله: «ما الذي جعلك تتحول من العمل في المحاسبة إلى الصحافة؟»

فقال: «لقد سئمت التعامل مع الأرقام المالية العالية، كنت أكسب الكثير من المال، ولكن العمل كان كئيباً مرهقاً، انني أعلم ان الناس يعتقدون بأن أي شخص يعمل في المصارف، يحصل على أجر مرتفع، ثم ليس عليه أن يعمل سوى ساعات قليلة يومياً، ولكن هذا غير صحيح، والحقيقة هي انك إذا أردت ان تحتفظي بعملك وتحصلي على ترقية، فعليك ان تكوني هناك الساعة الثامنة صباحاً،

وغالباً ما تستمرين في العمل حتى الثامنة مساء، وكلما تطلعت إلى مركز أسمى، كلما كان عليك ان تتعبي في العمل، إلى أن تصلي إلى القمة، وبعد ذلك، كما أظن يمكنك أن تستريحي، فتخرجين وتلعبين الغولف، مستمتعة بثلاث ساعات في فرصة الغداء.» وعبس وهو ينظر اليها متابعاً: «ولم يعجبني أن أمضي حياتي أعمل كحمار المطحنة، وهكذا تركت ذلك العمل.»

فقالت: «لا ألومك على ذلك، فما تقوله مخيف.»

«البعض يحبون تلك الحياة، فهي تناسبهم، ولكنها لا تناسبني.»

«وكيف حصلت على العمل الذي تقوم به الآن، ما دامت ليس لديك خبرة خلفية في الصحافة؟»

فقال ضاحكاً: «كنت محظوظاً إذ وجدت عملاً في المحاسبة في صحيفة سنتنال، وذلك في الأيام التي كانت الصحيفة ما تزال بين أيدي آل تيريل، حصلت على تلك الوظيفة، ثم اخذت انظر إلى نفسي، مفكراً في الخطوة التالية، رأيت أن حصولي على ما أريد لن يكون سهلاً، فهذا سيتطلب الكثير من الوقت والصبر، لأنني كنت أنتقل من خبرة معينة، إلى أخرى، كما أنه لم تكن لديّ خبرة سابقة في الصحافة، وهكذا ابتدأت بالذهاب إلى معهد ليلي لأتعلم الكتابة الصحفية، وفي نفس الوقت، عقدت صداقات مع كل من يعمل في دائرة أخبار الأعمال، في الصحيفة، ابتدأت بكتابة أقاويل طريفة كنت التقطها من هنا وهناك، ثم كتابة قطع أطول، فمقالات في مواضيع مختصة، إلى ان كوّنت لنفسي إسماً، وفي النهاية استطعت أن أثبت في العمل هناك.»

نظرت فاليري إليه متأملة، ان قصته عن الكيفية التي حصل بها على العمل في سنتنال، أخبرتها عن جيب كولينغوود ربما اكثر مما كان يريدها أن تعرف.

لا بد للمرء من أن يعترف أنه موظف رائع، وعندما يريد أن يحصل على شيء، فليس ثمة حدود لصبره وعزيمته، أو لطموحه، آه، نعم، لقد قال ذلك بنفسه، متحدثاً عن مهنته، ولكن فاليري كان تفكيرها يذهب إلى حياته الخاصة، لم يكن جيب يخفي رغبته فيها، فهو يلاحقها منذ وقت طويل بعناد وثبات وصبر هائل، ولكنه لم يصل معها إلى شيء، لأنه كان متزوجاً.

فلماذا هي هنا مع جيب الآن، إذن؟ لم تعرف فاليري، فهي لم تكن تقصد الخروج معه، وإنما حدث الأمر هكذا... فقد حاورها وأقنعها بالخروج معه إلى العشاء، لقد كان جيب كولينغوود غاية في الإقناع.

لقد اكتشفت الآن الخطة التي يتبعها لكي يصل إلى ما يريد، فهو كالماء الذي يقطر على الحجر، سوف ينجح سواء عاجلاً أم آجلاً، كما يعتقد، حسناً، انه مخطىء، وهي قد ارتكبت غلطة بالمجيء معه إلى العشاء، ولكنها لن ترتكب نفس الغلطة مرة أخرى، فهذه المرة الفتاة هي التي ستهجر، وليس جيب.

الفصل الثالث

استمر هطول المطر صباح الأحد، واستيقظت جينا في السابعة مثقلة العينين وهي تتثاءب، فقط لتتفقد الجو، ثم تعود إلى سريرها متعثرة، كلا فهي لن تذهب بسيارتها إلى الريف لتتعلم الرسم هذا النهار.

وعندما استيقظت مرة أخرى حوالي العاشرة كان الجو مازال ماطراً، ولكن ما أن انتهت من تناول قهوتها وأكل تفاحة، كانت بقع من السماء الزرقاء قد أخذت تبرز من بين الغيوم الماطرة بغزارة، وعند الساعة الحادية عشرة والنصف استقلت سيارة أجرة إلى غرب لندن حيث شارع اكسفورد لترى آخر الأزياء التي وصلت لتوها إلى المتاجر.

وكانت في متجر دبنهام حين صادفت فاليري التي كانت قادمة لنفس الغرض.

«آه، مرحباً.» قالتا ذلك في نفس الوقت، ثم ضحكتا.

ثم قالت فاليري: «ظننتك ستذهبين خارج لندن في العطلة الأسبوعية.»

فقالت جينا: «كنت صممت على ذلك.» ثم شرحت لها سبب تغييرها لرأيها.

«آه، ما كان لك أن تجعلي المطر يمنعك، فمتعة الرسم بين الجدران هي نفسها في البرية.»

«هل تحسنين الرسم؟»

«حسناً، كنت ماهرة في ذلك تماماً حين كنت في المدرسة، وكنت أنوي متابعته جدياً، ولكنك تعرفين الحالة في هذه الوظيفة التي أقوم بها، فهي لا تترك وقتاً لشيء آخر، ولكن الرسم أفضل شيء لمعالجة الإرهاق النفسي، وأرخص.»

فقالت جينا ضاحكة: «لم أفكر في الرسم قط من هذه الناحية.»

فبادلتها فاليري الابتسام: «انها فكرتي أنا فقط بالطبع، فأنت تستغرقين في ما ترسمين حتى تنسي مشاكلك.»

نظرت اليها جينا بعطف: «وأنت حالياً، تعانين من المشاكل، أليس كذلك؟»

فاحمر وجه فاليري، وبدا عليها الإجفال: «ماذا تعنين؟»

«حسناً... بالنسبة إلى الدعوى القضائية.» قالت جينا ذلك فتغيرت ملامح فاليري، وقالت متلعثمة: «آه، نعم، طبعاً.» واستغربت جينا لهجتها هذه، ما هي المشاكل الأخرى التي تعاني فاليري منها يا ترى؟

سألتها فاليري: «اتظنين ماك كاميرون سيتابع القضية؟»

فتنهدت جينا: «من يعلم؟ غالباً ما يهدد الناس بإقامة دعوى، ثم يتراجعون عن ذلك قبل أن تصل القضية إلى المحكمة، أظن المسألة تعتمد عما اذا كان هو والد الطفل أم لا، فإذا كان متأكداً من أنه ليس هو، واستطاع إثبات ذلك، فسنقع نحن في المشاكل.»

تنهدت فاليري، قائلة: «نعم.» ولكنها كانت شاكرة لجينا تيريل لاستعمالها ضمير الجمع بقولها (سنقع نحن) دون أن تلقي المسؤولية عليها وحدها، وهكذا ابتسمت لها واندفعت تقول: «تبدين رائعة في هذا المعطف الأسود.»

ضحكت جينا وهي تنظر إلى معطفها الجلدي الأسود «انه معطف المطر الوحيد الذي لديّ، في الواقع، فقد اندفعت في شرائه دون تبصر، فأنا لا أرتديه كثيراً لأنه قصير اكثر مما ينبغي.»

فقالت لها فاليري: «ان الملابس القصيرة تناسبك. ماذا ستفعلين هذه العطلة الأسبوعية بدلاً من الذهاب إلى الريف.»

فقالت جينا: «الراحة فقط. فليس لديّ خطة للقيام بشيء، في الواقع، وأفضل ان امضي الوقت بالكسل.» وفكرت في أن تخبر فاليري بأنها ستذهب لرؤية ماك كاميرون على المسرح هذه الليلة، ولكنها رأت ان هذا ليس من اللباقة في شيء.

قالت فاليري: «هذه فكرة جيدة، اظنني سأفعل نفس الشيء.»

قالت جينا قبل أن تبتعد: «هذا حسن، أتمنى لك عطلة سارة.»

رأت في فاليري ما حيرها، فهذه الفتاة كانت لها سمعة الفتاة العابثة... فالرجال كانوا يدورون حولها على الدوام وكان يبدو عليها السرور البالغ من صحبتهم، كان المفروض ان تكون من محبي الحفلات، واللاتي يعشقن الأوقات الطيبة، ومع ذلك فقد كانت تبقى في العمل في المكتب مدة طويلة بعد خروج الآخرين، وكان لفابيان آرنود رئيس تحرير الصحيفة، فكرة سامية جداً عنها: «انها مجدة في عملها، كما ان لديها الاستعداد أيضاً، وهذا المزيج لا يحدث كثيراً.» وكان قد قال ذلك لجينا وكاسبيان أمس قبل استدعاء فاليري للحضور اليهم.

فأخذ كاسبيان يزمجر وهو ينقر على المكتب بأصابعه: «إممم...»

وكانت جينا تكره منه مزاجه هذا... عندما يكون متوتراً فارغ الصبر، غير مهذب.

لم يبد على فابيان انه لاحظ عبوس كاسبيان، وهكذا تابع يقول بهدوء: «وسيتملكني أسف بالغ إذا نحن خسرناها إذ سيكون من الصعب إيجاد بديل لها، ثم ان كتاباتها لامعة، فروحها فكهة، احياناً، ولاذعة أحياناً أخرى، ولديها موهبة حقيقية في اعطاء صورة عامة لشخص ما، في كلمات قليلة موجزة، وهي محبوبة جداً.»

فتمتم نيكولاس قائلاً: «إذا كانت تتطرق إلى المواضيع الخطرة، لتعرضنا إلى الدعاوى القضائية، فهي ستكلف هذه الصحيفة غالياً.»

ولكن فابيان بقي على إصراره: «حسب خبرتي بها، فهي حذرة للغاية وتتخذ المواضيع التي يمكنها إثباتها.»

فقال كاسبيان: «انك دوماً تساند موظفيك، يا فابيان.»

«فقط عندما أراهم يستحقون ذلك.»

وقد سرت جينا لما قاله فابيان، فقد كانت عادة على خلاف مستمر مع رئيس التحرير هذا، بعد أن لم تعد تثق به، فهو عندما جاء كان يبدو لطيفاً للغاية، ولكنها رأت فيما بعد أن لطفه كان سطحياً، وكان كأغلب السويسريين، يتكلم عدة لغات بطلاقة، ولكنها لم تكن تظنه صريحاً تماماً في أي منها، فقد كان دبلوماسياً اكثر منه مكافحاً في سبيل المبدأ، فعندما يثور نيكولاس كاسبيان، إحدى ثوراته العنيفة، كان هو يهدئه ويلاطفه، مستعداً للقيام بكل ما يريده نيكولاس،

والأسوأ من ذلك أنه كان رئيس التحرير في الوقت الذي كانت فيه سانتنال، تتحول من صحيفة جادة حسنة السمعة إلى صحيفة تنشر الأنباء الوقحة المثيرة دون وخز من ضمير، وذلك طلباً للمزيد من التوزيع.

كانت ترجو أن يتابع مساندة فاليري نايت، على كل حال، وذلك حين كانت عائدة إلى بيتها حيث تتناول عشاءها المؤلف من سمك وسلطة، وقد خطر لها أنها ابتدأت تحب فاليري اكثر من الأول، ربما بسبب شعورها بالعطف عليها، أو لأنها رأت ناحية من فاليري لم يلحظها أحد آخر.

أخذت جينا تفكر في أن عليها أن تدعوها إلى تناول الغداء في الأسبوع القادم لكي تزيد معرفتها بها، فمعرفة الأشخاص الذين يعملون في الصحيفة هو جزء من عملها.

لم يكن لديها أي أقرباء، وبوفاة السير جورج خسرت أفضل اصدقاءها، كان ما يزال لديها اصدقاء آخرون، طبعاً، هيزل وبييت، وفيليب سليد، والأهم منهم جميعاً صديقتها زميلة الدراسة، روز إيميري والتي تعرف عنها اكثر مما تعرف عن أي شخص آخر في العالم.

ولكن وفاة السير جورج علّمها دروساً لا تمحى، واحداً منها هو سواء كنت سعيدة أم حزينة، رفيعة المقام أم لا، فلا بد لك من أناس في حياتك يهتمون بك، فبعد شهور من تلك الأحداث المأساوية في الشتاء الماضي، أخذت تعتمد على روز ودانيال بروني، خطيب روز، وهيزل وبييت، وفيليب سليد، وبدونهم كان شعورها بالوحدة عشرة اضعاف ما هو الآن، وجينا الآن تتخذ الأصدقاء قدر إمكانها وحيثما تكون وكان رائعاً لو أنها وفاليري اصبحتا صديقتين.

لم تكن جينا تحب فاليري على الإطلاق، حتى هذا الأسبوع، وذلك لسبب واحد، وهو أن فاليري كانت رمزاً لما كان يحدث في سنتنال، فكتاباتها كانت تتوخى الظهور بوقاحة وفظاظة، وكان هذا سبب نجاحها.

لكن الحواجز بينهما سقطت فجأة، فقد كانت فاليري ودوداً هذا الصباح، لأنها كان قلقة دون شك، فلم تشعر جينا بالأسف لأجلها فقط، وإنما أحبتها اكثر بكثير، ولكن جينا كانت تفكر في أن لديها الحق طبعاً في عدم اخبارها بأنها ستذهب هذا المساء لرؤية ماك كاميرون على المسرح.

رغم أنه كان لديها مديرة منزل كانت تأتي طوال أيام الأسبوع لتنظيف المنزل، فقد كانت تحب ان تعتني بنفسها أثناء العطل الأسبوعية، إلا اذا كان لديها ضيوف، فقد كانت تمضي معظم أيامها يحيط بها الناس، ولهذا فقد كان رائعاً أن تكون وحدها أحياناً وذلك لكي تفعل ما تريد دون اهتمام لما يظنه الآخرون.

وفيما بعد عند العصر صحا الجو فترة فخرجت في بذلة رياضية لتركض على ضفاف النهر، ناظرة إلى تألق انعكاس الأنوار على صفحة المياه، بينما طيور النورس تلاحق بعضها البعض، لقد اقترب فصل الخريف واصفرت أوراق الشجر، ما بين بنية اللون وذهبيته.

كان النهار يقصر أيضاً، حيث لاحظت أن ضوء النهار قد أخذ يستحيل إلى شفق، فاستدارت عائدة وإذا بها بعد لحظة تلمح راكضاً متجهاً نحوها، كان فارع القامة في بذلة سوداء وشعره القاتم يتطاير مع الريح، ولم تكن بحاجة إلى اكثر من نظرة لكي تدرك من يكون، وهكذا شعرت بقلبها يخفق بعنف.

وعندما أصبح بموازاتها وتقابلت اعينهما، قال لها نيكولاس وقد ثار غضبه وتوترت ملامحه: «هل أنت مجنونة إذ تركضين في هذه المنطقة وحدك عند حلول الظلام؟» ومد يده يقبض على ذراعها.

فقالت له محتجة: «لا يوجد هنا سوى ولدين.»

فالتمعت عيناه: «بالضبط، فإذا هاجمك أحد فليس هناك أحد ليتقدم لإنقاذك.»

لم تستطع أن تنكر أن هذا فرع صغير منعزل من الطريق العام يمتد بمحاذاة النهر، والمارة فيه قليلون، ولكنها لم تكن تشعر بالقلق لهذا.

وأخذت تجادله بقولها: «هنالك مجمعات شقق على الضفة الأخرى للنهر، ولا بد أن يلاحظ أحد فيما لو هوجمت، فيتصل بالشرطة، وعلى كل حال كان ضوء النهار شاملاً حين خرجت.»

فنظر حوله وقد بدت السخرية الباردة على وجهه: «ولكنه ليس كذلك الآن.»

كان ضوء النهار يتلاشى بسرعة، والسماء تتلبد فيها السحب بينما عادت الريح إلى الهبوب، فارتجفت جينا.

فقال: «كما أن الجو بارد بالنسبة للركض، على كل حال.»

فتمتمت غاضبة: «هذا بالنسبة إليك وليس إليّ.»

«لقد خرجت فقط لأنني رأيتك تخرجين، فلم اصدق عينيّ، ولم أظن انك من الممكن أن تكوني متهورة بهذا الشكل، فهذه المنطقة ليست آمنة بالنسبة إلى امرأة تخرج وحدها عند المساء، وهكذا لحقت بك لكي اطمئن إلى أنه لن يحصل لك ضرر.»

فهتفت مجفلة وقد احمر وجهها: «آه... كان هذا... انني واثقة من أن نيتك كانت... ولكن ذلك لم يكن ضرورياً، فأنا سالمة كما ترى، وأنا غالباً أخرج للنزهة.»

فقال بحدة: «حسناً، لا تفعليها مرة أخرى وحدك، وفقط اثناء النهار وإذا كان هناك أناس كثيرون، انك لا تريدين أن تصبحي في احصائيات الجرائم التي تصلنا من اسكوتلنديارد اسبوعياً، أليس كذلك؟»

فأخذت ترتجف مرة أخرى، بينما عبس نيكولاس بها مرة أخرى: «ربما أصبت بالبرد، عليك بالعودة على الفور وأخذ حمام حار.» ثم انطلق عائداً نحو المبنى الذي يضم شقتيهما، جاراً إياها معه.

كانت جينا من الإرتجاف بحيث لم تستطع المناقشة، فقد تأثرت مشاعرها لفكرة أن نيكولاس شعر بالغضب ولحق بها عندما رآها تخرج وحدها، أتراه يهتم بها حقاً؟ أرغمت نفسها على متابعة السير إلى أن دخلا أخيراً المبنى حيث يسكنان، ثم إلى حيث المصعد.

استندت إلى الجدار وهي تلهث بينما انتشر الألم في عضلات ساقيها.

أخذ نيكولاس ينظر إليها عابساً بشماتة، ثم قال: «ان مظهرك في حال سيئة، لقد كنت أقمت أجهزة رياضية في بلازا، كما تعلمين، ويمكنك أن تستعمليها وتصلحين من... من مظهرك.»

واقترب منها فابتعدت عنه خطوة وهي تقول بغضب: «إياك.» ثم ابتعدت عنه.

«يوماً ما، يا جينا...»

حاولت أن تتجاهله، ولكنه كان يملأ احاسيسها، وتمنت لو ان بإمكانها أن تقرأ أفكاره، كانت أحياناً تتأكد من اهتمامه بها، وإلا ما الذي يجعله يلحق بها خوفاً من أن يصيبها أذى؟

ولكنها لا تستطيع أبداً أن تنسى كيف خدعها من قبل، إذ جعلها تعتقد بأنه يحبها وأن بإمكانها أن تثق به، وإذا به يحاول اختطاف سنتنال من وراء ظهرها ما جعله يتسبب بنوبة قلبية للسير جورج أودت بحياته، في تلك اللحظة، قتل نيكولاس حبها له، وقد أقسمت حينذاك على أنها لن تصفح عنه أبداً، وأنها ستجعله يدفع ثمن فعلته تلك، ولكن الحب والكراهية ما انفكا يتصارعان في نفسها منذ ذلك الحين، ما أرهق اعصابها، كانت أحياناً تريد أن تبتعد عنه، وتنسى كلياً أنها عرفته يوماً ما... تنسى سنتنال والسير جورج وكل تلك المشاعر التي بقيت تجيش في نفسها شهوراً طويلة، ولكن احساسها بالواجب هو الذي تبقى، والواجب ما هو إلا عزاء بارد لقلب مستوحش.

خفضت نظراتها بجمود وهي تتمنى لو يسرع بهما المصعد، كان عليها ان تبتعد عنه قبل أن تجن، وأخيراً توقف المصعد، فاندفعت خارجة متوجهة إلى باب شقتها دون أن تنظر خلفها.

ولكن نيكولاس كان خلفها ولم تواتها الفرصة للدخول إلى شقتها وصفق الباب في وجهه، ذلك أنه كان أسرع منها، وهكذا استدارت إليه وهي تندفع بالقول، وقد شحب وجهها: «لماذا لا تتركني وشأني؟»

فأجاب بصوت كالثلج: «سأفعل ذلك بعد لحظة، ولكنني

أريد ان اذكرك بتلك الرحلة إلى كاليفورنيا أظن من الضروري أن تأتي معنا، وإذا أنت رفضت سيكون عليّ ان آتي على ذكر ذلك في اجتماع مجلس الإدارة المقبل، وبصفتك من المدراء العاملين، فأنا انتظر منك ان تكوني طرفاً في كل مشروع نقوم به، ان أي شخص آخر في مكانك هو مستعد للموافقة على الانضمام الينا في هذه الرحلة، وهو مطلب منطقي، على كل حال، فإذا بقيت على رفضك، عليك أن تتخلي عن مقعدك في مجلس الإدارة.»

لمعت عيناها الخضراوان غضباً، ولكن الغضب لم ينفعها بشيء، ذلك أن نيكولاس لم يترك لها أي خيار... فقد كانت تعلم أن بقية مجلس الإدارة سيرون الأمر بالطريقة التي يراها هو وليس هي، فهم لن يفهموا سبب رفضها، وهي لا تستطيع شرح الأمر، رغم أنها كانت تعلم أن نيكولاس يعلم تماماً سبب رفضها الذهاب إلى اميركا معه.

وأخيراً قالت كارهة: «حسناً جداً، سآتي معكم.» فابتسم وعيناه تلتمعان بالفوز، وقال يأمرها: «والآن إذهبي وخذي حماماً ساخناً.» ثم استدار متجهاً نحو باب شقته.

تمنت جينا لو تصرخ، وبقيت نظرة الشماتة التي رأتها في عينيه امام ناظريها وهي تستحم ثم ترتدي ملابسها ثم تخرج إلى حيث استقلت سيارتها متجهة نحو مركز المدينة.

كان من الصعب العثور على محل لتوقيف السيارات في وسط لندن وذلك اثناء ليلة السبت، ولكن جينا كانت تعلم أنها ستجد مكاناً قرب كوفن غاردن والذي كان على مسافة قصيرة من المسرح، الذي كانت ذاهبة إليه ذلك المساء، وهكذا تمكنت من توقيف سيارتها في شارع جانبي، وكانت

الساعة عند ذاك السابعة إلا ربعاً، ولكن كان ما يزال هناك كثير من الناس يتسكعون في المكان.

تناولت عشاء خفيفاً في مطعم قريب، وعندما أنهت القهوة بعد ذلك أسرعت إلى المسرح، كانت الموسيقى بهيجة سريعة مليئة بالألحان، كما كان ماك كاميرون رائعاً في تمثيله، فهو يرفض ان يغني ويثير البهجة والضحك بنفس قدرته على التمثيل، وقد كانت جينا كالمسحورة خلال الفصل الأول، وبدا أن بقية المتفرجين كانوا مسرورين جداً، وعندما خرج الجميع في فترة الإستراحة كان هناك لغط كبير من التعليقات، وأثناء انتظارها لعصير الفاكهة الذي طلبته، أخذت تستمع إلى ما يقوله الناس. «ان صوته رائع، يجب ان اشتري منهاج العرض.» قالت مراهقة لصديقتها: «انه يبدو أقصر مما كنت أظن.»

«انك مجنونة يا كارين، فطوله يبلغ الستة أقدام على الأقل.»

وعندما وقفت جينا لتدفع ثمن شرابها، كانت فتاة شقراء امامها تحدث رفيقها: «يا له من فنان، من أين تراه حصل على كل تلك الطاقة والحيوية؟ لم اكن اظنه بهذه المهارة قط، أليس كذلك، يا جيمي؟»

أجاب الرجل الذي بجانبها: «خصوصاً في مثل هذه السن.» وكان المتكلم متوسط السن أصلع الرأس، أنيق الملابس.

«لكنني لا أظنه كبيراً في السن إلى هذه الدرجة، أظنه في بداية الثلاثينات.»

«بل في بداية الأربعينات انه أكبر مني سناً.»

فأخذت الشقراء تضحك: «من تراك تخدع يا جيمي.»

فنظر إليها الرجل الأصلع غاضباً، ثم أشاح بوجهه يطلب الشراب لهما، فالتقت عينا المرأة بعيني جينا فغمزتها.

كان الجو في صالة المسرح المزدحمة شديد الحرارة، وكان حلقها جافاً، فحملت شرابها وابتعدت عن منضدة البيع.

كانت على وشك انهاء الشراب عندما نطق شخص خلفها باسمها. «جينا؟ انك جينا تيريل، أليس كذلك؟»

استدارت إليه مجفلة وقد اتسعت عيناها، ومضت لحظة لم تستطع فيها أن تعرف المتكلم الذي كان يبتسم لها.

فعاد يكرر: «أنت جينا، أليس كذلك؟» عند ذلك أومأت باسمة وقد تذكرته. «نعم، هذا صحيح، انني لم أرك منذ وقت طويل، يا سير ديرموت، منذ...» وسكتت وهي تدرك أن ذلك كان منذ جنازة السير جورج تيريل، وفي الواقع كانت معرفتها بالسير ديرموت غاسكيل من وراء معرفتها بأبيه، برندان غاسكيل والذي كان زميل الدراسة للسير جورج، وقد توفي السير برندان قبل السير جورج بسنوات.

أومأ السير ديرموت يقول: «منذ وفاة السير جورج.» وقال وهو يتنهد: «لشد ما أفتقده.»

فأومأت تقول: «وكذلك أنا.»

كان السير ديرموت عضواً في مجلس إدارة سنتنال إلى حين استلام نيكولاس كاسبيان للصحيفة، ولكنه استقال احتجاجاً بعد وفاة السير جورج مباشرة، وقد احترمت جينا فيه موقفه ذاك، رغم أنها هي نفسها قررت البقاء ومحاربة كاسبيان من مركزها في الصحيفة، وفي ذلك الحين،

شرحت قرارها هذا للسير ديرموت وقد وافقها هو على ذلك، قائلاً: «حسناً انني متفهم لمنطقك هذا، ولكنني اشك في امكانك القيام بشيء، فأنت شابة ولا تعرفين من تقفين ضده، لقد وضع كاسبيان هذا يده على الصحيفة الآن، وأنا لن أبقى متفرجاً عليه وهو يدمرها، ولكنني أظن ان الرجل العجوز كان سيوافق على بقائك ومحاربته، فتلك هي طريقته، ولكنها ليست طريقتي... وربما كنت أنا على خطأ، ولكنني ذاهب قبل أن يطردني، كما سيحدث سواء عاجلاً أم آجلاً، فكاسبيان لا يريدني فأنا من بقايا عهد تيريل.»

ثم سأل جينا والدهاء يطل من عينيه: «وكيف الحال في سنتنال، هذه الأيام؟ ألم تنجحي بعد في أية معركة؟»

فقالت: «ان نيكولاس كاسبيان يحصل على ما يريد في أغلب الأحيان، ولكنني أتحداه على الدوام.»

«هذا حسن، والسير جورج كان سيفتخر بك.» نظر حوله. «ان المكان محتشد هذه الليلة، اننا نحقق ربحاً وفيراً عندما يكون ماك على المسرح.»

فقالت بحيرة: «أنتم؟»

فقال ضاحكاً بسرور: «إنني أحد الممولين لهذا العرض.»

«هذا حسن جداً، هل تربح كثيراً من وراء تمويل العروض المسرحية؟»

أجابها بجفاء: «ليس دوماً، مرة واحدة من كل ثلاث مرات، ولكنني أحاول ان أعثر على المسرحيات المنتظر أن يدوم عرضها طويلاً، بطبيعة الحال، من هنا تبدو المهارة... فإذا كانت لك نظرة صائبة في ما يفضله

الجمهور، فذلك يوفر لك فرصاً أفضل، لكنك بحاجة إلى الحظ كذلك، فعندما علمت أن ماك كاميرون وقع عقداً لتمثيل هذه المسرحية، قفزت لاغتنام فرصة تمويلها بالطبع.»

«هل تعرفه شخصياً؟ ما رأيك فيه؟»

نظرت السير ديرموت بإمعان، ثم أجاب وهو يغمز بعينه: «انه ودود جداً، هل أنت من جمهوره؟ اننا سنتناول، أنا وزوجتي، القهوة معه بعد انتهاء العرض، فلماذا لا تجلسين معنا؟ الأمر غير رسمي على الاطلاق، قهوة فقط في الغرفة الخضراء حيث سيكون هناك الكثير من الناس، كالعادة على الدوام، ولكن قد تجدين فرصة تتحدثين فيها إليه.»

ترددت جينا وقد تملكها الإغراء، يبدو أن السير ديرموت لم يسمع بقصة الدعوى القضائية المحتملة، ولكن عندما يقدمها إلى ماك كاميرون ما الذي سيظنه الممثل وهو يراها هنا حالما أعلن محاميه تهديده لإدارة سنتنال؟

وطبعاً، لا بد أن السير ديرموت سيذكر علاقتها بالصحيفة... أفلا يظن ماك كاميرون ان نيكولاس كاسبيان أرسلها؟ ربما سيظن ان وجودها هو لتهدئة الأمور والقيام بتقارب شخصي نحوه، فقد يقفز إلى استنتاجات عديدة... ما عدا أنها ليست هنا بمجرد المصادفة.

فقالت ببطء: «اشكرك، يا سير ديرموت.»

فقال باسماً: «مع السرور، اننا نجلس في إحدى المقصورات وقد رأيتك في المقاعد الأمامية، هل اخبرك ماذا تفعلين؟ انتظري في مقعدك، وسآتي أنا اليك لنأخذك معنا إلى خلف خشبة المسرح، فإلى اللقاء إذن.» وربت على

كتفها، ثم غاب عن الأنظار قبل ان تتمكن جينا من التفوه بكلمة، وبينما أخذت تفكر في ما عليها أن تفعل، قرع جرس الإستراحة فأخذ الناس بالعودة إلى مقاعدهم.

إرتفع الستار، وارتفعت الموسيقى مرة أخرى، فاستسلمت إلى متعة العرض، ثمة شيء واحد لم يكن فيه شك... وهو أن ماك كاميرون كان نجماً متألقاً، فالمرء لا يستطيع أن يحول عينيه عنه عندما يقف هو على المسرح، كما أن جاذبيته كانت تخطف الأنفاس، لقد كانت جينا رأته في الأفلام، ولكنها لم تره على المسرح من قبل، وهي قد أصبحت تفهم الآن السبب الذي جعل مولي غرين تقع في غرامه من أول نظرة.

جاء السير ديرموت إليها ليأخذها، بعد أن خرج بقية المتفرجين وبقيت هي في الإنتظار، قد يكون هذا جنوناً، ولكنها كانت تريد ان تقابل ماك كاميرون لترى إن كانت جاذبيته من قرب، هي نفسها التي يبدو فيها على خشبة المسرح.

عندما دخلوا إلى حيث الحفلة، كانت هذه في أوجها، فأخذ السير ديرموت وزوجته شيلي، جينا في جولة في القاعة المزدحمة حيث عرفاها إلى الفنيين والممثلين المشتركين في المسرحية، هذا عدا عن الاصدقاء والمقربين وآخرين من ممولي العروض المسرحية.

بقيت نظرات جينا متعلقة بتلك الدائرة، والتي كان أغلبها من النساء، والتي كان ماك كاميرون في وسطها، وقد أزال الأصباغ عن وجهه فبدا شعره مبللاً وكأنه اخذ دوشاً بعد نزوله عن المسرح، ومرتدياً معطفاً منزلياً ذا لون أسود موشى بالذهب.

رأى السير ديرموت تردد نظراتها على الممثل، فضحك

قائلاً: «آه، تعالي وقابليه، يا عزيزتي، فهو سيخرج حالاً على كل حال، وذلك ليغير ملابسه ويذهب لتناول العشاء، فهو لا يأكل مطلقاً قبل العرض، قائلاً ان ذلك يجعله يتقيأ... وهكذا بعد العرض، يكون جائعاً للغاية.»

ثم أمسك بيدها يجرها نحو الحلقة، ثم من فوق رؤوس المحيطين بالممثل، قال بصوت المسيطر: «ألم يحن وقت تغيير ملابسك، يا ماك؟»

فأدار ماك كاميرون عينيه نحوه، باسماً: «هل هذا أمر يا ديرموت؟ وكيف استطيع الرفض؟» وهز كتفيه لجمهوره، قائلاً: «المعذرة من كل منكم، عليّ ان أترككم الآن.»

واتجه نحو الباب يتبعه السير ديرموت وما زال هذا جاراً جينا بيدها.

عند ذلك أصبحا في الممر المعتم، ففتح ماك كاميرون باباً ثم وقف امام فيض الضوء الأصفر الذي تدفق من الغرفة خلفه، ثم التفت إلى السير ديرموت وهو يبتسم له بتكاسل.

«شكراً لك لإنقاذي، وإلا لبقيت هناك طوال الليل.»

«رأيتك تبدو متعباً، لا تتأخر في تناول العشاء هذه الليلة، يا ماك، اذهب إلى فراشك مبكراً ولو مرة واحدة.»

فضحك الممثل: «إنني لست كالدجاج، يا ديرموت، فأنا أحب الاستيقاظ طوال الليل، ثم النوم إلى ساعة الغداء، فهذا يناسبني.» وتحولت عيناه إلى جينا فارتفع حاجباه بحدة ثم عاد ينظر إلى ديرموت: «اظنني رأيتك مع زوجتك شيلي؟»

«هذا صحيح، وهي في الحفلة تنتظرني، فلا تقفز إلى تفسير خبيث للأمر، وجينا صديقة الأسرة... وهي متلهفة إلى التعرف إليك، وهكذا أحضرتها إلى هنا.»

شعرت جينا بارتباك بالغ، ولكن ماك كاميرون ابتسم وهو يمد يده لمصافحتها، محدقاً في عينيها الخضراوين الواسعتين: «جينا... يا له من اسم موسيقي، انه يليق بك، أرجو ان تكوني استمتعت بالعرض.»

فقالت بصوت خافت: «آه، نعم... لقد كان العرض رائعاً...» وسكتت لحظة، ثم لم تستطع أن تمنع نفسها من القول: «وكذلك أنت.»

فقال جاداً: «اشكرك.» بدا لها وكأنه مهتم بها حقاً، وكانت هذه سخافة منها، طبعاً، حيث انهما لم يتعارفا إلا منذ لحظات.

«لم اكن أعلم انك تحسن الغناء فأنا لم أرك تغني في أي من افلامك.»

«ذلك لأنني لم امثل بعد افلاماً غنائية، ولكنني آمل انهم قد يخرجون فيلماً من هذا النوع، فالمشكلة هي أن الفيلم يستغرق وقتاً طويلاً لكي يصل إلى مرحلة الإخراج... وعندما ينتهون من ذلك ربما اكون قد أصبحت اكبر سناً من ان اصلح لدور البطولة.» وضحك ليظهر ذلك وكأنه مزحة، ولكنها رأت اظلام عينيه، فأخذت تتساءل عما إذا كان قلقاً بشأن مرور الزمن ما يهدد بكبر السن.

فقالت برقة: «ولكنك، وانت الممثل الرائع، لن يغيرك خسارة دور، انك ستبقى دوماً أحد كبار نجوم الشاشة.»

اتسعت عيناه وقال ضاحكاً: «انك تعجبينني، يا جينا، فانت تقولين كل الأشياء التي ينبغي أن تقال، لماذا لم اعرفك قبل الآن، اسمعي، هل أكلت؟ انني ذاهب لأتناول عشاء خفيفاً، فلماذا لا تأتين معي؟» ونظر إلى السير

ديرموت الذي كان مستغرقاً في النظر اليهما. «وأنت وشيلي طبعاً.»

«كلا، فأنا وشيلي لا نحب التأخر خارج البيت، يا ماك، ولكن يمكنك أن تأخذ جينا بكل تأكيد، إنني سأعود إلى شيلي الآن، يا عزيزتي، فاستمتعي بوقتك.»

فأخذت تعترض، قائلة: «آه، ولكن...» ولكن السير ديرموت كان قد تركها وابتعد في الممر المعتم.

فقال ماك كاميرون وهو يدخلها إلى غرفة ملابسه: «تعالي انتظريني هنا إلى ان أنتهي من تغيير ملابسي.»

جمدت جينا في مكانها، وقد اتسعت عيناها تشككاً، فضحك متفكهاً: «يمكنك ان تجلسي هنا في مقعدي المريح هذا.» ودفعها برفق نحو مقعد رث بذراعين فغاصت فيه، نظر إليها ماك ساخراً: «وسأغير ملابسي خلف الستار.»

وأثناء ارتدائه ملابسه، أخذ يتحدث إليها: «ما الذي عناه ديرموت بقوله انك بمثابة فرد من أسرته؟»

فقالت وقد تملكها التوتر خوفاً من أن يسألها عن اسم أسرتها فيعلم عند ذلك من هي: «كان جد زوجي صديق والده.»

ولكنه لم يسألها وإنما قال: «هذه صداقة معقدة.» ثم اضاف بصوت حاد: «زوجك؟ هل أنت متزوجة؟»

«لقد مات.»

«آه، أنا آسف، منذ متى؟»

«منذ ست سنوات.»

«ست سنوات؟ لا بد انك تزوجت عندما كنت ما تزالين تلميذة.»

فقالت: «كنا صغيرين، نحن الاثنين، كنا صغيرين جداً، فقد كان جايمس ما يزال مراهقاً في تفكيره، فقد كان عنيفاً طائشاً، ولولا ذلك لما وقع له حادث السيارة الذي قتله.»

ساد صمت خرج ماك كاميرون بعده من وراء الستار مرتدياً بذلة مسائية أنيقة وقد بدا فيها من الجاذبية بحيث اخذت جينا تقاوم رغبتها في التحديق فيه ذاهلة، بينما جلس هو إلى مائدة الزينة وأخذ يسرح شعره بفرشاة فضية، أخذت تنظر إليه فلاحظت أن شعره ابتدأ يخف من الأمام، ولكنه لم ينقص من وسامته.

سألها وهو ينظر إليها في المرآة: «هل اعاقك ذلك عن الزواج مرة أخرى؟»

فأجفلت لهذا السؤال، ثم قالت ببطء: «ربما.»

فقال هو ببساطة: «لقد حدث معي الشيء نفسه.»

فتملكتها الدهشة: «لم اكن أعلم انك كنت متزوجاً.»

«نعم، لقد تزوجت أثناء سني المراهقة، وكان الأمر كارثة، لقد ماتت، هي أيضاً، منذ عهد غير طويل، فقد كنا تطلقنا بعد عدة سنوات وتزوجت هي مرة أخرى وأنجبت عدة أولاد، سمعت السنة الماضية بأنها ماتت نتيجة اصابتها بالسرطان.»

«هذا محزن.» وأخذت تنظر إليه وهي تتساءل إلى أي حد تأثر بموتها.

لكنه وقف واضعاً الفرشاة من يده وهو يقول: «لا بد أن الأمر كان كذلك بالنسبة إلى زوجها وأولادها، ولكن عليّ أن اكون صادقاً، فأنا لا أكاد اتذكرها، ان كل ما أتذكره هو مشاجراتنا معاً، والمنازعات التي لم تكن تنتهي.» ونظر

إليها بثبات: «جينا، إنني دوماً أنذر الفتيات قبل الخروج معهن، فأنا لا أريد ان يتملكهن الوهم، أو يلقين باللوم عليّ فيما بعد، فأنا اكره الزواج، وقد قررت أن لا أتزوج مرة أخرى، وأنا لا أقول هذا جزافاً، بل أعنيه تماماً، فأنا لست من النوع الذي يتزوج، فأنا أكره المسؤولية، والعودة كل ليلة إلى البيت وإلى نفس المرأة، إنني احب جنس النساء إلى حد لا أريد معه أن ارتبط بامرأة واحدة.» وارتدى معطفه الكشمير، ثم التفت يواجهها ثم رفع حاجبه: «لقد كنت صريحاً معك، والآن، الأمر يعود إليك. فإذا لم يسرك الخروج معي بعد أن عرفت مشاعري، فاخبريني منذ الآن، عندئذ سنقول (ليلة سعيدة) ثم نفترق صديقين.»

أخذت جينا تحدق إليه، ثم قالت ضاحكة: «كم من المرات ألقيت هذه المحاضرة؟»

فقال وهو يبادلها الضحك: «مئات المرات.»

«وهل كن يصدقنك؟»

«البعض منهن فقط، أما الأخريات فكن يشتمنني ثم يتركنني، شامخات الأنوف.»

«ولكنهن غالباً ما يقلن انهن متفهمات لذلك، ثم يأملن في أن تغير رأيك، أليس كذلك؟»

فنظر إلى عينيها الهازلتين: «انك تعجبينني، يا جينا، ما اسمك العائلي؟»

«وماذا يهمك هذا؟ ما دمنا مجرد سفينتين تمران ببعضهما البعض ليلاً؟»

فضحك قائلاً: «الحق معك، فلنمتع نفسينا إذن.»

خرجا إلى سيارة الليموزين الواقفة في الانتظار، ثم

سارا خلال الشوارع المتألقة بالأضواء إلى مطعم شهير حيث أحدث ظهور ماك شيئاً من الإثارة، فمالت الأعناق وبدا الفضول في النظرات، كما ان بعض النظرات انصبت على جينا، هي أيضاً، ولكنها لم تكن من الشخصيات المعروفة رغم أن وجهها يظهر في أعمدة الصحيفة من وقت لآخر، وكانت ترجو أن لا يكون هنا من يعرفها.

كان ماك جائعاً للغاية، كما قال ولكن جينا اخبرته بأنها كانت تناولت الطعام الساعة السابعة، فهي غير جائعة.

فقال ببرودة: «سأطلب طعاماً لنا نحن الاثنين، ولك الخيار في أن تأكلي أم لا.» ثم قال للنادلة: «وجبتي المعتادة يا لويزا.»

فقالت له النادلة: «السوفليه اليوم بالسمك المدخن، يا سيد كاميرون.»

فقال: «هذا رائع، فهو ما أحب.» ثم نظر إلى جينا. «هل تحبين سوفليه السمك المدخن؟»

«لا اظنني أكلته من قبل، ولكنني أحب السمك المدخن.»

لم تكن تظن أن بإمكانها أن تأكل شيئاً، ولكن عندما أتى الطعام ذي الرائحة الشهية، أخذت شيئاً منه واستمتعت به.

أثناء تناولهما الطعام، كان ماك يتحدث وهي تستمع إليه، كان ذكياً خلاباً غزير المعلومات عن المسرح والسينما، ولكن قصصه المرحة الشيقة عن مهنته هي ما أعجبها.

وعندما سكت ليسألها بأدب: «أي عمل تقومين به يا جينا؟»

أجابته قائلة بسرعة: «آه، انني اعمل في مكتب، حدثني بالمزيد عن فيلمك الأخير.»

كانت تمضي معه وقتاً من أجمل الأوقات، ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل كيف يكون شكله عندما تراه يومياً، هل هو دوماً هذا النجم المسرحي؟

دفع قائمة الحساب حوالي الواحدة صباحاً، ثم اتجها نحو الباب، وفتحه رئيس الندل لهما، عند ذلك وضع ماك ذراعه حول جينا ليقودها في الشارع، وإذا بوميض آلة التصوير يلتمع، ثم تبعه آخر، وحدقت جينا فزعة مبهورة النظر إلى المصور الذي كان توارى عن الأنظار.

كان ماك بالغ البشاشة وهو يقول لها: «إنه ثمن الشهرة مع الأسف، يا عزيزتي، فالسلوك مكشوف دوماً للآخرين، وقد تعلمت قبول ذلك وأنا أتأوه...» وفي الواقع بدا مسروراً بنفسه وقد أرضت تلك الصورة زهوه بنفسه، ولكنه تصنع آهة عميقة وهو يتابع مظهراً الحزن: «ولكنني أرجو أن لا يكون لديك مانع في أن تظهر صورتك في الصحف الشعبية عند الصباح.» لكن جينا كانت لديها جميع الموانع.

الفصل الرابع

كانت فاليري ماتزال نائمة في سريرها عندما قرع جرس الباب. فتثاءبت، ثم جلست وهي تنظر الى المنبه، وإذا بها تجفل. فقد كانت الساعة السادسة صباحاً. وعاد جرس الباب يقرع، فنزلت من السرير وتناولت معطفها المنزلي تضعه على جسمها. من تراه يأتي في مثل هذه الساعة؟

فتحت الباب قليلاً بعد ان تأكدت من أن سلسلته ثابتة، ثم أخذت تتلصص من الشق.

ثم شهقت: «أنت؟ ما الذي جاء بك لتوقظني في مثل هذه الساعة من الصباح؟»

فقال جيب عابساً: «افتحي الباب، يا فاليري.»

«كلا لن افتح. ابتعد من هنا.» وحاولت ان تغلق الباب في وجهه، ولكنه وضع قدمه في العتبة، ثم رفع بيده صحيفة هي إحدى منافسات سنتنال، والتي كان توزيعها ما يزال اوسع انتشاراً من صحيفتهم بكثير. وكانت مطوية ومفتوحة على صفحة داخلية كانت تعرض صورة كبيرة.

نظرت فاليري الى الرجل الظاهر في الصورة اولاً فعرفت فيه ماك كاميرون على الفور فعبست وقالت قبل أن تنظر الى صورة المرأة التي ترافقه: «والآن، ماذا تراه يهدف إليه؟» ثم فتحت فمها ذاهلة: «هذه... هذه...»

فقال بجفاء: «نعم، إنها جينا تيريل.»

أخذت فاليري تحدق في ملامح جينا: «ما الذي كانت

تفعله معه؟ لقد رأيتها صباح أمس في شارع اكسفورد... وقد تحدثنا عن القضية، وكانت طيبة جداً معي، كما أنها لم تنطق بحرف عن معرفتها به.»

«حسناً، ها هي ذي تعرفه... هذا واضح، فهو ليس مجرد لقاء بالصدفة. فقد كانا امضيا ساعات معاً في تناول العشاء، كما يبدو. ثم انظري كيف كان واضعاً ذراعه حولها.»

نظرت فاليري، ثم قالت بصوت خافت: «لماذا لم تخبرني جينا؟» ثم خطرت لها فكرة. «وكيف حصلت أنت على هذه الصحيفة في هذا الوقت المبكر؟ لا بد أن الغلام الذي يحضر لك الصحف يأتي مع بزوغ الفجر. ثم ما الذي يجعلك تستيقظ في مثل هذا الوقت الباكر؟»

«كنت أحضر حفلة دامت طوال الليل...»

فقالت بلهجة لاذعة: «كان عليّ أن أتكهن بذلك.» فنظر اليها بجفاء: «هذا ما كان عليك. فأنا امتع نفسي على الدوام حسناً، فقد كانت ليلة السبت وأنا شاب حر وأعزب.»

فسألته: «وهل ستكون حياتك مختلفة لو أنك لم تكن أعزب؟»

فقال متذمراً: «لو تتوقفين عن وخزي بمثل هذه الملاحظات...»

فهزت كتفيها: «لابأس، إذن فقد ذهبت إلى حفلة دامت طوال الليل؟»

فابتسم لها بعبوس: «حسناً، ذهبت في وقت ما اثناء الحفلة، لأنام على كرسي، فاستيقظت حوال الخامسة وقد تشنجت رقبتي فقررت الذهاب الى بيتي. وفي الطريق توقفت عند باربري وارف وجمعت كومة من الصحف لاقرأها أثناء الإفطار، فكانت هذه الصحيفة هي أول ما

فتحت. وهكذا عدت فقفزت إلى سيارتي وجئت إليك. والآن، هل لك بفتح الباب قبل أن يظن أحد جيرانك انني أحاول اقتحام بيتك فيستدعي الشرطة؟»

فتحت له الباب، فدخل متجهاً نحو غرفة الجلوس وسار رأساً الى ستائر النافذة يزيحها، ولكن السماء كانت مغبرة، وبقيت الغرفة معتمة.

بينما كانت فاليري تتمتم: «لا أفهم هذا... ما الذي كانت تفعله بالخروج معه؟»

فنظر إليها ساخراً: «وما الذي ترى النساء فيه، عدا عن مظهره الوسيم وشهرته وثرائه.»

«إن جينا ليست بحاجة الى المال، كما أنه ليس من المحتمل أن تتأثر بالشهرة، كما إنني لم أرها قط تخرج مع شخص وسيم خارج نطاق العمل.»

قالت فاليري ذلك وهي ترتجف من برودة الجو فانحنى جيب يشعل المدفأة الكهربائية: «لماذا لا نتناول شيئاً من القهوة؟ فهو يساعدك على التنبه، وعلى التفكير بوضوح. سأصنعها أنا بينما تجلسين أنت هنا وتدفئين نفسك.» ونظر إلى معطفها الحريري الخفيف. «قد يبدو هذا جميلاً ولكنه ليس دافئاً، أليس كذلك؟ يجب أن تحضري لنفسك معطفاً صوفياً.»

كان رجلاً غير عادي لا ينفك يثير دهشتها بجوانب غير متوقعة من شخصيته... فوراء مزاحه الدائم الساخر، كان هناك رقة ودفء وشهامة.

وقطبت حاجبيها. لم تكن تريد أن تعجب به. فقد يكون هذا مجرد عادة فيه. وقد يغريها ذلك بأن تعتمد على قوته

تلك، ملتمسة السلوى في شهامته أخذت تفكر في ذلك وقد افلتت منها آهة. ولكنها لا تستطيع الاعتماد عليه، فقد سبق له أن هجر حياته الزوجية، فكيف تكون واثقة من أنه لن يهجرها هي أيضاً؟ إن عليها أن تكون واثقة تماماً من الرجل الذي تختاره. ليس لديها سوى حياة واحدة، وعليها أن لا تضيعها على رجل قد يخونها ويخدعها ثم يتخلى عنها.

نادت جيب: «هل يمكنني رؤية تلك الصحيفة؟»

فعاد إليها: «طبعاً، ولهذا احضرتها.» ثم ألقى إليها بالصحيفة وأنار الغرفة قبل أن يعود إلى المطبخ.

فنشرت فاليري الصحيفة على ركبتيها ثم أخذت تقرأ. ماك كاميرون الذي تستمر عرض اكبر مسرحية موسيقية له، في مسرح ويست إند شوهد الليلة الماضية يتناول العشاء في مطعم مايفير مع الحسناء جينا تيريل الثرية ذات الشعر الأحمر، ارملة وريث آل تيريل الذي كانت اسرته تملك ذات يوم صحيفة سنتنال، وقد انكشفت علاقتهما الغامضة اثناء شائعات تقول إن ماك يهدد صاحب سنتنال نيكولاس كاسبيان، بإقامة دعوى قضائية ضده، والذي العداء المستحكم بينه وبين جينا هو حديث الناس في شارع الصحافة. إن اصدقاءهما ينكرون كل علاقة لها بمارك ولكن أحدهم اعترف بأنها غاضبة جداً من نيكولاس حالياً. ولربما كانت هذه هي طريقتها في النيل منه.

عاد جيب بصينية القهوة مع بعض قطع الخبز والزبدة. وتناولت فاليري كوب القهوة مع قطعة من الخبز بينما انزلقت الصحيفة عن ركبتيها إلى الارض.

قالت: «يبدو أنهم يعنون ضمناً...» ورفعت بصرها إلى جيب، غير قادرة على توضيح قصدها تماماً.

فأومأ هو، قائلاً: «بأن جينا هي متورطة، بشكل ما، بقضية دعوى ماك كاميرون، وأنها تشجعه على مقاضاة الصحيفة بسبب عدائها لنيكولاس كاسبيان.»

فقالت وهي تقضم الخبز بلذة دون وعي: «لا استطيع أن اصدق انها تقوم بأمر كهذا.»

فضحك جيب ساخراً: «خصوصاً وهي تملك كثيراً من أسهم الصحيفة، ولا تريد أن يستنزفها ماك وعصابته من المحامين. كلا، فمهما بلغت عداوتها لنيكولاس، لا أظن ثمة شك في ولائها للصحيفة.»

فقالت فاليري عابسة: «كلا...» ثم نظرت إلى بقية قطع الخبز في صحنها، ثم هتفت بذعر: «إنها مدهونة بالزبدة.»

قال ببراءة: «ألم تعجبك؟»

فنظرت اليه بارتياب. اتراه فعل ذلك عمداً؟ ثم أجابت: «إنها لذيذة جداً، ولكن الزبدة تحتوي على حراريات عالية.»

فقال: «ولكنك بحاجة إليها إذ تستيقظين في مثل هذه الساعة المبكرة.»

قالت بسرور وقد اعجبتها الفكرة: «نعم، هذا صحيح، أليس كذلك؟» وانهت الخبز قبل أن تشرب القهوة، ثم انحنت تلتقط الصحيفة وتعود للتحديق في الصورة.

«أنهما يبدوان بحالة... جيدة.»

فاقترب منها يحدق في الصورة: «أتعنين العلاقة حميمة؟»

فأجابت: «وكأنهما مولعان الواحد بالآخر إلى حد بالغ، على الأصح.»

فقال: «عليك أن تساليها.»

فلم تفهم: «أسألها؟» ورفعت بصرها إليه.

«إلى أي حد معرفتها به.»

«آه، نعم.» وشعرت بدوار لقربه منها، ولم تستطع تحويل عينيها عن عينيه.

فتمتم يقول: «ولماذا لم تخبرك بأنها تعرفه؟»

قالت متلعثمة وهي تنظر إليه وكأنها تراه لأول مرة: «آه... نعم...»

وإذ ازداد اقتراباً منها، شعرت بالخوف، فأرجعت رأسها إلى الخلف وقد احمر وجهها وأخذت ترتجف وحاولت أن تبدو غاضبة مشمئزة كما اعتادت في الماضي، وهي تقول: «كفى! كم من المرات طلبت منك أن لا تقترب مني.»

وأخذ يحدق إليها بإمعان، وقد احمر وجهه وبان الغضب في تعابيره.

وفجأة، إذا به يقفز واقفاً، ثم يبدأ بالركض في انحاء الغرفة وكأنه جن فجأة.

ذلك ان الصحيفة التي كان أحضرها ذلك الصباح، كانت سقطت قرب المدفأة الكهربائية فالتقطت النار فترة، لتهب بعدها مشتعلة فيتصاعد رائحة الحريق الى خياشميه. وها هو ذا الآن يبدأ بإطفاء النار.

تأوهت فاليري وهي ترى السخام الأسود على سجادتها الوردية.

«آه، كلا. سجادتي. لقد تلفت.» وتحولت إلى جيب تحملق فيه: «كل هذا ذنبك أنت. فأنت مصيبة متحركة. كلما اقتربت مني يحدث شيء مريع. ما كان لي قط ان افتح لك الباب.»

فقال محاولاً تهدئتها: «آسف، يا فاليري.»

«آه، نعم. ما أسهل القول إنك آسف. لقد اشتريت هذه السجادة لتوي.»

فقالت ببرودة: «سأدفع أجرة تنظيفها. آه، هيا يا فاليري، فأنا لم أتعمد ذلك... ولا يمكنك لومي، فقد حدث هذا صدفة.»

«لا يمكنني لومك؟ آه، طبعاً. ما دمت تقول ذلك، فالحق معك. والآن، أظن الأفضل أن تخرج. إن علي أن انظف كل هذا قبل أن أذهب إلى العمل.»

«سأقوم أنا بذلك.»

«كلا، بل أخرج من هنا، فقط.»

فقال وهو ينظر إليها بحدة: «إنك تتخذين هذا عذراً، أليس كذلك؟ لا يمكنك أن تكوني بهذا الغضب لأجل سجادتك اللعينة هذه.»

ابتعدت عنه دون أن تجيبه، ثم فتحت باب شقتها الخارجي. وظنت لحظة أنه سيجادلها رافضاً الخروج، ولكنه سار ماراً بها بعبوس دون أن ينطق بكلمة، فسارعت تغلق الباب خلفه قبل أن يغير رأيه ويعود.

لم تكن تريد الآن سوى أن تستلقي على فراشها فقد كان التعب والكآبة يرهقانها، ما جعلها على وشك البكاء، ولكن كان لديها الكثير من العمل، وكانت فاليري اعقل من أن تستسلم لمشاعرها الحمقاء.

وهكذا نهضت لتنظف سجادتها، ملتقطة السخام بيديها برفق، واقتضى منها التنظيف وقتاً لابأس به قبل أن تكنس الغرفة بأجمعها بالمكنسة الكهربائية.

وأمام المدفأة الكهربائية، بقيت علامة للحريق ظاهرة للعيان. فتأوهت، ثم سكبت عليها زجاجة تحتوي على منظف للسجاد. وأحدث ذلك تحسناً ملحوظاً، ولكنها عادت تتأوه بضيق، مدركة أنها لن تستطيع أبداً محو تلك البقعة.

كانت فاليري مزهوة ببيتها تماماً. وقد ضايقها جداً أن تعلم أن هذه البقعة المحترقة ستبقى على الدوام تشين سجادتها الجديدة الوردية اللون. وهكذا أبعدت ادوات التنظيف، ثم صعدت الى غرفتها لتغتسل وترتدي ثيابها وهي ما تزال سيئة المزاج.

رغم ان اليوم كان الأحد، ومعظم الناس لا يعملون، فإن ذلك لا ينطبق على الصحافيين في جريدة يومية. فقد كان عليهم أن يعملوا نهار الأحد للتحضير لصحيفة صباح الاثنين. ولكن صفحة الشخصيات البارزة، كانت تعتمد، على كل حال، على ريبورتاجات كتبت مقدماً، وهكذا لا يكون على محرر ذلك الباب ان يعمل أثناء العطلة الاسبوعية. ولكن فاليري قررت أن تزور منزل اسرة مولي غرين لتقنعهم بأن يخبروها بمكان مولي.

وعندما وصلت فاليري الى هناك، كانت الساعة العاشرة والنصف، وكان السيد غرين في الحديقة الامامية يشذب شجيرات الورد كانت حديقة منظمة صغيرة المساحة، تعددت فيها الوان الأزاهار المختلفة. وكانت شجيرات الورود حمراء قاتمة.

كان السيد غرين رجلاً صغير الجسم ذا شارب أشيب. وعندما سمع صوت البوابة تفتح، نظر اليها فتوترت ملامحه وبان العداء في نظراته.

«إنك تلك الصحافية والتي ابتدأت كل هذا...»

«إنني لم أرغم مولي على الكلام، فقد أرادت أن تحدثني بقصتها.»

«ومنذ نشرت أنت تلك القصة، إستحالت حياتنا إلى جحيم.»

«أنا آسفة جداً لهذا.»

«أحقاً؟ أحقاً أنت آسفة؟» والتقط إناء مثقلاً بالورود الذابلة وسار نحو بابه الخارجي.

«أرجوك، يا سيد غريت، ان تستمع إلي. من الضروري جداً أن اتحدث اليوم إلى مولي. إن ماك كاميرون يقول...»

فانفجر فيها قائلاً بغضب: «لا تذكري اسمه أمامي. اذهبي من هنا، ألا يكفي ما فعلته؟ لقد جاء إلينا أمس صحافيون تسلقوا اسيجة الحديقة هذه، وطرقوا كل الابواب وقرعوا الجرس، ونظروا من خلال النوافذ، وتحدثوا مع جيراننا لساعات طويلة. إن كل من لم يقرأ صحيفتك الكريهة سمع أكاذيب لا تحصى.»

لم تستطع فاليري أن تلومه لغضبه هذا. فمن وصفه للمشهد أدركت أن زملاءها في شارع الصحافة كانوا في منتهى القسوة وانعدام الاحساس.

فابتدأت تقول: «إنني أعلم ما هو عليه شعورك...»

ولكنه قاطعها قائلاً: «يا ليتك تعلمين حقاً. يا ليت هذا يحدث لك يوماً ما. فهذا اسوأ ما حدث لي في حياتي، كما أن زوجتي تملكها الخبل. لقد استدعيت رجال الشرطة فجاؤوا على الفور. ولكنها قالوا إنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً سوى أن يطلبوا منهم الذهاب، وفعلوا ذلك. ولكن ما أن عاد

رجال الشرطة أدراجهم، حتى عاد المخبرون الصحافيون، وزوجتي مريضة لشدة قلقها من هذا الأمر.» وفتح باب بيته، ثم قال لفاليري: «والآن، ابتعدي من هنا ولا تعودي مرة أخرى.» ولكنه قبل أن يدخل ويغلق الباب في وجهها، صاحت به قائلة: «إن السيد ماك كاميرون سيرفع دعوى على الصحيفة مطالباً بتعويض ضخم.»

فتوقف السيد غرين ونظر إليها يسألها: «يفعل ماذا؟»

«إنه يقول إن مولي كاذبة.»

فشحب وجه الرجل، ثم عاد فاحمر بشدة. وأخذ يشتم بعنف، ولم تستطع فاليري أن تلومه.

ثم سألته بهدوء: «والآن، هل أدركت لماذا يجب أن اتحدث إلى مولي؟»

ومن داخل البيت، همس صوت يقول: «اعطها عنوانها، يا توم.»

نظر إلى داخل الردهة المعتمة: «لا أريد أن أزعجها.»

فقالت السيدة غرين بعنف مذهل: «لا ينبغي أن يفلت ذلك الرجل من العقاب وهو يصف ابنتي بالكاذبة.» ورأتها فاليري واقفة في الردهة مرتدية معطفاً منزلياً من المخمل الأزرق، وشعرها مشعث وكأنها كانت في الفراش عندما سمعت مناقشة زوجها مع فاليري.

فقالت فاليري بسرعة: «أقسم على أن لا أخبر أحداً بعنوانها، فأنا أدرك سبب كل هذا الغضب. وأن ما نشرته قد أثار وكر الزنابير بالنسبة إليك وإلى مولي، وقد ندمت جداً لهذا. لقد امضتم وقتاً سيئاً للغاية، ولكن تذكر أنها هي أرادت أن تتحدث إلي، وأن أكتب قصتها في صحيفتي. إنها تثق

بي، وقد كتبت أنا القصة بكل صدق، فلم ألفّق شيئاً، فاستعملت كلماتها حرفياً، وقد سجلت كل ما قلناه، أنا وهي، على شريط، وبهذا يمكنني أن أثبت أنني لم أخطىء في النص.»

أخذ الاثنان يحدقان إليها، ثم تنهدت السيدة غرين، قائلة: «اعطها العنوان، يا توم.»

فقال الزوج محتجاً: «يجب أن نتصل بمولي أولاً لنسألها إن كانت توافق على ذلك.»

«إذهب واتصل بها الآن، إذن.»

فقالت فاليري بسرعة: «لو أمكنني التحدث أنا معها هاتفياً، لأوضحت لها السبب الذي يحتم علي التحدث معها.»

فقال السيد غرين مقترحاً: «ربما يكفيك أن تتحدثي معها هاتفياً دون الحاجة إلى رؤيتها.»

قالت: «لو أمكنني التحدث إليها، ربما أمكننا الوصول إلى قرار.» كان جوابها مراوغاً، وأدركت من ملامحه أنه عرف ذلك، ولكنها لم تشأ أن تجري جدالاً معه أو مع زوجته. فقد كان الإثنان حذرين عدائيين.

دخل السيد غرين المنزل فتبعته. أغلق الباب الخارجي، ثم تصاعد صوت جرس الهاتف، فوضع السيد غرين ما بيده ثم توجه يرفع السماعة، وعندما استمع لحظة اقفل الهاتف وهو يقول لها بمرارة: «هذا شيء آخر ابتدأت أنت به. وهو اتصالات هاتفية قذرة. إن علينا أن نقطع الهاتف لولا أننا بحاجة إليه الآن أكثر من أي وقت مضى.»

وأخذ يدير قرص الهاتف قبل أن يعود الجرس فيرن مرة

أخرى: «مرحباً، جانيت. أنا توم كيف حالك؟ هذا حسن، إنك تعرفين أننا نمر في وضع صعب. آه، إننا سنتغلب على ذلك، فلا تقلقي. هل مولي بقربك؟ نعم. أريد أن اتحدث إليها، شكراً.»

انتظرت فاليري وهي تراقبه. ولأول مرة في حياتها تشعر بالذنب، رغم أنها كانت لا تنفك تحدث نفسها أنها إنما كانت تقوم بوظيفتها، لا غير.

«مولي، حبيبتي، أنا والدك.» قال السيد غرين ذلك بعطف، ثم سكت يستمع: «والآن، لا تقلقي لأجلنا، فنحن بأتم خير، فاهتمي أنت بنفسك فقط فهذا كل ما يهمنا. كيف حالك؟ هل تشعرين بتحسن؟» واستمع برهة بشبه ابتسامة. «إنك دوماً تحبين الحياة في المزرعة، أليس كذلك؟ عندما كنت صغيرة وتعيشين مع عمتك هيلين. إن المكوث هناك يفيدك، هذا ما كنت أقوله، أليس كذلك. وكان الحق معي، وهذا أفضل لك إذ لن يعثر عليك أحد. حسناً.» سكت وهو يتنفس بعنف: «مولي، حبيبتي، هناك مشكلة واحدة فقط... إنه يهدد بمقاضاة صحيفة سنتنال، قائلاً إنك كاذبة... حسناً، إنك تعلمين ما يقوله. والآن هو يجعل الأمر قانونياً، يا عزيزتي وتلك المرأة المخبرة الصحافية تريد أن تتحدث إليك، وهي هنا الآن، هل اعطيها السماعة؟»

إقتربت فاليري منه عندما عاد يستمع، ثم مد يده إليها بالسماعة. قالت: «مرحباً، يا مولي كيف حالك؟» وكان صوت الفتاة مبحوحاً منزعجاً: «ماذا تظنين؟»

«إنني مسرورة لأجلك لهذه العطلة الهادئة وأنا آسفة حقاً لإزعاجك، يا مولي، ولولا الضرورة لما ازعجتك... حسناً،

لقد أخبرك والدك بالمشكلة، ولهذا لن اضيع الوقت في الشرح، ولكنني بحاجة الى رؤيتك حالاً. إن صحيفتي ستقاتله، ونحن سنساندك إلى النهاية، فنحن نعتقد بأنك قلت الحقيقة وأنه هو الكاذب ولكن علي أن أراك لاراجع المقابلة مرة أخرى لاتأكد من كل التفاصيل التي حصلت وبهذا يكون لدى محامينا الاثباتات التي يحتاجونها لمحاربته. فأنت تريدينه أن يخسر هذه القضية، أليس كذلك؟ فإذا كسبها فلن تتمكين أبداً من جعله يعترف بأبوته، ولن تحصلي على بنس واحد منه لأجل طفلك.»

فقالت مولي بغضب: «لا يهمني ذلك. لا أريد نقوده، ولكنه لن يفلت من العقاب بقوله انني كاذبة، وأنه لم يكن الرجل الوحيد في حياتي، لم يكن هناك رجل آخر، وهو والد طفلي.»

«أنا اصدقك، ولكن يجب أن أراك وعلينا أن نراجع القصة باكملها لكي نرى كيف نصنع دفاعنا.»

بقيت مولي صامتة لحظة أو اثنتين، ثم تنهدت: «يبدو أن ليس لدي خيار آخر، أليس كذلك؟»

«أعدك بأن لا أكون مزعجة، ولن أخبر أحداً بمكانك.»

أعطتها مولي عنوان المزرعة التي كانت تقيم فيها، ثم أخبرتها كيف تصل إليها من أقرب طريق سيارات.

«سآتي عصر هذا اليوم، ولا استطيع أن اعطيك وقتاً معيناً اكون فيه عندك، ولكنك ستكونين موجودة، أليس كذلك؟»

فضحكت مولي ساخرة: «وإلى أين اذهب؟ إنني أخاف أن يعرفني الناس إذا تركت المزرعة حتى انني اختبىء إذا تلقت ابنة عمي زائرين.»

قالت فاليري بمرح: «حسناً، لا تختبئي عندما أصل أنا. إلى اللقاء، وسأعطي السماعة لوالدك مرة أخرى.» ثم التفتت تعيد السماعة لوالد مولي الذي ابتدأ يتحدث إلى ابنته. وبهدوء، ودعت فاليري الزوجة، ثم فتحت الباب لتخرج.

في هذه اللحظة، تقدم شخص إلى الامام، فوجدت نفسها تطرف بعينيها أمام عدسة آلة تصوير، وقد اعماها الوميض، ثم صورة أخرى. بقيت لحظة لا تستطيع الرؤية، ثم رأت الرجال في الممر قادمين يحاولون دخول البيت، ولا بد أن السيدة غرين رأتهم لأنها صفقت الباب تقفله، تاركة فاليري مع المصورين ومخبري الصحافة.

كان البعض منهم يعرفها. فقال واحد منهم للآخرين: «إنها فاليري نايت، مخبرة كاسبيان الهمجي المفضلة لديه.» فضحك الجميع لوصفه هذا لكاسبيان ولم تستطع فاليري منع نفسها من الضحك، هي أيضاً. لم تكن قد سمعت هذا الوصف من قبل وكان جيداً، ولا بد ان تردده عند عودتها إلى الصحيفة، فهم سيبتهجون بذلك.

وسألها بيني هوويل، وهو الفتى صاحب تلك الجملة، وكان ذا روح فكهة في العشرينات من عمره وذا بنية شديدة العضل وشعر جعد بني اللون: «ماذا هناك، يا فاليري؟ ولماذا أنت هنا؟ هل حدث شيء؟»

وصاح بها رجل آخر: «هل ثمة أثر جديد لمولي؟»

«هل أبعدت سنتنال الفتاة؟» ثم اختلطت الاسئلة وارتفعت الضوضاء.

وحاولت فاليري أن تشق طريقها بينهم، ولكنهم كانوا يدفعونها بخشونة يعيدونها إلى مكانها... فشعرت بالذعر.

وفجأة، وضع بيني ذراعه حولها، مستعملاً عضلاته ليرغم اصدقاءه على التراجع، ثم يندفع معها إلى حيث الرصيف.

قالت له وهي تلهث وقد ادهشتها شهامته غير المنتظرة: «شكراً، هذه هي سيارتي.» وفتحتها فأمسك بيني لها الباب إلى أن دخلت إلى مقعد القيادة، فأغلق هو الباب، ثم استدار حول السيارة بسرعة، وبينما كانت هي تشغل المحرك، كان هو قد فتح الباب وصعد إلى السيارة بجانبها.

ثم قال يستعجلها وهو يرى الآخرين يدورون حول السيارة: «أسرعي، ودعينا ننطلق.»

لم يكن لديها وقت للجدل، فانطلقت بالسيارة وقد كادت تصدم اثنين من المخبرين اللذين افلحا في القفز من أمامها في الوقت المناسب. وما أن استدارت حول المنعطف حتى رأت سيارات تتبعهما.

فقال لها بيني: «اضيعيهم، يا عزيزتي.»

ألقت عليه نظرة جانبية جافة: «هذا ليس فيلماً جاسوسياً.»

فقال ضاحكاً: «مع الأسف، فقد كنت متصوراً نفسي الممثل همفرى بوغارت.»

«هذا ما لاحظته.» واتجهت فاليري جنوباً مرة أخرى فتبعتها صف السيارات القصير. ولم يكن الازدحام شديداً في الشارع حيث ان الوقت كان صباح الأحد، كما أن مرافقها بقي في مكانه.

ثم سألها بيني وهو ينظر خارج النافذة مقطباً جبينه: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

فقالت باسمة: «انتظر، وسترى.»

فالتفت ينظر إليها: «منذ سنوات وأنا أريد ان اسألك الخروج معي، ولكنني لم أرك بمفردك قط. وها نحن الآن... بمفردنا نحن الاثنين... فهل تتناولين العشاء معي هذه الليلة؟»

بقيت نظرات فاليري مسمرة على الطريق: «آسفة يا بيني، فإن لي علاقة جادة، ولا أخرج مع أحد آخر.»

«ومن هو؟ الشاب الأسباني؟»

فتوترت ملامحها لذكر استيبان: «كلا.»

«لا تخبريني أن جيب كولينغوود تمكن منك، في النهاية.» وضحك، فاحمر وجهها قليلاً. إذا كان بيني يعلم أن جيب يلاحقها منذ سنوات، فكل شخص إذن، في شارع الصحافة، يعلم. وكرهت هذه الفكرة.

فقالت بحدة وهي تستدير نحو نهر التايمس: «إن حياتي الخاصة هي من شأني.»

نظر بيني إلى خارج النافذة، عابساً وهو يشتم. ثم قال أخيراً: «إنك ذاهبة إلى باربري وارف، أليس كذلك؟»

فقال ضاحكة: «لا أظنهم سيسمحون لك بالدخول دون ورقة مرور. وعليّ أن انزلك من السيارة قبل أن ادخل إلى موقف السيارات. بإمكانك ان تستقل الباص من عند المنعطف، أو تأخذ سيارة أجرة. هل تركت سيارتك خارج منزل آل غرين؟ إن عودتك إلى هناك بالباص سيستغرق وقتاً طويلاً، فالأفضل أن تستقل تاكسي. أرجو أن لا تحاسبك صحيفتك كثيراً عندما تناولهم قائمة مصروفاتك.»

«يا لك من...»

«وهل طلبت أنا منك أن تركب معي في سيارتي؟ شكراً

لإنقاذك لي، على كل حال، فأنت رجل شهم للغاية حتى ولو كانت لديك دوافع خفية لذلك.»

أوقفت سيارتها عند مدخل موقف سيارات باربري وارف. وهي تنظر في مرآة السيارة. كانت السيارات الأخرى قد تفرقت بعد أن عرفوا المنطقة أخيراً.

«هيا أخرج، يا بيني.»

فالتفت إليها، قائلاً: «إنك مدينة لي بشيء.» واقترب بوجهه منها، فحولت وجهها جانباً، ثم ضربته بقبضة يدها بعنف بالغ.

وما لبث بيني أن أذعن، فتركها وهو يتمتم بصوت خافت، ثم مر بيده على شعره الجعد يسوي من شأنه، ملقياً عليها نظرة عدائية، قبل أن يخرج من السيارة. ولم تنتظر هي، فاندفعت بسيارتها على الفور الى موقف السيارات تحت أرض المجمع، دون أن تتوقف إلا لتري بطاقة مرورها للحارس ومن ثم رفع الحاجز الخشبي فدخلت إلى حيث مكانها المختص في الموقف.

سوت من شأنها وأقفلت سيارتها، ثم استقلت المصعد صاعدة إلى طابق المحررين لتتحدث إلى رئيسة تحرير باب الشخصيات.

كان من الأفضل أن تخبر كوليت برغبتها في رؤية مولي. وعلى كل حال، لم يكن ثمة فائدة من الذهاب الآن. فقد يلحق بها أحد اولئك المخبرين راجياً أن يصل بواسطتها إلى مولي.

عبست كوليت وهي تستمع إلى قصة زيارة فاليري لوالدي مولي وما تبع ذلك من تعقب المخبرين لها.

«يجب أن يكون معك أحد يقود السيارة لكي تبقي أنت بعيدة عن النظر إذ سيكون عليك أن تجلسي في المقعد الخلفي حيث تغطين نفسك بدثار إلى أن تبتعدي عن هذا المكان.»

«سأشعر وكأنني معتوهة.»

«لابأس في ذلك. والأفضل أن تأخذي معك مصوراً، فهو يستطيع قيادة السيارة.» نظرت إليها كوليت بجفاء: «لا تكوني ضعيفة، يا فاليري، وذلك لشعورك بالأسى لأجل الفتاة، فنحن في معركة حربية، ودوماً هناك مصابون في الحروب. إن وظيفتك هي أن تكتبي ما يروج مبيع الصحيفة، فأنت لست موظفة بصفة عمة يعذبها الحنان.»

قالت فاليري بعناد: «يريدني المحامون ان اقابل مولي واتفحص الأمر معها مرة أخرى. فإذا أنا أخذت مصوراً معي فستخبىء مني. فلنكفّ إذن عن حديث المعارك ودعيني أعمل بطريقتي الخاصة.»

هزت كوليت كتفيها: «لابأس. قومي بالعمل كما تشائين. ولكن إذا سأل رئيس التحرير عن صور فلن أتحمل اللوم عندما أقول له أن ليس ثمة صور، وهذا يذكرني بما إذا كنت رأيت...»

فقاطعتها فاليري: «صورة جينا تيريل مع ماك كاميرون؟ نعم، ولم اصدق عيني. لماذا لم تقل إنها تعرفه؟ اتظنين أن ثمة شيئاً يحدث بينهما؟ أعني...»

«إن كل شخص يتحدث عن ذلك هذا النهار. ولكن جينا ليست هنا، ولهذا فكل الكلام تكهنات وشائعات.»

«لا أدري رأي كاسبيان في هذا.»

«لا أدري، ويبدو أنه سافر إلى ستوكهولم أمس ولا يعرف أحد متى يعود، ولهذا فقد لا يعلم بالأمر مطلقاً.»

«أتمنى لو أكون موجودة عندما يرى الصورة. إنهما أحياناً، يمسكان بخناق بعضهما البعض في المكتب أمام أعين الجميع.»

فقالت كوليت ضاحكة: «أظنه معجباً بها.»

أومأت فاليري قائلة: «آه، نعم. هذا واضح. اسمعي الصفة التي سمعت البعض يطلقونها عليه، اليوم. (كاسبيان الهمجي.)»

فضحكت كوليت: «لقد اعجبني هذا الوصف، وأنا أتصوره الآن في جلد نمر أو أسد، يتسلل بين أشجار الغابة.»

«مشبهاً طرزان والذي يجول في الغابات شبه عارٍ. وربما يبدو كاسبيان في منتهى الجمال لو طاف في الغابات بهذا الشكل.»

ضحكت الفتاتان، وما لبثت كوليت أن قالت بجد: «أظن من الأفضل أن تستشيري المحامين قبل أن تذهبي لرؤية مولي. ربما كان لديهم اسئلة يريدون جوابها.»

«إذن، فسأتصل بهم الآن.»

قالت كوليت: «استعملي هاتفي.» وهكذا رفعت فاليري السماعة وأخذت تدير الرقم.

أجابت صوفي واطسن الهاتف بصوتها الهادىء الواضح النبرات فطلبت فاليري منها بفتور، ان تصلها بالسيد غاي فوكنر. فأجابت صوفي: «إنه في قاعة الاجتماعات، وكذلك السيد ساندل. هل يمكنني توصيل رسالة إليهما؟»

اوضحت فاليري لها سبب اتصالها، فقالت صوفي: «سأخبرهما في اللحظة التي ينهيان فيها الاجتماع. أليس الأفضل أن لا تذهبي قبل أن يتصلا بك، فهما سينهيان الاجتماع خلال نصف ساعة.»

قالت فاليري: «نعم، لا بأس. سأكون في ملحق ٣٢١.» وعندما وضعت السماعة، ألقت كوليت عليها نظرة فضولية: «إنك لا تحبين صوفي، أليس كذلك؟»

«وهل يبدو علي ذلك؟»

قالت كوليت باسمة: «إن وجهك وصوتك تتملكهما البرودة كلما تحدثت إليها. بماذا اغضبتك؟»

قالت فاليري كاذبة وهي تعود إلى مكتبها لتنتظر المكالمة من الدائرة القانونية: «لا شيء، ولا أدري لماذا لا أحبها.»

أخرجت دفتر ملاحظاتها عن مولي غرين ثم أخذت تقرأ فيه وذلك للمرة العشرين، منذ سمعت بتهديد ماك كاميرون. وقرع جرس الهاتف فرفعت السماعة بذهن غائب.

كان هذا المحامي غاي فوكنر، وكان صوته رقيقاً دافئاً: «علمت بأنك اقتفيت أثر مولي غرين وتريدين رؤيتها اليوم؟ هذا حسن. هنالك سؤال أو سؤالان أريدك أن تساليها.»

«نعم، يا سيد فوكنر؟»

فقال برقة: «ناديني باسمي الأول غاي، يا فاليري.» ثم أخذ يشرح لها ما يريدها أن تسأل مولي عنه. وأخذت فاليري تدوّن هذا في دفترها وقد عبست بالنسبة لأحد الاسئلة: «قد لا تجيب عن هذا... فهذا السؤال الأخير هو شخصي جداً.»

«إننا، مع الأسف بحاجة إلى التدخل في الخصوصيات ما دام ثمة احتمال لدفع كل ذلك المبلغ أمام القضاء، وقد يكون الأمر اسوأ منذ ذلك.»

فتنهدت فاليري: «أظنك على حق، حسناً، سأبذل جهدي.»

«وأنا واثق من ذلك، يا فاليري. ربما عند عودتك، يمكننا أن نتغدى معاً ونتحدث عن هذه القضية. إن هناك عدداً من الاسئلة أريد أن اناقشها معك.»

فقالت: «حسناً، إن هذا موعد. إلى اللقاء بعد عودتي، إذن يا غاي.»

وضعت السماعة وهي تبتسم. وعند ذلك فقط أدركت أن ثمة من كان يستمع إلى حديثها.

كان جيب متكئاً على المكتب الخالي بجانبها، وقد عقد ذراعيه وقطب جبينه.

«ما الذي تفعله هنا؟ تتنصت إلى مكالماتي الهاتفية؟ انني أعمل، وهذا الذي اقوم به أمر سري.»

فقال ساخراً: «مثل اعطائك موعداً لغاي فوكنر؟ إنك لا تنفكين عن الحديث معي لأنني مطلق، ولكنك تخرجين مع فوكنر والذي هو خاطب لفتاة أخرى: إن مثالياتك تحيرني. أم لأن غاي فوكنر لديه دخل كبير إلى جانب راتبه؟»

الفصل الخامس

إحمر وجه فاليري، واكتسح ملامحها مزيج من المشاعر، الغضب، جرح الكرامة، الدهشة، ومضت لحظة تملكتها فيها الدهشة ما جعلها تقول متلعثمة: «أنا... أنت... هل ذلك... ما تفكر فيه؟ إنني لا أفكر إلا بالمال؟ انك تقول ذلك فقط لكي ترضي كبرياءك، حسناً انك مخطىء، فلو كنت مليونيراً لما خرجت معك.»

فقال من خلال اسنانه وقد احمر وجهه: «شكراً.»

سرت للتأثير الذي أحدثه كلامها، فقالت بحدة: «كما انني لا أصدق قولك عن غاي فوكنر، إنني لم اسمع قط أنه خاطب ولو أنه خاطب لذكر هذا.»

فقال ببطء: «لقد كان قولي صحيحاً بالنسبة إلى استيبان.» فعضت شفتها، وردت عليه وقد التهبت عيناها غضباً: «ما عدا أن زوجته ميتة.»

«ولكن خطيبة غاي حية، إنني أعرفها. ان اسمها هو هارييت ريدجواي، وهي محامية رغم أنها لا تبدو كذلك، فهي تبدو في التاسعة عشرة، رغم انها في حوالي الخامسة والعشرين، بعينيها الكبيرتين البنيتي اللون وشعرها الجعد...»

فقالت بشراسة: «يا لشاعريتك، هل غاي هو الذي يخرج معها وليس أنت؟»

لمعت عيناه، وتمنت أن لا يلمس نبرة الغيرة في لهجتها ثم قال: «انه هو الذي رآها أولاً، لسوء الحظ، وليس أنا، فقد

تعارفا أثناء دراستهما الحقوق، ولكنهما قررا عدم الزواج قبل ان يؤسسا حياتهما، فهارييت حريصة على مهنتها وتريد أن تستمر فيها بعد الزواج.»

لكن فاليري ما زالت غير مقتنعة: «وكيف عرفتها أنت؟»

«إنها جارتي في السكن، وكنا نتبادل الأحاديث من وراء سياج الحديقة.»

فقالت غير مصدقة: «وهل تشتغل أنت في الحديقة؟»

فقال بابتسامة عريضة: «ليس تماماً، كنت أنظر من فوق سياج حديقتي فرأيت هذا المنظر... هي في ثوب البحر تأخذ حماماً شمسياً، وهكذا...»

«لست بحاجة إلى رسم صورة لذلك، فيمكنني تصور البقية...» وشعرت فاليري بمبلغ ما هو عليه من عبث.

ابتسم جيب لها، وهو يقول: «اخبرتني بأنها مخطوبة، وذلك منذ أول يوم، إلى محام في سنتنال، وكانت هذه صدفة غريبة، كان عليك أن تري وجهها وأنا اخبرها بأنني أنا أيضاً أعمل في تلك الصحيفة، ومنذ ذلك الحين وأنا أعطيها نصائح في شراء الأسهم، ان أسرتها غنية، ووالدها قاضي... ولا بد أنك سمعت باسمه، فاسم القاضي ريدجواي دوماً في عناوين الصحف، وقد تركت هارييت منزل أسرتها لكي تبتعد عنه، كما اظن، فهما غير منسجمين مع بعضهما البعض، ولكنها تقول إنه مسرور بخطبتها هذه إلى غاي لأن أسرة غاي فوكنر ثرية للغاية.»

قطبت فاليري جبينها: «لقد أخبرني غاي أنه شق طريقه إلى معهد الحقوق بنفسه، وأنه تعلم كيف يعيش على مبلغ تافه جداً أسبوعياً.»

«ربما كانت أسرته ترفض مساعدته.»

فقالت ببطء: «اظن ذلك.» وإذا بها ترى كوليت قادمة نحوهما وقد بان فروغ الصبر على وجهها: «ألم تتحدثي إلى المحامي بعد؟»

فأومأت فاليري برأسها: «انه يرى أن عليّ ان اذهب، واعطاني قائمة بالأسئلة التي عليّ أن ألقيها على مولي ان بعضها لم يعجبني تماماً، فهي شخصية جداً... بالنسبة إليها وإلى ماك كاميرون، إذ يطلب تفاصيل دقيقة عما حدث بينهما، وكيف كان يعاملها، ان هذا سيحرجها جداً... إنني واثقة من ذلك.»

فقالت كوليت: «عليك فقط أن تلقي عليها هذه الأسئلة، يا فاليري، ثم تري ردة الفعل لديها، والأفضل ان تذهبي إليها الآن، وإلا فلن يمكنك العودة هذه الليلة أبداً، هل وجدت أحداً يقود بك السيارة؟»

«كلا، ولكنني فكرت... في أن بإمكاني التنكر... ان لدي شالاً للرأس لإخفاء شعري، وكذلك يمكنني وضع نظارات سوداء، وقد أمسح زينة وجهي بأكملها... إنني افضل القيام بذلك على أن أتمدد في المقعد الخلفي تحت البطانية.»

فبدا التشكك على كوليت: «قد يميزون سيارتك.»

فقال جيب بهدوء: «أنا سآخذها بالسيارة.»

قالت فاليري بحدة: «كلا.»

نظرت كوليت إليه مفكرة: «وماذا بالنسبة إلى عملك؟ لا يمكنك أن تتركه.»

«إنني في عطلة هذا النهار، لقد جئت لرؤية بعض الأشخاص، ولكن عطلتي هي حتى يوم الثلاثاء.»

فقالت كوليت باسمة: «هذا رائع إذن، شكراً لك.»

قالت فاليري وقد ذعرت لفكرة وجودها مع جيب في السيارة وحدهما مدة طويلة، قالت تعترض: «كلا، لا أريد منه أن يأخذني في سيارته.»

نظرت كوليت إليها بفروغ صبر: «لماذا تجادلين على الدوام؟ فأنت لا تريدين إلقاء اسئلة شخصية على مولي، وكأن هذا ليس من صميم عملك الذي تقبضين أجراً عليه. كما أنك لا تريدين مصوراً معك ثم لا تريدين رجلاً يأخذك بسيارته إلى هناك، تريدين هذا ولا تريدين ذاك... ان وظيفتك هي أن تذهبي إلى مولي غرين للسعي كيلا تخسر سنتنال مبالغ كبيرة بسببها، فكفي عن وضع العراقيل وتابعي عملك... وإلا فستجدين نفسك تبحثين عن عمل آخر، ان جيب سيأخذك في سيارته، وستختبئين في المقعد الخلفي تحت بطانية إلى ان تتأكدي من انك غير ملاحقة من قبل من هم ضدنا، وستعودين بكل ما يريد المحاميان معرفته، هل فهمت؟»

فقالت فاليري بنفور غاضب: «فهمت.»

استدارت كوليت على عقبيها ثم خرجت، فحملت فاليري حقيبتها، متجاهلة جيب، ووضعت فيها دفتر الملاحظات وعدة اقلام، والمسجل وعدة أشرطة احتياطية، ثم وضعت على عينيها نظارات شمسية، وربطت شعرها بشال، ثم سارت بسرعة فائقة نحو المصعد.

أبقى جيب مسافة بينها وبينه، دون ان ينطق بكلمة، ما جعل لديها شعوراً هو مزيج من الإرتياح والندم.

انه ينتهز كل فرصة للاقتراب منها، وقد أصبحت علاقتهما حميمة إلى حد شغل بالها، فقد أصبح يعرف

عنها الكثير من أمور لم تكن تريده أن يعرفها، كما أنها هي أيضاً عرفت الكثير عن جيب، كيف يتجعد جلده حول عينيه عندما يبتسم، وكيف ينفجر طبعه، روحه الفكاهية، انها تعرف جيب جيداً جداً الآن، ولكن هذا كان شيئاً خطراً كذلك لأنها كلما ازدادت معرفة به، كما ازداد شعورها بالمودة نحوه، وهي لا تريد أن تشعر بهذا الميل نحو رجل لا تثق به.

كان هذا مزعجاً ملأ فاليري خوفاً، وربما كان جيب تكهن بذلك لأنه لم يتحدث على الاطلاق طوال فترة وقوفهما في المصعد إلى حيث موقف السيارات تحت الأرض ثم إلى حين وصولهما إلى سيارتها.

ثم قال: «اننا سنذهب في سيارتي لكي لا ينتبه اليك أحد، ثم ان لدي دثاراً في السيارة.» وتوجه إلى سيارته الجاغوار ذات اللون الأحمر القاتم، وفاليري تتبعه ببطء، فتح باب السيارة، وتناول من المقعد الخلفي دثاراً صوفياً وهو يقول: «أجثمي في المقعد الخلفي، وسأغطيك بهذا الدثار.»

فقالت متجهمة الوجه: «انني لن أقوم بهذه الألعاب الحمقاء، ان بيني والآخرين لا بد قد يئسوا الآن وذهبوا.»

فنظر إليها جيب بجفاء: «وإذا كان هذا لم يحدث؟»

فبادلته النظر مترددة، ثم قالت: «حسناً، لا بأس.»

صعدت إلى المقعد الخلفي وجثمت في القاع امام المقعد الجلدي الطري، بينما وضع جيب الدثار فوق رأسها.

فقالت متذمرة وهي تزيحه عن وجهها: «إنني سأختنق.»

فأعاد وضع الدثار وهو يقول: «كلا، انك لن تختنقي، إبقي هكذا فقط إلى ان نبتعد تماماً عن هذا المكان، وأتأكد أنا من أن لا احد يتبعنا.»

سمعته يصعد إلى مقعد القيادة، ومن ثم تحركت بهما السيارة وهي تهدر، كانت فاليري غير مرتاحة على الاطلاق، فقد متشنجة الجسم تحت الدثار، وهو وضع لا يمكنها تحمله لمدة طويلة.

بدا وكأن دهراً مضى قبل ان تبطىء السيارة في سيرها وتسمع صوت جيب يقول هازلاً: «حسناً، يمكنك الخروج الآن.»

ألقت عنها الدثار، وأخذت تنظر من النافذة، فقال: «لا تخافي، فلا أحد يتبعنا، هل تريدين الانتقال إلى جانبي؟»

فخرجت من السيارة وصعدت إلى المقعد الأمامي بجانبه، فعاد ينطلق بالسيارة بسرعة، ولكنها لاحظت أنه غير مجازف... فقد كان سائقاً جيداً، سريع التفكير وخبيراً بالتعامل مع السيارة، مرا بلوحة تشير إلى منطقة مانشستر فقال: «ان لي عمة في مانشستر ويمكننا التوقف عندها لنتناول فنجان شاي.»

«ليس لدينا وقت.» سارعت تقول ذلك قبل أن تدرك أنه كان يمزح، فقالت: «هل كل اسرتك من غرب البلاد؟»

«ان والديّ يعيشان الآن في شافتسبري. ولكنهما انتقلا إلى هناك بعد أن تقاعد أبي، كان يعمل في بنك انكلترا في شارع تريدنيدل، طوال حياته، وقد عشنا في هايغيت عندما كنت صغيراً، ولكن أمي كانت دوماً تحن إلى الحياة في الريف، فكنا نذهب في الإجازات إلى دورست. كانت تحب التنقل وتحب زيارة كل الأماكن التي كانت تجد اسماءها في الكتب، أما أنا فكنت أحب السباحة وركوب الخيل، كما كان أبي يلعب الغولف، وهكذا كانت دورست تناسبنا جميعاً.»

«هل لديك أخوة وأخوات؟»

«لي أخت وأخ، فأخي طبيب في مستشفى كير في ليدز اما أختي فتشتغل في وكالة اعلانات حيث تقوم بأعمال فنية، لم يتزوج واحد منهم بعد، فجيمبو ليس لديه وقت، أما أليس فمسرورة جداً بكونها عزباء.»

«هل هما أصغر سناً منك؟»

فأومأ يقول: «لقد ولدت أنا أولاً، ثم جاء جيمبو بعدي بأربع سنوات.»

«ما هو اسمه الحقيقي؟ جايمس؟»

فضحك قائلاً: «جيميسون. سبق واخبرتك بأن أمي شاعرية الميول، فهي تحب الأسماء الغريبة.»

«ولكن اسم أليس ليس غريباً، وإنما قديم الطراز نوعاً ما.»

«آه، ولكن أليس ليس هو الاسم الذي اطلقته أمي عليها، انها تدعو نفسها أليس، ولكن اسمه الحقيقي هو هيكوبا.»

فأخذت فاليري تضحك وتقول: «انك تمزح.»

فهز رأسه: «كلا، مع الأسف، كنت في العاشرة عندما ولدت، واتذكر انني فزعت من هذا الاسم، وقد اقنعناها، أنا وجيمبو، بأن تغير اسمها قبل ان تبدأ المدرسة، وحيث أن كتاب أليس في بلاد العجائب كان هو المفضل لديها...»

«يبدو أن أسرتك غريبة الأطوار.»

«أبي ليس شاعرياً أو غريب الأطوار، وهو عملي تماماً، وستحبينه.»

سكتت لدى افتراضه انها ستقابل والده، بينما سألها هو: «وماذا بالنسبة إلى أسرتك؟ أين يعيشون؟»

«في أسكس، عند بوكيرست هيل.» قالت ذلك باختصار لا تريد ان تحدثه مطولاً عن نفسها وأسرتها.

«أليس هذا المكان قريباً من غابة ايبين حوالي عشرة أميال بعيداً عن لندن؟»

فأومأت: «حسناً، إنه جزء من لندن تقريباً، الآن ولكنني عندما كنت صغيرة كان جوه ريفياً تقريباً، ومن حسن الحظ أنهم لا يستطيعون البناء في الغابة، وإن كانوا شقوا طرقاً فيها.»

«هل نشأت هناك وماذا يعمل والدك.» ترددت فنظر اليها بعينين ضيقتين: «هل ما زال حياً؟»

فقالت باختصار: «نعم، ولكن والديّ تطلقا عندما كنت في السابعة، ولا أدري أين هو الآن.»

«آه.»

جعلها هذا الصوت الحاد تعبس وقد احمر وجهها: «ماذا يعني هذا؟»

«هيا، انك تعلمين ماذا يعني، طالما كنت أتساءل عن كرهك للطلاق، وأنا اعرف السبب الآن، فقد حزنت كثيراً عندما رحل والدك، ولم تنسي هذا قط، هل تزوجت أمك مرة أخرى؟»

«نعم، وأنا أحب زوج أمي كثيراً وقبل ان تقفز إلى استنتاجات أخرى، فهو أب عطوف اكثر مما كان أبي الحقيقي، ودوماً كنت أناديه بابا.»

فسألها: «إذن، فالزواج الثاني كان سعيداً؟»

أجابت بحدة: «نعم، انهما سعيدان جداً معاً، وقد مضى على زواجهما اثنا عشر عاماً الآن، وقد بقيت أعيش في

البيت إلى أن صرت اكتسب مالاً كافياً يمكنني من استئجار شقة قريبة من مكان عملي، وما زلت أزورهما كلما استطعت.»

فقال ببطء: «ليس ثمة حاجة إلى التحدث بهذه اللهجة الدفاعية، هل أنت تشبهين أمك؟»

فقالت وما زالت عابسة: «نعم، أظن هذا، كما ان شعوري هذا نحو الطلاق ليس سؤالاً سهلاً كما تظن، نعم لقد كرهته عندما تفرق والداي وخرج أبي من حياتي، لقد تألمت لأنني كنت أحبه كثيراً وكنت أظنه يحبني هو أيضاً، ولكن بعد الطلاق لم أره سوى مرات معدودات، وبشكل مختصر جداً، ثم توقف عن المجيء، فقد نسي كل شيء عني، ولكنني نسيت ذلك تدريجياً، خصوصاً بعد أن تزوجت أمي مرة أخرى، كان زوج أمي رجلاً رقيقاً للغاية وبالغ الطيبة والرفق، فأعادنا أسرة مرة أخرى، ثم كبرت أنا، وكنت من الغباء بحيث وقعت في غرام شاب تبين فيما بعد أنه متزوج، ولم يخبرني بذلك إلا بعد وقت طويل، تألمت أنا، وكذلك زوجته، والأسوأ من ذلك ان أولاده تألموا هم أيضاً بعد أن سمعوا الكثير من الفضائح، ومنذ ذلك الحين قررت عدم التورط مع الرجال المتزوجين على الاطلاق، مرة أخرى.»

«ولكنني لم أعد متزوجاً، وقد تزوجت زوجتي السابقة مرة أخرى وهي حامل الآن.»

«أعلم هذا... ولكن... ان هذا لا يشكل أي فرق، فمازلت افكر فيك وكأنك رجل متزوج.»

فقال غاضباً: «هذا جنون.»

«مهما كان الأمر فهذا هو شعوري، ربما انهيار زواجك

لم يكن ذنبك، ولكنك كنت متزوجاً، وأنا لا احتمل الحياة مع هذه الفكرة، انني سأفكر دوماً في انك لست رجلي، وأنني سرقتك من امرأة أخرى.»

فغضب وهو ينظر إليها وكأنه يريد أن يخنقها، ما جعل السيارة تنحرف بهما جانباً لتحول انتباهه عنها، انفجر قائلاً: «أسكتي يا فاليري.»

تصاعدت أصوات أبواق السيارات خلفه فأجفل الاثنان وهما ينظران إلى الطريق وكيف أصبح وضعه، في ذلك الوقت فقط أدركا أن سيارة أخرى كانت تمر بجانبهما عندما اخذت سيارة جيب تنحرف جانباً، ما جعل حادث اصطدام على وشك الحدوث، فعادت السيارة الأخرى تقف خلفهما، ولكن السائق كان يصرخ بهما بغضب عندما تابعا السير. أشار جيب للرجل معتذراً والذي تابع سيره بعد ذلك بلحظة وهذا ما زال يصرخ بغضب.

قالت فاليري بضعف: «لا تتحدث وأنت تقود السيارة، يا جيب، سر في طريقك فقط.»

فقال عابساً بحزم: «اننا سنتحدث في هذا الأمر سواء عاجلاً أم آجلاً.»

أغمضت عينيها وركزت أفكارها في ما عليها أن تسال مولي غرين عنه. بعد ذلك بنصف ساعة، قال جيب: «لا أدري عنك ولكنني أنا جائع جداً، انني سأتوقف لنتناول غداءً خفيفاً، الساعة الآن هي الثانية إلا ربعاً، وربما ما زالوا يقدمون الغداء في المطعم، فإذا لم يكن ذلك، فأنا واثق من أن بإمكانهم ان يصنعوا لنا بعض الشطائر.»

«إنني أفضل ان نصل إلى تلك المزرعة في أسرع وقت

ممكن، متجاوزين عن الغداء.» وفتحت فاليري عينيها وهي تقول ذلك، في الوقت الذي رأته فيه ينحرف عن الطريق العام إلى طريق ريفي، فهتفت تقول: «ما هذا؟ إلى أين أنت ذاهب؟»

«إنني اعرف مطعماً صغيراً على بعد أميال قليلة من هنا حيث يقدم طعاماً جيداً.»

«أنا لست جائعة.»

«ولكنني أنا جائع.» وتابع جيب سيره متجاهلاً احتجابها، وبعد ذلك بعشر دقائق توقف امام مطعم قديم الطراز، فتبعته فاليري عابسة إلى المطعم ورغم ادعائها بأنها غير جائعة، لم تستطع مقاومة جاذبية قائمة الطعام الكبيرة، فأكلت بطيخاً أصفر وسمكاً مشوياً مع السلطة، ولكن جيب طلب بفتيك وكبداً مقلياً وخضراً طازجة وسمكاً مدخناً، أخذت فاليري تنظر إليه وهو يلتهم هذه الوليمة غير مصدقة: «لن يكون بإمكانك أن تتحرك.»

فقال لها باعتداد: «انني بحاجة إلى طاقة.»

«ولماذا؟ انني لا أراك تقوم بأي عمل.»

فقال وقد بان المكر في عينيه: «لكي ألاحقك.» ضحك وهو يرى نظراتها الساخطة وقد احمر وجهها.

شعرا بعد الطعام بالنعاس، فجلسا يتناولان القهوة لفترة طويلة إلى أن ألقت فاليري نظرة على الساعة، فتأوهت قائلة: «الساعة الآن الثالثة والنصف، هيا بنا! ان مولي ستظن انني لن أحضر.»

وصلا إلى المزرعة بعد ذلك بثلاثة أرباع الساعة، حيث انهما أضاعا الطريق خلال طرق قديمة كانت تتخلل حقولاً

حصدت منذ وقت قريب. وأخيراً سأل جيب رجلاً عجوزاً على دراجة هوائية عن الطريق إلى المزرعة، وإذا بهما يكتشفان أنهما كانا اجتازا منعطفين يقودان إليها.

كانت بوابة قديمة تؤدي إلى طريق مظلل بين أسيجة تتألق بورود برية حمراء، وبدت لهما المزرعة عند عطفه الطريق، يتوسطها منزل قديم ذو جدران سميكة تبنية اللون وتحيط به الأشجار تحميه من عصف الرياح في الوادي والقادمة من البحر الذي يبعد حوالي العشرة أميال.

قالت فاليري بأسى: «يا له من مكان رائع لقضاء عطلة هادئة، وها أنذا الآن أوشك ان افسدها على مولي.»

سألها جيب: «كيف حصلت لك المعرفة بقصتها منذ البداية؟»

«بخبر صغير من مكتب محاميها، ولا تسألني عن اسم المخبر لأنك تعلم أن عليّ ان أخفي مصادر معلوماتنا، وهذا المصدر مفيد جداً لي، فذهبت إلى مولي اتفحص الأمر، ووجدتها في منتهى الغضب من ماك كاميرون لإنكاره أبوة الطفل، ما جعلها تصارحني بكل شيء، ولكن إذ أخذت بقية الصحف تتحدث عنها، ندمت على مصارحتها لي أو حتى رؤيتي، كما أظن.»

«هل تريد أن تجعل ماك كاميرون يعترف بالطفل وينفق عليه؟»

«نعم، انها تشعر نحوه بمرارة بالغة، فإذا كان هو الأب، فسيكون عليه أن ينفق عليها وعلى الطفل، ولكن بعد أن قابلت محاميها، فأنا أعرف من عليه ان يدفع ولن يكون مولي.»

أوقف السيارة خارج المنزل، فخرجت مولي من الباب الأمامي، كان الحمل واضحاً عليها، ثم سارت ببطء رافعة الرأس بكبرياء في ثوبها الأزرق الجميل، وكانت الشمس تتألق على شعرها الطويل القاتم اللون، وكذلك كانت بشرتها تتألق صحة وعافية.

أخذ جيب يصفر برقة: «لا عجب أن ينجذب كاميرون إليها. إنها جميلة.»

خرجا من السيارة، فنظرت مولي إلى جيب وهي تطرف بعينيها متوترة: «انه ليس مصوراً أليس كذلك؟ لا أريد مصورين...»

قال جيب بسرعة: «كلا، لست مصوراً، انني أحضرت فاليري بسيارتي فقط.» ومد يده مصافحاً. «مرحباً يا مولي، أنا جيب، حبيب فاليري.»

فاحمر وجه فاليري ونظرت إليه ثائرة، كيف يجروء على مثل هذا القول؟ بينما بان الارتياح على مولي وابتسمت له وهي تصافحه وتقول: «هل كثيراً ما تشتغل فاليري أثناء العطل الأسبوعية؟ لا بد أن هذا يسبب لك الضجر.»

فقال بابتسامة عريضة: «نعم، هذا ما يحدث، وهذا هو السبب في أنني أرافقها في عملها كلما تيسّر لي ذلك، ولم يكن ثمة صعوبة في المجيء إلى ديفون. يا لجمال الطبيعة هنا.»

فبادلته مولي الابتسام: «نعم، انها رائعة، هيا ادخلا وتناولا الشاي، ان ابني عمي في الخارج هما الاثنين، حيث يعملان قرب المزرعة، وإذا لم يكن لديكما مانع، فسنجلس

جميعاً في المطبخ فأرتاح من الرواح والمجيء بصينية الشاي.»

سارا مجتازين الردهة ذات الأرض الحمراء اللامعة قديمة الطراز، وكانت أزهار الأقحوان تتألق في زهرية ضخمة في المدفأة القديمة الخالية والمصنوعة من القرميد.

نظر جيب بإعجاب إلى الجدران والصور الزيتية التي تمثل مناظر الطبيعة وكذلك صور أفراد الأسرة بينما كانت مولي تقودهما إلى المطبخ كما كانت هناك في وسط الغرفة مائدة مصقولة قامت حولها بعض الكراسي، وعلى امتداد أحد الجدران، قامت خزانة ضخمة مليئة بالأواني الخزفية الثمينة.

قالت فاليري وهي تنظر حولها: «يا لها من غرفة جميلة.»

«جميلة، أليس كذلك؟ انني أعشق الجلوس هنا على الدوام، إجلسا وسأصنع الشاي.»

«هل يمكنني مساعدتك؟»

«يمكنك ان تحضري ثلاثة اكواب وصحونها من الرف العلوي للخزانة، فإحضارها من هناك يتعبني.»

كانت مولي تخرج الطعام من الثلاجة، قالب كبير من الحلوى، فطائر فاكهة، اصابع من الحلوى مغطاة بالسكر، ونظرت فاليري إلى كل هذا بحذر. «هذا لطف بالغ منك، ولكننا تناولنا طعامنا منذ ساعة فقط، ولا استطيع تناول أي شيء الآن.»

فنظرت مولي حولها وقد لوت شفتيها بخيبة أمل: «آه... أحقاً؟ لقد صنعت كل هذا بنفسي هذا الصباح، فأنا أريد أن

أساعد في البيت قدر امكاني، ألا تتناولان ولو فطيرة واحدة؟ لقد دهشت لمبلغ توفيقي في صنعها، فقد كانت الفطائر التي صنعتها قبل هذه صلبة كالحجر، لكنني اظن انني صرت أعرف جيداً طريقة صنعها، وهذه التي صنعتها الآن طرية تماماً.»

فجلس جيب إلى المائدة: «انني شغوف بالفطائر، هل صنعت المربى بنفسك أيضاً؟»

فهزت رأسها ضاحكة: «كلا، فقد صنعتها جانيت من فاكهة حديقتها، الفريز والكرز.»

«من كرز حديقتها؟»

فأومأت برأسها بينما ضحك جيب: «اظنني أريد هذا، فأنا شغوف بمربى الكرز.» واخذ صحناً صغيراً وسكيناً ثم أخذ لنفسه إحدى تلك الفطائر واخذ يضع عليها قشدة سميكة قالت مولي انها هي أيضاً مصنوعة في المزرعة.

صنعت مولي الشاي وسكبته، ثم ناولت فاليري كوباً ثم جلست معهما وقد عاد وجهها إلى رزانته. «ما هي الأسئلة التي تريدين القاءها عليّ؟»

ألقت فاليري نظرة على جيب، ثم قالت: «اظن علينا أن نقوم بالمقابلة على انفراد، أليس كذلك؟» ذلك انها شعرت بالحرج من إلقاء تلك الأسئلة الخاصة على مولي والتي تتعلق بعلاقتها الحميمة بماك، وذلك على مسمع من جيب.

فقالت مولي وقد بدا عليها التوتر: «حسناً، ربما كان الأمر أفضل اذا كانت الاسئلة خاصة.»

«حسناً إذن بعد أن ينتهي جيب من أكل الفطائر، فقد يذهب ليتمشى في الحديقة بينما ألقي أنا عليك الاسئلة.»

فقال جيب وهو يبتسم لمولي: «لا بأس، انها فطائر رائعة، فاصنعيها دوماً بهذا الشكل.»

فبدا عليها السرور: «كل فطيرة أخرى.»

فقال آسفاً: «لا اظن ذلك، فقد أكلت فطيرتين.» وأخذ جرعة من الشاي ثم نهض: «أليس هناك بأس إذا أنا تمشيت قليلاً في أنحاء المزرعة؟»

«هذا حسن ما دمت لا تترك أياً من الأبواب مفتوحة فتخرج منها حيواناتي.»

فأومأ قائلاً: «لا تخافي، سأكون حريصاً جداً.» وعندما ذهب اخرجت فاليري دفتر ملاحظاتها وقلماً، ثم فتحت جهاز التسجيل وتحدثت فيه بفصاحة: «مقابلة مع مولي غرين في ديفون.» ثم ذكرت التاريخ.

جلست مولي متوترة، ويداها على المائدة، واصابعها متشابكة، فنظرت فاليري إليها بأسف، كانت الفتاة شاحبة الوجه قد أطل القلق من عينيها ولكن مولي كانت من عالم آخر، لقد كانت ضعيفة هشة، تتأذى بسرعة، فكانت فاليري تخاف من أن تكدرها.

ولكن كان عليها ان تقوم بعملها، وهكذا تنفست بعمق، ثم ابتدأت: «هل كان ماك كاميرون هو أول رجل في حياتك، يا مولي؟»

الفصل السادس

قالت هيزل صباح الاثنين عند وصول جينا إلى المكتب: «لم أستطع أن أصدق عينيّ. إنك لم تقولي قط إنك تعرفين ماك كاميرون.»

«إنك لا تفهمينني... فأنا لم أتعرف إليه إلا مساء السبت.»

والتفتت هيزل إليها من حيث كانت تقف عند خزانة الملفات وفي يدها رسالة، ثم قالت وقد اتسعت عيناها: «إنه سريع العمل. لقد ظننت من تلك الصورة انكما...»

فقالت جينا عابسة وقد تورد وجهها: «أعرف هذا، فقد رأيتها. ولكن هذا ليس صحيحاً. كل ما حدث بيننا هو أننا تناولنا العشاء بعد العرض المسرحي.»

فقالت هيزل وقد بدت عليها خيبة الأمل: «ألم يوصلك إلى البيت؟»

«لقد أصرّ على ذلك، ولكنه لم يدخل، حتى انه لم يحاول معي شيئاً. ظننت ذلك قد يحدث لأن سائقه كان هو الذي يقود السيارة. وأظن ماك قد أضاع رخصة القيادة.. وعلى كل حال، فقد قال إنه لم يعد يقود سيارته قط. ولكنه لم يضع إصبعاً عليّ. حتى إنه لم يطلب الدخول معي لتناول فنجان قهوة. قال فقط شكراً لهذه الأمسية الجميلة، ثم ذهب.»

«يا له من خذلان لك. ظننته لا يمكن مقاومته.» قالت هيزل ذلك وهي تخرج من الملفات عدة رسائل أخرى.

«ربما الأمر مجرد دعاية له.»

«ماذا حدث بالنسبة للفتاة التي تقول إنها حامل منه؟»

فقالت جينا ببطء: «نعم، فبعد تعرفي إلى ماك ابتدأت الشكوك تساورني بشأنها. فهو لا يبدو أبداً من ذلك النوع الذي يغوي فتاة بريئة بتلك السن، ثم يوقع بها، وينكر بعد ذلك ابوته لطفلها.»

ألقت عليها هيزل نظرة ساخرة: «كلا؟ أو ربما هو رجل في منتهى المهارة في فهم النساء.»

سألتها جينا مقطبة الجبين: «ماذا يعني هذا؟»

«إنك لم تمضي معه أكثر من ساعتين أو نحو ذلك، ولكنه افلح في اقناعك بأنه ببراءة الحمل الوديع، أليس كذلك؟ هذه هي المهارة، ولكن لا تنسي أنه ممثل. وتغيير الحقائق أمام المتفرجين هي مهنته.»

بدا الذهول على وجه جينا: «معك حق، فأنا لم أفكر في هذا. ولكن لا يمكن أن يكون كل ما بدا عليه، تمثيلاً ولو لم يكن صادقاً لعرفت ذلك بكل تأكيد، فقد بدا غاية في التسامح والتعاطف. لقد شعرت معه أننا متجانسين في كثير من الأمور، حتى عندما قفز ذلك المصور أمامنا فجأة والتقطلنا الصورة، تجاوز ماك عن ذلك ضاحكاً.»

«قد يكون هو نفسه الذي رتب ذلك الأمر.» وجاءت هيزل تجلس إلى مكتبها، وهي تضع الرسائل التي أخرجتها من ملفاتها في دوسيه خاص. كانت تجمع كل المعلومات عن التحسن التقني بالنسبة إلى اعمال الطباعة تهيئها لحين عودة نيكولاس من ستوكهولم، والذي كان منتظراً في وقت ما، في آخر هذا النهار.

حدقت جينا فيها وقد فغرت فاها: «وما الذي يجعله يقوم بذلك؟»

«لا تكوني مغفلة، فالأمر لا يتعلق بالصورة قدر ما يتعلق بالتعليق عليها. فهو يهدد بمقاضاة نيكولاس، وإذا بك تخرجين معه للعشاء. لقد كان يستغلك ضد نيكولاس، ألا تفهمين؟»

فشحب وجه جينا: «كلا، لا أصدق هذا فهو ليس من هذا النوع. ثم على كل حال، فأنا واثقة من أنه لم يعرفني. لم يظهر عليه أقل دليل على ذلك.»

قالت هيزل بحدة: «كم مرة علي أن اقولها؟ وهي أنه ممثل لا يمكن أن يظهر عليه اي دليل... وهو الذي أمضى سنوات في التدرب على التمثيل. هذا هو كل شيء.»

«أظنني أعرف الرجال إلى حد كافٍ...»

فضحكت هيزل: «اعتقدي بهذا إذا شئت. ولكن ليس ثمة امرأة تعرف حقاً ما يكفي عن الرجال. فهم لغز بالنسبة إلينا، حتى انني أظنهم حلفاء قادمين من كوكب آخر، وعلينا أن نكون حذرين من التعامل معهم، ولكنني أرى أن من الأفضل أم نراهم بجانبنا بدلاً من أن نبقى وحدنا.»

أخذت جينا تحدق إليها وقد فوجئت بلهجتها هذه ومظهر وجهها. لم يكن من عادة هيزل الظهور بمثل هذه المرارة.

«هيزل، هل ثمة ما يزعجك؟»

فتمتمت هيزل تقول: «لا شيء. ولماذا المفروض أن يكون هناك ما يزعجني؟» ثم أغلقت الدرج بعنف.

«إنك تتحدثين بطريقة غريبة، على غير عادتك على الإطلاق. كما أنك شاحبة اللون... إن مظهرك يبدو...»

فقاطعتها هيزل بصوت مرتفع: «لا تخبريني كيف يبدو مظهري، فأنا بأحسن حال، وليس بي شيء.»

لم تكن جينا رأتها في مثل هذه الحالة قط من قبل، فتملكها الذعر، خصوصاً عندما انخرطت هيزل في البكاء فجأة، وأخفت وجهها بيديها وهي تشهق.

أسرعت جينا إليها، وانحنت بجانب كرسيها تحيطها بذراعيها: «هيزل؟ ما بك؟»

فقالت هيزل باكية: «لا شيء.» ثم تمتمت بصوت متقطع: «كل ما في الأمر... أظنني... ولكن بييت لا يريد... إنه سيغضب، وأنا خائفة منه يا جينا، فهو سيظنني تعمدت ذلك، فقد تشاجرنا بالنسبة لهذا الأمر اكثر من مرة، فهو سيظن انني...»

وتلاشى صوتها وهي تشهق، فاحتضنتها جينا بين ذراعيها وقد قطبت حاجبيها محاولة حل هذا اللغز.

«إنني واثقة من أن بييت لن يغضب منك أبداً. مهما كانت فعلتك. فهو مجنون بحبك، وأنت تعلمين هذا. إنه يفعل لأجلك كل شيء.»

أخذت هيزل تمسح دموعها بيديها بغضب، ثم قالت بصوت أبح: «ما عدا السماح لي بأن يكون لديّ طفل.»

فشهقت جينا بعد أن فهمت الأمر: «آه، إنك تريدين أن تنجبي طفلاً بينما بييت لا يريد ذلك.»

فقالت هيزل: «آه، ربما في يوم ما، ولكن ليس الآن... ليس قبل...» وسكتت وهي تتأوه بصعوبة، فقطبت جينا حاجبيها، محاولة أن تفهم: «إنه طبعاً يريد أن يبدأ عملاً لنفسه، أليس كذلك؟ ويريدك أن تعملي معه، فإذا كان لديك طفل فستفضلين البقاء في البيت لرعايته.»

«لا أدري ما الذي سأفعله، ولكن بإمكاننا أن نتدبر الأمر، فنحضر مربية مثلاً، أو يمكنني أخذ الطفل معي إلى العمل. إن بإمكاننا أن نتناقش في هذا الأمر، ونصل إلى حل، ولكن بييت يرفض بتاتاً أي مناقشة في هذا الشأن. إنه بالغ الإصرار على أن لا يكون لدينا طفل، حتى إنه لا يريد الحديث عن هذا، كما قال. فهو لا يسمح لي بكلمة في هذا الشأن. لقد صمم على كل هذا بنفسه، وهو أننا لن ننشىء أسرة قبل سنوات.»

فتمتمت جينا: «آه، يا عزيزتي.»

«إنه يقول إنني وافقت قبل الزواج على أن ننتظر إلى أن ننتهي من تأسيس شركتنا، فننجب أطفالاً.» وتقابلت نظراتها بنظرات جينا، فانفجرت غاضبة مرة أخرى: «حسناً، نعم لقد كنت قلت هذا بشكل ما، ولكن... حسناً، الحقيقة هي أن ما حدث في الحقيقة هو... أنه قال إن من الأفضل أن يكون ذلك، ولم أجادله أنا لأنني رأيت أن الأمر ما زال بعيداً، فقد كنا عقدنا خطبتنا لتونا، فقد كنت أعلم أنه سيمر وقت طويل قبل أن نتزوج، وفي ذلك الحين لم يهمني الأمر كثيراً، في الواقع إذا لم أكن أفكر في انجاب طفل وهكذا تركت الموضوع. فقد كنت أريد أن يكون بييت سعيداً، ولم أشأ أن نختلف على أشياء لن تحدث إلا بعد زمن طويل.»

استطاعت جينا أن تفهم كيف حدث هذا. وتذكرت كيف تركت جايمس والدها والسير جورج يدفعانها إلى زواج لم تكن مستعدة له حقاً، وكذلك هذه الطريقة التي دفعها بها نيكولاس كاسبيان الى القبول بالسفر معه إلى كاليفورنيا.

تنهدت هيزل: «ولكن كلما زرنا شقيقته، في ميدلبورغ، ورأيت ولديها، اشتهيت أن يكون لي طفل، ثم تزداد هذه الرغبة يوماً بعد يوم، ولكن بييت لم يكن يشعر مثلي. فكلما قلت، ما أجمل أن يكون لنا طفل، يقول: «لا بأس، في يوم ما ولكن ليس قبل مرور وقت طويل، إذ لا يمكننا تحمل ذلك الآن.»

فقالت جينا تخفف عنها: «حسناً، ليس ثمة ضرورة للعجلة، أليس كذلك؟ أعني أنك قد تزوجت لتوك، فلماذا لا تنتظرين فترة؟ عدة أشهر أخرى تقومين أثناءها بالتلميح؟ وأنا واثقة من أنه، بهذه الواسطة، ستتقارب مشاعره معك ويفكر بإنجاب طفل، فهناك وفرة من الوقت.»

فقالت هيزل وهي ترتجف: «كلا، لم يعد هناك وقت الآن.»

فاتسعت عينا جينا فجأة: «هيزل، لا أراك تعنين أنك...»

فأومأت هيزل وقد عادت الدموع تتدفق من عينيها: «آه، يا جينا، ماذا أفعل؟ انني حامل...»

تابعت هيزل كلامها وهي تمسح عينيها بمنديل ورقي: «إن بييت سيغضب جداً. وهو سيظنني تعمدت هذا. كيف سأخبره بالأمر؟»

نظرت إليها جينا بعطف: «حسناً، قبل أن تخبريه بأي شيء، اقترح عليك أن تتأكدي من أنك حامل. قومي باختبار للحمل، وهو سهل للغاية. كانت عليك أن تقومي بذلك على الفور. إنك ستتأكدين من ذلك، على الأقل. ولكنني شخصياً، أظن أن زواجك وقلقك الكبير بشأن عيشكما متفرقين، واضطرارك إلى السفر إلى هولندا رواحاً ومجيئاً طوال الوقت، وعدم ثقتك بما قد يحدث في المستقبل... كل ذلك قد

ترك تأثيره على اعصابك، كذلك فقدك للكثير من وزنك مؤخراً وذلك بسرعة بالغة، ولهذا تأثيره أيضاً.»

قالت هيزل وقد احمرت عيناها: «يا لك من عقلانية. إنني أكرهك.»

فضحكت جينا: «إذهبي واغسلي وجهك واصلحي زينتك، وعند ذلك تشعرين بتحسن. وأنا سأتصرف مكانك إلى حين عودتك.»

«شكراً.» ثم خرجت من الغرفة.

وبعد لحظة، ارتفع رنين الهاتف على مكتب هيزل، فمالت جينا من مكتبها لترفع السماعة.

«مرحباً، يا هيزل هنا صوفي واطسن من الدائرة القانونية. في أي ساعة من المتوقع أن يصل السيد كاسبيان من استكهولم؟»

فقالت بفتور: «إن هيزل خارج المكتب حالياً، ولكنني أعرف أن طائرة السيد كاسبيان ستحط حوالي الظهر، وبعد ذلك لديه موعد للغداء في المدينة، وهكذا لن يعود إلى باربري وارف قبل العصر.»

«فهمت، وشكراً لك. هل لك أن تخبريه بأن السيد ساندال يريد أن يتحدث إليه عندما يسمح وقته بذلك؟»

«سأتأكد من وصول هذه الرسالة إليه.»

أترى السيد ساندال سيتحدث اليه عن الصورة التي تظهرها مع ماك كاميرون؟

ساد صمت لحظة، قالت صوفي بعدها: «هل أنت السيدة جينا تيريل؟»

فقطبت جينا حاجبيها: «نعم.»

«إن السيد فوكنر يريد أن يتحدث إليك، وكنت سأتصل بك الآن. هل لك بالانتظار لحظة، من فضلك؟ سأخبره بأنك على الخط.»

لم تنتظر جينا طويلاً قبل أن تسمع صوت فوكنر يقول برقة: «مرحباً، يا سيدة تيريل، هنا غاي فوكنر يتحدث، لا أدري إذا كان لديك وقت لرؤيتي هذا النهار.»

«إذا كان الأمر يتصل بشأن صورتي مع ماك كاميرون...»

فقال بلهجة جافة: «حسناً، في الواقع إننا، أنا والسيد ساندال، ذهلنا لذلك، إذا لم تكن لدينا فكرة عن معرفتك به.»

فقالت جينا: «إنني فعلاً لم اكن أعرفه، كما أنني متأكدة تقريباً من أنه لا يعلم من أنا.»

«آه، ولكن الفرق بين (تقريباً) و(بالتأكيد)، هو كبير جداً. وهنالك شيء واحد يمكننا التأكد منه، وهو أنه سواء كان يعلم مساء السبت أم لا، فهو الآن يعلم.»

قالت: «هذا إذا كان رأى تلك الصحيفة.»

فقال ساخراً: «إن الممثلين حريصين دوماً على أن يروا ما هناك من دعاية لهم وإذا هو لم يرها، فسيخبره بها أحد اصدقائه، فهذا ما يفعلونه. هل أفهم من ذلك انك لم تريه منذ حفلة العشاء تلك؟»

فقالت جينا بحدة: «كلا.»

«حسناً، لا أشك في أنه سيتصل بك هاتفياً بعد وقت قصير. فإذا دعاك الى الخروج معه مرة أخرى، فالأمر يعود إليك طبعاً في القبول أو الرفض...»

فقالت متهكمة: «شكراً.»

تابع غاي يقول وكأنها لم تقاطعه: «ولكن إذا ذهبت لرؤيته، فأرجوك أن لا تدعيه يتحدث معك بأي شيء يتعلق بالمقالة، أو بمولي غرين ذلك أن قضيتنا قد تتعرض للخطر إذا هو استطاع استخلاص بعض المعلومات منك. في الواقع ان حتى التعليقات البريئة جداً قد تكون خطرة.»

فقالت جينا بغضب: «إنني لست حمقاء، يا سيد فوكنر.»

«إنني واثق من أنك لست كذلك، يا سيدة تيريل. ولكنك غير متدربة في الأمور القانونية كذلك وقد لا تدركين، وأنت تكشفين عن شيء أن هذا قد يفيد مصلحته ويضر بمصلحتنا.»

وفيما بعد من ذلك النهار، تناولت جينا الغداء مع روز، وذلك في مطعم بيير في بلازا، وهو المطعم الفرنسي الذي تحجز موائده لاسابيع مقدماً. وكانت روز قد عادت لتوها من باريس، وكانت حافلة الجعبة بالأخبار عن والدها واختها ايرينا وخطبتها لاستيبان والتي عقدت أثناء وجود روز هناك.

«دامت الحفلة معظم الليل... وقد بقيت بعدها متعبة يومين كاملين.»

سألتها جينا: «هل والدك راضٍ عن الخطبة؟»

فأومأت روز: «نعم، بشكل ما. فهو سيفتقد ايرينا طبعاً أظنه يتمنى لو يتأخر العرس عدة اعوام... ولكنه يحب استيبان وكذلك أنا، ولكنني قلقة بالنسبة لفرق السن... فهي صغيرة جداً، وهو أكبر منها بكثير، وقد كان متزوجاً من قبل. أظن ذلك يشكل فرقاً، أليس كذلك؟ إن ذلك يجعله ذا عادات مستقرة وأقل قابلية للتكيف من الشاب الأصغر سناً. أظن كل ما يمكننا علمه هو أن نتمنى لهما النجاح.»

فقالت جينا مفكرة: «أظنهما متماثلين، نوعاً ما قد تكون ايرينا صغيرة السن، ولكنها لا تتصرف كفتاة صغيرة، أليس كذلك؟ فهي لا تبدو مجرد تلميذة وهي بالغة الرزانة.»

قالت روز باسمة: «هذا صحيح، فهي لا تبدو كذلك.»

«إذن، فاستيبان قرر العودة إلى اسبانيا بعد زواجه؟» وكانت جينا سمعت كل هذا من نيكولاس والذي كان سبق له وناقش مسألة النقل هذه مع استيبان. وتابعت تقول: «هذا لا يدهشني. فقد كان واضحاً أنه غير مسرور لتغيير نيكولاس خطة التسويق. عندما جاء في البداية، إلى سنتنال كانت صحيفة رزينة، بدلاً من جعلها هزلية لتوسيع انتشارها.»

فأومأت روز، قائلة: «كما أن إستيبان ذو عقل جاد، برزانة عقل ايرينا.. وهكذا، ربما كنت أنت على حق في قولك انهما سينجحان في حياتها الزوجية.»

«أظن ذلك. لقد انتقل إستيبان إلى لندن لأنه كان يريد التغيير، وقد اعجب بسنتنال. فهو لم يدرك إلى أي حد كان نيكولاس ينوي إجراء التغيير في الصحيفة، وهكذا لم تعجبه خطط نيكولاس هذه... فلم يوافق على صور الفتيات وتقويم سنتنال السنوي، وعلى اعمدة الشائعات، واختطاف الصور ونبش الاحقاد التي أخذ يقوم بها كثيرون من كتاب الشائعات والأقاويل، هذه الأيام.»

فضحكت روز، قائلة: «هذه، في الواقع هي صورة سنتنال منذ انضمت إلى شركة كاسبيان الدولية.»

فقالت جينا بغضب: «وأنا أيضاً لا أوافق على ذلك.»

لوت روز شفتيها: «إننا جميعاً نعلم عدم رضاك فأنت لا تغفلين فرصة تسنح لك لقول هذا.»

«هذا حسن، وأرجو أن ينتبه نيكولاس إلى ذلك.»

«آه، لا أظن نيكولاس يغيب عنه أي شيء تقومين به.» قالت روز ذلك بجفاء، فتغير وجه جينا وبدا عليها التوتر: «أرجو أن تكوني مخطئة بالنسبة لهذا الأمر، فالهلع يتملكني لما قد يقوله إذا رأى صورتي مع ماك.»

فقالت روز ضاحكة: «(إذا)؟ ماذا تعنين بقولك (إذا)؟ لا أراك تظنين أن نيكولاس لن يسمع عن ذلك؟»

فتنهدت جينا: «حسناً، إنه لن يأكلني.»

«دعينا نأمل في أنه لن يفعل ذلك.» قالت روز ذلك عندما اقبل النادل يحمل الطبق الرئيسي لقد كانت الاثنتان اختارتا سمكاً مشوياً مع اللوز، مع طبق سلطة. وسألت روز:

«بالمناسبة، هل صحة هيزل غير جيدة؟ لقد كادت تقتلني هذا الصباح عندما اتصلت هاتفياً قبل وصولك، وهذه ليست عادتها.»

لم تستطع جينا أن تخبر روز بالحقيقة، وهكذا قالت مراوغة: «ليس من السهل الزواج من رجل يعيش في بلد آخر. وبالنسبة إلى ذكر الزواج، اظنكما، أنت ودانيال، ستتزوجان قريباً.»

«هذا صحيح، ولكن ليس من السهل وضع موعد لهذا. فأسرتي أنا صغيرة، وهي عبارة عن أبي وأختي ايرينا...»

«واستيبان. لا تنسيه.»

فضحكت روز: «اتعلمين أنني نسيته؟ نعم، وإستيبان أيضاً. لا يمثل وضع موعد للزواج أي مشكلة، إذ بإمكانهم أن يحضروا في أي وقت ولكن أسرة دانيال كبيرة ينتشر افرادها في كل أنحاء فرنسا ويبدو أن عليهم جميعاً أن

يحضروا وإلا فسينبذوننا من الأسرة. وهكذا نحن نحاول أن نضع موعداً يناسب كل واحد منهم. والمزارعون منهم هم المشكلة الأسوأ. فكلما اقترحنا موعداً، يكونون هم مشغولين أثناءه بالحصاد أو الحراثة أو جز الصوف أو اصلاح الاسيجة. ويبدو أنهم لا يملكون أيام فراغ.»

فقالت جينا وهي تنظر في ساعتها متأوهة: «ولا أنا. إنني سأتجاوز عن أكل الحلوى واتناول قهوة فقط. يجب أن أعود الآن.»

فقالت روز ضاحكة: «قبل وصول نيكولاس كاسبيان؟ فحاولت جينا أن تضحك هي أيضاً، ولكن مزاجها لم يكن يساعدها على المزاح بالنسبة إلى ذلك.

كانت بالغة التوتر لما تتوقعه من ردة الفعل لدى نيكولاس بالنسبة لتلك الصورة. وعندما عادت إلى مكتبها بعد ذلك بعشر دقائق، كان فمها جافاً.

رفعت هيزل نظراتها، فرأت ما ارتسم على ملامحها من تعبير، وقد اتجهت نظراتها نحو باب نيكولاس فقالت: «لابأس، يمكنك أن ترتاحي، فهو لم يعد بعد.»

«إنني أفضل أن انتهي من هذه المسألة. فأعصابي بحالة سيئة من الانتظار.»

وتأوهت جينا وهي تجلس خلف مكتبها.

لاحت شبه ابتسامة على شفتي هيزل، وكانت ما تزال شاحبة الوجه، وجمعت بعض الملفات وهي تقول: «إنني ذاهبة إلى الدائرة القانونية بهذه الأوراق. ولن اتأخر. خذي مكاني.»

وما مضى عدة دقائق على خروجها، حتى رن هاتف مكتب هيزل.

«جينا؟» وكان الصوت مبحوحاً متردداً، فأجابت محاولة أن تميز الصوت: «نعم.» كانت واثقة من أنها تعرف هذا الصوت، ولكن لمن؟

«هنا ماك كاميرون.» فعضت شفتها إذ كانت ترجو أن لا تسمع صوته مرة أخرى.

«آه، مرحباً.»

عند ذلك تمتم يقول: «إذن، فهو أنت. لقد كذبت علي إذ لم تخبريني عن حقيقتك.» وكان صوته غاضباً، لكنها تذكرت ما كانت هيزل قالت عنه، وتساءلت عن حقيقة مشاعره وعما إذا كان كل هذا تمثيلاً منه. فقالت له تتهمه بلهجة ساخرة: «ولكنك كنت تعرف.»

فثار غضبه: «كلا، على الإطلاق.»

«لماذا استدعيت إذن المصور ليصورنا؟»

فقال بصوت يتجلى الصدق فيه ما اوشكت معه على تصديقه: «إنني لم أفعل ذلك فلا تزعجي نفسك باختلاق هذه الادعاءات، يا جينا! وما فائدتها الآن؟ فأنا اعرف ما كان قصدك، وأنت التي اتفقت مع ذلك الفتى ليأخذ لنا صورة معاً، فقد كانت الصورة جزءاً من خطتك.»

فقالت ساخرة: «أتراني فعلت ذلك لكي أبيع الصورة إلى صحيفة منافسة؟ وهل هذا معقول؟»

فقال بحرارة: «نعم، إذا كان هذا يتفق مع لعبتك. لقد سبق واتصلت بهم لأسألهم من أبلغهم عنا، وعما إذا كنت أنت، ولكنهم ضحكوا قائلين إنهم لا يكشفون مصادرهم أبداً. ثم طلبوا مني أن اسألك بنفسي، فأدركت أنهم يلمحون إلى أنني على صواب، وانك أنت من خطط لهذا الأمر.»

ثم قال: «لقد اعجبت بك حقاً. أنا أيضاً. وسأخبرك بشيء آخر أكثر غرابة، وهو سيضحكك. وهو أنني اوشكت تماماً على الإفضاء إليك بأموري الخاصة، فقد كنت بحاجة بالغة إلى التحدث مع شخص متعاطف معي... ولكن الحذر ألجم لساني، لحسن الحظ. فقد كان حدث لي مثل هذا من قبل، فأفضيت بالحديث إلى شخص ما كان ينبغي لي أن أثق به، وإذا بي اقرأ كل ذلك فيما بعد في صحيفة من الطبقة الشعبية، إنني أعرف أن البعض يقولون إن كل انواع الدعاية، هي دعاية جيدة، ولكنني لا أحب أن اقرأ عن مشاعري الخاصة في الصحف. خصوصاً إذا كانت مشاعر هامة. فقد تعلمت أن لا اتكلم عنها، وهذا ما كنت أنت تريدينه، أليس كذلك؟ كنت تريدينني أن اتحدث عن مولي من وجهة نظري الخاصة ثم تنشرين ذلك، وفي نفس الوقت قد تجدين شيئاً يبرر عمل سنتنال، ويمنعني من مقاضاتها أو يساعدهم على كسب القضية. حسناً، تهانئي. كان عليك أن تكوني على خشبة المسرح. لقد فقدت مهنتك الأصلية، أو ربما كلا؟ ربما تحبين عملك الذي تقومين به. لقد استطعت خداعي حقاً، وأظن نيكولاس كاسبيان فخوراً بك.»

أجفلت للغضب الذي شعرت به في صوته. مهما كان قول هيزل عنه، فهي لا تستطيع أن تصدق أن كل هذا تمثيل.

قالت له بصوت مبحوح: «ماك... اسمع...»

ولكنه قاطعها بغضب: «كلا، لا أريد أن اسمع، وشكراً لك. لا يمكن لأحد أن يخدعني مرتين، لا أنت ولا مولي. إنها خدعتني حقاً بتلك العينين الكبيرتين الرائعتين والابتسامة الحلوة وطوال الوقت...»

سكت، وسمعته يتنفس بصعوبة، ثم يقول بصوت أبح: «مثل هذا الشيء ليس من السهل نسيانه فهو يجعل المرء يتساءل... هل كل النساء كاذبات مخادعات؟»

فعادت تهمس مرة أخرى وقد هزها الألم في صوته «ماك...» وكان ذهنها يموج بالشكوك والتساؤلات.

إذا لن يكن ماك كاذباً، فمولي هي الكاذبة إذن... ومع ذلك فقد كانت فاليري واثقة من صدقها، ولا أحد يمكنه أن يدعي أن من السهل خداع فاليري نايت. ولم تعرف جينا كيف تفكر. فصوت ماك يبدو مقنعاً للغاية. هل من الممكن أن يكون غضبه هذا مجرد تمثيل؟ أم أن مولي هي من يقوم بالتمثيل؟

«ماك أجبني فقط...» أرادت أن تسأله إن كانا، هو ومولي، عشيقين، ولكنه لم يدعها تنهي كلامها وهو يقول بعنف: «لا تضيعي وقتك، فلم يعد لديّ ما أقوله أكثر من هذا. لقد كان اتصالي بك فقط لأقول لك ما هو رأيي فيك وفي نيكولاس كاسبيان وصحيفتكم اللعينة. وإنني سأتابع الدعوى. انكم تفلتون من العقاب لتدميركم حياة الآخرين، ولكنكم لن تفعلوا هذا معي ثم تفلتون من العقاب. انكم ستدفعون رغم أنوفكم ثمن نشركم الإكاذيب عني.»

ثم أقفل الهاتف في وجهها، فجلست والسماعة في يدها، لحظة طويلة وقد شحب وجهها، قبل أن تضعها في مكانها ببطء.

عند ذلك فقط أدركت أنها لم تعد وحدها في المكتب. كان الباب المؤدي إلى مكتب كاسبيان، مغلقاً، ولكنه الآن كان مفتوحاً وقد وقف هو عنده ينظر إليها. منذ متى وهو يستمع إلى حديثها مع ماك كاميرون.

لم يبد على نيكولاس وكأنه رجل يعاني متاعب السفر بعد رحلته هذه عائداً من استوكهولم. كان بالغ الأناقة في بذلته الرصاصية اللون وقميصه الأبيض فبدا مثالاً لرجل الأعمال الناجح، ومع ذلك، فقد تمكن، بشكل ما، من نشر هالة من التهديد الجسدي تتناقض مع هذه الملابس المتمدنة. هل هذا لأن نيكولاس لم يكن يعرف الابتسام، فوجهه بصلابة الصوان، وعيناه الرماديتان تخترقان أعماقها تحللان مشاعرها.

وتملكتها قشعريرة إزاء نظرة العداء في عينيه، ولكنها حاولت أن تبدو هادئة، وهي تقول: «آه، ها أنت ذا قد عدت من السفر.» كان هذا كل ما استطاعت التلفظ به حالياً.

وكان كل ما أجابها به: «أين هيزل؟»

«إنها أخذت بعض الأوراق إلى الدائرة القانونية.» وتمنت جينا لو أن هيزل لم تخرج وتتركها وحدها. فقد كان واضحاً أن نيكولاس كان سيء المزاج، فقد كانت تعرف ذلك عندما يبدو بهذا الشكل.

فقال وهو يستدير على عقبيه عائداً إلى مكتبه: «إدخلي إلى هنا.»

ولكنها شعرت وكأنها تفضل الهرب في الإتجاه المعاكس، ولكنها كانت واثقة من أنه سرعان ما يمسك بها لو أنها فعلت ذلك. ولم تستطع أن تتصور ما سيفعله بها عند ذاك. وهكذا نهضت ثم تبعته وهي ترتجف.

كان قد جلس خلف مكتبه، متكئاً بكتفيه العريضتين إلى الخلف وبسط يديه على المكتب فبدا بهذا الوضع، نموذجاً للسلطة المطلقة. كان نيكولاس جالساً لمقاضاتها، وعيناه

الضيقتان كالحجر قسوة وهو ينظر إليها قادمة نحوه، ما لم تستطع جينا معه أن تمنع نفسها من الارتجاف رغم ما بذلته من جهد لتمالك نفسها.

«ما هذا الذي سمعته عنك وعن كاميرون؟» جاء هذا السؤال بشكل متفجر جعلها تجفل وهي تقول متلعثمة: «أنا... نحن... هو...»

«أتشعرين بالذنب، يا جينا؟» ولوى شفتيه فأشاحت بوجهها تخفي بأهدابها عينيها المتوترين.

«ليس لدي ما يجعلني أشعر بالذنب.»

فتوترت ملامح نيكولاس، فأخذ يقذفها بالاسئلة الحادة كطعنات السكين: «كلا؟ منذ متى صداقتكما هذه؟ وإذا كانت بريئة، فلماذا لم تقولي إنك تعرفينه؟ ولماذا جعلتني أعرف ذلك من صورة في صحيفة أخرى؟ وماذا، كنت تتوقعين أن يظنه الآخرون؟ لقد جلست في هذا المكتب واستمعت إلى المحاميين وإلى تلك الفتاة التي تعمل في قسم الشخصيات، وكوليت تسي وكنت تعلمين جيداً مبلغ أهمية ذلك الأمر، ومع ذلك فأنت لم تذكري قط أنك تعرفين كاميرون.»

فاندفعت تقول بسرعة عندما سكت لحظة ليلتقط أنفاسه. «إنني لم أعرفه إلا في هذه العطلة الأسبوعية. فقد ذهبت لأرى الاستعراض الموسيقي الذي يقيمه مساء السبت، وذلك من باب الفضول فقط، لأن الجو كان رديئاً ولم يكن لدي ما أقوم به، وإذا بي أقابل السير ديرموت غاسكيل مصادفة...»

فقاطعها نيكولاس: «غاسكيل!»

«نعم، فأخذني إلى خلف خشبة المسرح حيث كانوا يقيمون حفلة صغيرة، ثم قدمني إليه... إلى ماك.»

فقال نيكولاس عاقداً حاجبيه: «إذن، فقد كان غاسيكل هو مهندس هذا الأمر؟»

«حسناً، لقد عرفنا ببعضنا البعض. ولكن السير ديرموت لم يكن يعلم بمسألة الدعوى القضائية، وأنّى له أن يعلم؟»

فقال بلهجة لاذعة: «إنه يعرف كاميرون، وغاسكيل لا يكن نحوي أي شعور بالصداقة، هو أيضاً، فليس لديه مانع في الإضرار بي.»

عضت جينا شفتها وهي تعترف بينها وبين نفسها أن هذا قد يكون صحيحاً. ذلك أن السير ديرموت لم يكن يحب نيكولاس.

وتابع نيكولاس وهو يراقبها: «لابأس فقد تعرفت إلى كاميرون... ولكن كيف أخذت لكما هذه الصورة؟»

«دعاني إلى العشاء بعد انتهاء العرض، وهذا كل شيء. وكان أخذ المصور صورة لنا معاً مجرد سوء حظ.»

فقال نيكولاس لاوياً شفتيه: «سوء حظ؟ لم يكن للحظ دخل في ذلك. لم يكن التقاط هذه الصورة مجرد عمل انتهازي، فالذي التقطها كان يعلم جيداً من أنت، وكان يعلم أن كاميرون يهدد بمقاضاة سنتنال، هذا دون ذكر للباقي.»

إتسعت عيناها وبانت فيهما الحيرة: «الباقي؟»

«أنا وأنت.»

سرت حمرة خفيفة في وجنتيها: «آه، ذاك...»

فقال بحدة: «نعم، (ذاك).»

والتقط نسخة من الصحيفة من على المكتب أمامه، ثم قرأ التعليق بصوت مرتفع وغاضب، ثم ألقى عليها نظرة كالثلج: «أظنك أخبرت كاميرون أن بيننا عداء مستمراً.»

«كلا، لم أقل له ذلك.»

فتجاهل انكارها، قائلاً: «حسناً، هذا هو بكل وضوح، وهذا الصديق الذي نقل هذا الكلام، قائلاً بأنك غاضبة مني، وأن الخروج مع كاميرون هو طريقتك للعودة إليّ. إن قائل ذلك هو كاميرون نفسه، إليس كذلك؟»

فالتهب وجهها وحوّلت نظراتها عنه: «كلا، أنا لم أخبره شيئاً. إنني لم آت على ذكرك قط. حتى إنني لم أخبره باسمي العائلي. فهو لم يعلم من أكون.»

فضحك بغضب: «لقد قدمك السير ديرموت غاسكيل إليه، ثم لم يخبره من تكونين؟ أتتوقعين حقاً مني أن أصدق ذلك؟ إنني أعرف مبلغ تعلق غاسكيل بالرسميات.»

فعضت شفتها: «ربما هو كذلك في ميدان المال، ولكن ذلك كان في الحفلة، وهو دعاني جينا فقط... إنه لم يذكر اسمي العائلي. إنني واثقة من أن ماك لم يكن يعرف من أنا، ولم يكن هو الذي دفع ذلك الشاب لالتقاط تلك الصورة. أظن ثمة شخص في المطعم هو الذي فعل ذلك، شخص يعرفني ويعرف ماك. ولا بد أنها الصحيفة التي أوردت قصة الدعوى القضائية.» جذبت نفساً عميقاً دون أن تجرؤ على مواجهة نظراته. «و... وذلك الأمر عني وعنك...»

فسألها بلهجة متوترة: «نعم، ماذا عن ذلك الأمر؟»

«حسناً، إنك تعرف ما يقوله موظفوا الصحيفة. فشارع الصحافة هو عالم صغير، وكثير من مخبريك أخذوا يعملون في أمكنة أخرى، ولكن ما زالت لهم علاقة باصدقائهم هنا. والأقاويل تسري كالنار في الهشيم.»

سألها بمرارة: «لماذا تغذينها إذن؟ لماذا لا تنفكين عن

الجدال معي، وتحاربينني أمام الناس؟ إذا كانت هناك أقاويل فلأنك تعطين الناس شيئاً يتحدثون عنه.»

قالت له بصوت مبحوح: «إنك تعلم لماذا أحاربك. إنني أناضل لأجل عقيدة اؤمن بها. لأجل شيء أعشقه. إنني لا أحب ما تفعله بالصحيفة، وأنا لا أريد التظاهر بالعكس، أو أذعن لك كما يفعل الجميع.»

جلس خلف مكتبه وقد أظلم وجهه بالغضب وهو يحدق إليها: «حسناً، عديني على الأقل، بأنك لن تري كاميرون مرة أخرى.»

فقالت بجفاء: «إنني أشك في أنه يريد أن يراني. لقد كان بالغ الغضب حين رأى الصحيفة واكتشفت من أكون. ظن أنني كنت أحاول التحايل عليه بشكل ما. وهذا هو السبب في أنني واثقة من أنه ليس هو الذي دفعهم لأخذ الصورة.»

فقال بحدة: «لا يهمني على الإطلاق ما إذا كان هو الذي فعل ذلك أم لا. إياك أن تريه مرة أخرى، هل فهمت؟»

رأت جينا أن من الحكمة أن لا تتجادل معه. ولكنها في الأعماق كانت تعلم أن ماك إذا عاد فمال إليها فستقفز لانتهاز الفرصة ورؤيته مرة أخرى. فقد تركها وفي ذهنها كثير من الاسئلة دون جواب، وهي تريد اجوبتها.

الفصل السابع

أمضت فاليري معظم صباح الاثنين في فندق سافوي، تقوم بمقابلة لمطرب اميركي والذي كان أحضر كل أفراد فرقته الزنوج إلى بريطانيا في رحلة سياحية طويلة، كان من السهل التحدث إليه، فقد كان سريع البديهة سريعاً في الحديث، وكان يخوض مواضيعاً يعطي فيها آراءً مثيرة للجدل، ولا شك أن هذا يجعلهم يتلقون كثيراً من الرسائل من قراء الصحيفة، وذلك لأجل أشياء قالها، ما جعل فاليري في منتهى الإثارة... فهذه ستكون مقابلة جيدة تماماً، وقد وصل المصور في نفس الوقت الذي انتهت فيه المقابلة، فتركته في جناح المطرب لكي يلتقط له بعض الصور التي تتناسب مع المقابلة.

وعندما تركته ودعته بقولها: «اشكرك جداً، لقد سررت بمعرفتك يا لويس.» فانحنى لها المطرب برشاقة ولكنها لاحظت أن ذهنه قد أصبح مشغولاً بتصويره.

كانت لديها مقابلة أخرى عند عصر ذلك النهار، ولكنها عادت إلى باربري وارف لكي تبدأ كتابة المقابلة مع المطرب قبل أن تتناول غداءً سريعاً.

كان هذا النهار مشمساً تماماً، ولكنه ليس حاراً، كانت السماء كزجاج أزرق صفاءً وصحواً، ليس فيها سحابة واحدة، ولكن الهواء كان قارساً. وعندما اجتازت ساحة بلازا، كانت أوراق الأشجار المصفرة تتناثر على ضفاف النهر، فالخريف لم يكن بعيداً.

لحظتها كوليت منذ اللحظة التي توجهت فيها إلى طابق المحررين، فأشارت اليها بالحضور. قالت لها فاليري وهي تغلق الباب خلفها: «لقد كنت قادمة على كل حال.» وأحست بالأعين تتسمر على ظهرها حال جلوسها على الكرسي مقابل مكتب كوليت، المشكلة بالنسبة إلى هذه المكاتب المكشوفة هي أنه رغم ان الكلام لم يكن مسموعاً داخل هذه الجدران الزجاجية، والتي كانت تكوّن مكتب كوليت، إلا انه كان بإمكان أي شخص أن يراهما.

كان كثير من الناس الآن قد سمعوا بعض الهمس عن التهديد بدعوى قضائية وكان كل موظف في قسم المحررين يشكر حظه على أنه ليس هو السبب، فلا أحد يريد التورط في مشاكل قضائية ذلك ان خسارة الصحيفة للقضية تعني خسارة الموظف المتسبب بها لوظيفته.

«حسناً، ما الذي عرفته من مولي غرين؟»

«لقد تحدثت إليها لمدة ساعات، فتمسكت بقصتها، لقد عدنا إلى القصة مرة بعد أخرى، وأنت تعلمين انني مازلت مقتنعة بقصتها تلك، فأنا لم أجد أي شيء يشير إلى انها كاذبة، وهي تقسم أنها لم تعرف رجلاً آخر سواء قبل أن تعرف كاميرون أم بعد ذلك، فهو أول رجل تعرفه، وهي ما زالت تحبه.» ونظرت إلى كوليت عابسة: «هل تتصورين هذا؟ ان يعاملها الرجل بهذا الشكل، ومع ذلك تبقى على حبه؟»

«هل قالت لك هذا؟»

«نعم، لقد سألتها عن ذلك، فبقيت لحظة لا تجيب، ولكنني رأيت الجواب في عينيها، انها مجنونة بحبه، حتى بعد كل ما سببه لها من ألم، لا اظنها تنام جيداً، فهي تعسة للغاية، لقد

شعرت بالأسف لإلحاحي عليها، ولكن كان عليّ ان استمر في الإلحاح لكي أتأكد من أنني احصل هذه المرة على الحقيقة، وهكذا عدت أسألها مرة أخرى: «اما زلت تحبينه؟» عند ذلك اخبرتني، فهي تتمنى لو تتمكن من أن تكرهه، ولكنها لا تستطيع، فهي لا تفهم السبب الذي يجعله يكذب عليها، كما قالت. وهي تعلم أن الحق مع والديها، فهو لا يحبها، وإنما كان يتسلى معها فقط... ولكنها لا تستطيع التوقف عن حبه.»

ومرت فاليري بيدها على شعرها الأشقر وهي تتأوه بغضب: «الرجال... انهم أساس كل البلاء في العالم.»

فقالت كوليت ضاحكة: «وأساس كل المسرات أيضاً.»

سألتها فاليري عابسة: «ولكن هل يستحق ذلك أن يلقي بك أخيراً ويذهب مع امرأة أخرى؟ خصوصاً إذا تركوك مثل مولي.»

فهزت كوليت كتفيها: «لم يحدث لي هذا على الإطلاق، فأنا أنتبه إلى نفسي، فلماذا لم تنتبه هي؟ واني اتساءل عما إذا كانت تعمدت الحمل لكي تجعله يتزوجها، هل هذا هو السبب في رفضه الاعتراف بالطفل؟» اخذت تفكر في ذلك وقد أسندت ذقنها على يدها، ثم عادت إلى مظهرها العملي مرة أخرى، وهي تومىء قائلة: «حسناً، مهما يكن الأمر... فنحن نبقى معها، ونساند قصتنا... إتفقنا؟»

فابتسمت فاليري لها شاكرة: «نعم، هذا حسن، فشكراً لك يا كوليت.»

قالت كوليت: «والآن، دعينا نقل ان الحق معك، وأن مولي تقولي الحقيقة، فأين نحن من ذلك؟ لا بد إذن ان كاميرون هو الكاذب، فهذه الصور تتحدث عن قصتهما، فقد كانت معه

على ظهر ذلك اليخت، وكانت علاقتهما تبدو حميمة جداً، إنني لا اعتقد انه سيقيم هذه الدعوى، وإنما يحاول ان يخيفنا بها، آملاً بأن ننشر اعتذاراً عن نشرنا للقصة، وإلا فقد تبقى الدعوى عالقة في المحاكم سنوات عديدة.»

رن جرس الهاتف على مكتبها، فرفعت السماعة. «نعم، آه انها هنا، سأرسلها اليك حالاً.» ثم وضعت السماعة ونظرت إلى فاليري: «انه غاي فوكنر، إنه يريد أن يعلم ما حدث عند زيارتك لمولي غرين.»

فلوت فاليري شفتيها: «لقد اعطائي قائمة بأسئلة شخصية لها، لقد كرهت هذا، ولكنني قمت بذلك.» ثم قالت بابتسامة عريضة. «ولكنه دعاني إلى الغداء.»

فقالت كوليت تستعجلها: «إذهبي، فقد يكون صديقاً نافعاً، دوماً المحامون هكذا.»

فقالت فاليري وهي تنهض واقفة: «هل هنالك شيء آخر تريدين الحديث عنه؟»

فهزت كوليت رأسها: «أظننا تحدثنا في كل الأمور، هيا إذهبي إلى محاميك.»

وعندما همّت فاليري بالخروج، اضافت كوليت تقول: «لا تنسي إجراء المقابلة مع لويس جاكسون في مكتبي هذا قبل الخامسة من عصر هذا اليوم.»

عبست فاليري، ولكنها أومأت بالإيجاب، كانت دوماً تتذمر إذا كان عملها كثيراً، أو اعطيت وقتاً محدداً لإنهاء عملها، ولكنها في نفس الوقت، كانت تحب أن تشعر بالنشاط في جسمها، كما يحدث عندما تكون في سرعة بالغة.

عندما دخلت إلى مكتب غاي فوكنر، نهض واقفاً، ثم

استدار حول المكتب وهو ينظر اليها باهتمام ظاهر: «شكراً لقدومك لرؤيتي.» وسحب كرسياً قدمه لها، فجلست واضعة ساقاً على ساق بينما هو ينظر اليها، ثم جلس على حافة مكتبه بقربها: «كيف كانت مقابلتك لمولي غرين؟»

أخبرته فاليري بما كانت اخبرت به كوليت، فأخذ يستمع إليها باهتمام، وهو ينحني نحوها مومئاً برأسه.

«إذن، فأنت تؤمنين بقصتها تماماً؟»

«كلياً.» اجابته بذلك وهي ترفع إليه عينيها البنفسجيتين المتسعتين إخلاصاً.

نظر اليهما لحظة، ثم قال: «حسناً إذن، علينا ان ننتظر ونرى ما إذا كان ماك كاميرون يريد الإستمرار في القضية.»

«وهل ستستغرق سنوات لكي تمثل في المحكمة؟»

فهز كتفيه: «ربما، فالمحاكم في غاية الإزدحام، والقضايا قد تستغرق سنوات لتصل إلى أعلى القائمة، متى موعد ولادة ذلك الطفل؟»

«الشهر القادم، وعند ذاك يمكننا أن نجري له فحص دم لنرى إن كان ابنه حقاً.»

فقال موافقاً: «وإذا جاءت النتيجة إيجابية، فسيقوى وضعنا كثيراً.» ثم نظر إلى ساعته. «الساعة الثانية عشرة تقريباً، ماذا ستفعلين بالنسبة إلى الغداء؟»

فقالت: «كنت ذاهبة إلى مقهى توريلي لشراء شطيرة آكلها في المكتب.»

«هل لك ان تتناولي الغداء معي بدلاً من ذلك؟»

فقالت: «شكراً فهذا يسرني.»

«هذا حسن.» وابتسم لها ثم مال نحو الهاتف يدير رقم

مطعم بيير: «ألو، هنا غاي فوكنر... هل لديك مائدة لشخصين؟» وعبس وهو يستمع إلى الجواب. «لا بأس، شكراً.»

فسألته فاليري: «هل الموائد محجوزة كلها؟» فأومأ إيجاباً: «ما رأيك في المطعم الصيني؟ يمكننا أن نأكل في مطعم هونغ واه، فبالإمكان ان نجد مائدة خالية.»

قالت فاليري: «وهم أسرع من مطعم بيير.» وهكذا اتصل بهم غاي وحصل على مائدة هذه المرة.

عندما كانا يغادران المكتب، دخلت صوفي تحمل بعض المستندات، فألقت على فاليري نظرة باردة اجابتها هذه بابتسامة ساخرة: «مرحباً صوفي، كيف حالك؟»

أجابت صوفي بلهجة عفوية: «بأحسن حال، غاي هذه هي الأوراق قد احضرتها، وكنت قلت إنها مستعجلة.»

فقال مقطباً حاجبيه: «حسناً، ضعيها على مكتبي، وسأراها بعد الغداء، إنني سأعود في الواحدة والنصف، فنحن سنتغدى في مطعم هونغ واه عبر الشارع.»

ألقت صوفي على فاليري نظرة سريعة حادة، فبادلتها هذه النظر ببرودة، أترى كانت صوفي مسرورة وهي تراها تخرج مع غاي بدلاً من جيب؟ إذا كان هذا هو شعورها، فقد أحسنت إخفاءه، فقد بدا وجهها لحظة خالياً من كل شعور.

ولكن عندما ابتعدت فاليري وغاي، شعرت فاليري بنظرات الفتاة العدائية وكأنها سكين تطعنها في ظهرها، ما مبلغ شعور صوفي نحو جيب من الجدية؟ أخذت فاليري تتساءل عن ذلك باكتئاب.

قال غاي يخاطبها وهما يجتازان ساحة بلازا نحو مخرج شارع سيلفر ستريت: «انتبهي، انسي قضية المحكمة

واستمتعي بغدائك، فالحياة أقصر من أن نبددها بالقلق على أشياء قد لا تحصل ابداً.»

كانت هذه نصيحة جيدة تقبلتها فاليري وهي تبادله الإبتسام. كان الطعام في الواقع، ممتازاً وكله مطهي حديثاً، كانت هناك وجبة حاضرة بثمن جيد جداً، وهكذا تناولاها معاً، تبعه أربيان كبير مطهي بالبندورة، مع شيء من الثوم والبصل، وبجانبه أرز مسلوق وخضار مطهية على البخار.

قررا أن يتناولا بعده شاياً صينياً، وكان غاي مرافقاً جيداً جعلها تضحك على الدوام وهو يلقي عليها اسئلة ذكية عن مهنتها، وعندما سألته عن عمله كانت أجوبته بنفس الذكاء والروح الفكهة، والصراحة التامة، كما يظهر، ما جعلها تشعر بأنها عرفت الكثير عنه كما عن عمله.

قال لها وهما عائدان: «يجب أن نخرج معاً مرة أخرى في أسرع وقت.»

فابتسمت له قائلة: «لشد ما يسرني ذلك.» وأخذت تنظر إلى صاحبة مقهى توريلي وهي تقف مستندة إلى مكنتها امام المقهى، تراقب المارة بعينيها السوداوين المليئتين بالفضول.

كان في داخل المقهى صف من الزبائن ينتظرون أن يلبي روبرتو توريلي طلباتهم، التفت واحد منهم إلى فاليري وأخذ يحدق إليها بعينين ضيقتين فاحمر وجهها وحولت عنه نظراتها، ان جيب كولينغوود لا يفوته شيء أبداً.

نظرت إلى ساعتها بسرعة ثم عبست: «يجب ان استقل سيارة أجرة، فلدي موعد في كينزينغتون الساعة الثانية، والوصول إلى هناك في مثل هذا الوقت من النهار يستغرق

نصف ساعة، والساعة الآن الواحدة والنصف تقريباً، شكراً للغداء، يا غاي، إلى اللقاء.»

كانت تريد أن تستقل سيارة أجرة قبل أن يمسك بها جيب، وكانت واثقة من أنه سيأتي للبحث عنها.

خرجت من البوابة إلى شارع نورت ستريت حيث يمكنها العثور على سيارة أجرة هناك ولكنها عندما وصلت إلى الرصيف، لم تجد سيارة أجرة، وإذ وقفت تنتظر وهي تعض شفتها، سمعات خطوات تركض خلفها، فتوترت أعصابها بعنف.

التفتت تواجه جيب كحيوان استعد للدفاع عن نفسه، بينما وقف هو أمامها وعيناه تلمعان غضباً: «إذن فأنت تخرجين مع فوكنر!»

لم تجب على هذا، وإنما هاجمته، بدلاً من ذلك، قائلة: «ظننتك تعمل اليوم.»

«جئت للمساعدة هذا الصباح لأن ثمة موظفاً خرج بسبب مرضه فاحتاجوا إلى من يأخذ مكانه في المكتب، ولكنهم لم يعودوا بحاجة إليّ الآن.» ونظر إليها عابساً: «ثم لا تغيري الموضوع، هل سترين غاي فوكنر مرة أخرى؟»

فردت عليه ساخرة: «هذا محتمل ما دام يعمل في نفس المبنى، ألا تظن أنت هذا أيضاً؟»

«انك تعلمين ما أعنيه، هل ستخرجين معه مرة أخرى؟»

«إذا شئت أنا ذلك، فلن اطلب منك الإذن، بالطبع، من تظن نفسك حتى تستعمل معي مثل هذا الإرهاب؟»

فقال منكراً بحدة: «انني لم استعمل معك الإرهاب قط، رغم انني واعترف بذلك طالما تمنيت أن أصفعك، ولكنني تربيت على أن لا أضرب النساء حتى ولو كن يستحقن ذلك.»

فقالت مهددة: «من الأفضل لك ان لا تفعل ذلك.»

فحملق فيها: «لا تستفزيني، يا فاليري.»

إقترب منها خطوة، فتراجعت إلى الخلف وإذا بها تجد نفسها في زاوية الجدار المحيط بمجمع باربري وارف، وقبل أن تنسل جانباً، كان هو قد سد الطريق عليها بجسمه الضخم، مادأ ذراعيه حولها يسجنها بينهما.

أخذ قلبها يخفق بعنف بين ضلوعها، واخذت ترتجف، كان قريباً منها اكثر مما ينبغي، وشعرت بدوار في رأسها، رفعت بصرها إليه لتحتج، فلم تستطع التفوه بكلمة، فقد كان في الطريقة الجادة التي كان ينظر فيها إليها ما استل منها كل وسائل الدفاع.

تمتم يقول بغطرسة أوقفت منها الأنفاس: «لا أريدك ان تخرجي مع رجال آخرين، يا فاليري، هل فهمت؟»

ولكن فاليري لم تفهم شيئاً، وخصوصاً نفسها، وكل ما كانت تعرفه أنها في كل مرة كانت ترى فيها جيب، كانت تفقد سيطرتها على نفسها، وقد ملأها هذا رعباً، ان عليها أن تهرب منه قبل أن يرى ضعفها في عينيها.

وتملكها ارتياح عنيف وهي ترى سيارة أجرة تقف في الصف، خلفهما، فقالت له وهي تحاول التسلل من جانبه: «عليّ ان اذهب، إن لديّ موعداً لمقابلة بعد ربع ساعة ولا استطيع التأخر.»

«عديني بأن لا تخرجي مع فوكنر، وبعد ذلك يمكنك الذهاب.»

لم يكن جيب يتزحزح من مكانه وقد بانت الصلابة والعزم في وجهه.

فقالت: «آه، لا بأس، أعدك بذلك، فدعني أذهب.»

نظر جيب اليها راضياً: «كفى مقاومة لمشاعرك يا فاليري، فأنت لي وانت تعلمين ذلك.»

فقالت بصوت مرتجف: «يجب أن أذهب...» فابتعد عن طريقها باسماً، وسارت هي إلى سيارة الأجرة وساقاها تكادان تهويان تحتها، فتحت الباب ثم أعطت السائق العنوان في كينزينغتون، وأثناء ذلك تمالكت نفسها قليلاً وهي تشعر بالغضب للسهولة التي هزمها فيها، ثم مالت على نافذة السيارة ونادت جيب، قائلة: «انك أخذت ذلك الوعد مني بالإبتزاز، ولهذا فليس له أي حساب عندي.»

وإذ رأت الغضب الأسود في وجهه، كانت السيارة قد ابتعدت بها منعطفة حول الزاوية فغاب عن الأنظار، ولكن فاليري لم تستطع أن تمحو من ذاكرتها منظر ما ارتسم على وجهه وذلك بقية ذلك اليوم.

تمالكت نفسها ثم ركزت افكارها على المقابلة، وبعد ذلك عادت إلى المكتب لتكتب مقالتها عن تلك الفرقة الغنائية التي كانت ابتدأت جولتها السياحية في بريطانيا، لم يكن العمل سهلاً عليها، فهي لم تستطع التوقف عن التفكير في جيب، وفي كل مرة كانت تفكر فيه، كان قلبها يخفق بعنف وتحتبس أنفاسها. كانت على وشك الوقوع في غرامه، وهذا سيكون حماقة كبرى.

وإذا بالحقيقة تصدمها فجأة، أشبه بلمعان البرق، فقد فات أوان منع نفسها من الوقوع في حبه، وجلست تحدق في الفراغ وهي تشعر بالدوار، إنها تحبه، وقد حدث هذا منذ وقت طويل، رغم رفضها الإعتراف بذلك.

وجاءها صوت مخبر آخر يسألها ضاحكاً، وهو يمر بجانبها: «هل تنتظرين الإلهام؟ جربي ان تضربي رأسك على الجدار، فهذا دوماً ينجح معي.»

أرغمت فاليري نفسها على القول، ضاحكة: «كنت اتساءل لماذا يتعفن عقلك، يا جون.» لم تستطع الجلوس هنا حيث كل شخص يستطيع رؤيتها، كان عليها أن تكون وحدها، فخرجت إلى غرفة السيدات لتغيير الملابس، والتي كانت خالية، لحسن الحظ، فجلست على إحدى الكراسي الصغيرة البيضاء، محاولة ان تفكر في جيب، وحبها له.

فتح الباب فأسرعت بالوقوف، محاولة ان تبتسم للفتاة التي دخلت، وهي تتظاهر بتسوية شعرها، نظرت فاليري إلى صورتها في المرآة فتملكها العجب وهي ترى شكلها طبيعياً تماماً، لماذا لم تظهر مشاعرها على وجهها؟ عيناها فقط بدت فيهما المشاعر، فاستدارت بحدة وعادت إلى عملها.

* * *

عندما وصلت جينا إلى المكتب صباح الثلاثاء، دهشت إذ لم تجد هيزل في المكتب، ففي العادة كانت هيزل أول القادمين إليه.

أخذت جينا تتفقد بريدها لترى ان كان ثمة رسالة مستعجلة، ولكن بعد دقيقتين ارتفع صوت جرس الهاتف، وفي النصف الساعة التالية لم يكد يتوقف، لم يكن نيكولاس قد وصل بعد، وكان عليها أن تجيب عنه ما يرده من مخابرات.

وأخيراً وصلت هيزل في التاسعة والنصف، وكانت تبدو من الشحوب والتوتر بحيث أدركت جينا ما ستقوله هيزل قبل أن تفتح هذه فمها.

قالت لها جينا وهي تنهض واقفة: «اختبار الحمل كان إيجابياً، أليس كذلك؟»

فأومأت هيزل برأسها وهي تكاد تبكي، فاحتضنتها جينا: «لا أريدك أن تبدي بهذا الشكل وإلا جعلتني أبكي، سيكون الأمر على ما يرام يا هيزل، انني اعرف ان بييت لا يريد طفلاً الآن، ولكنه سيتعود على الفكرة بعد أن يرى أن الأمر قد وقع، اجلسي وخذي فنجان قهوة، لقد صنعتها لتوّي.»

جلست هيزل خلف مكتبها بينما أخذت جينا تسكب القهوة، ثم قالت بخشونة بينما كانت جينا تناولها فنجانها: «سألني الطبيب ان كنت أريد الاجهاض.»

بدا الذعر في عيني جينا، وأخذت تحدق إليها: «وماذا قلت له؟»

فضحكت هيزل بكآبة: «قلت إنني سأفكر في هذا الأمر، قال ان عليّ ان لا انتظر طويلاً، إذ من الأفضل التخلص منه في أسرع وقت ممكن، وكلما كان الوقت مبكراً، كان ذلك أفضل.»

فعضت جينا شفتها: «ان أول ما عليك أن تفعليه هو أن تخبري بييت...»

«ليس عليّ ان أخبره على الاطلاق، إذ يمكنني دخول المستشفى وإجراء العملية والعودة إلى العمل في حوالي يومين، تبعاً لقول الطبيب، وبهذا لا يعلم بييت مطلقاً بالأمر.»

فتملك جينا الذعر: «هيزل... لا يمكنك هذا، فهذا طفل بييت أيضاً، وله الحق في الاشتراك في اختيار ما يحدث له، اسمعي، إذا أراد بييت هذا الطفل، فستريدينه أنت أيضاً، أليس كذلك؟»

اغرورقت عينا هيزل بالدموع: «طبعاً أريده.. ولكن...»

«ربما لن يريده، ولكنك لا يمكن أن تتأكدي من ذلك، ان عليك حقاً أن تخبريه وتناقشا الأمر، فليس بإمكانك القيام بمثل هذا الأمر الخطير دون استشارته، اسمعي، اذا كنت تريدين الذهاب إليه لتخبريه...»

«كلا.» قررت هيزل ذلك في صوت أقل توتراً وهي تمسح عينيها: «كلا، سأتحدث إليه أثناء العطلة الأسبوعية، الحق معك، فأنا متشائمة، ربما سيتغير شعور بييت الآن.» ومنحت جينا ابتسامة مرتجفة. «شكراً، من المفيد حقاً أن يكون هناك شخص متفهم أتحدث إليه، لا يمكنني ان اتحدث إلى أمي، والا فستصاب بصدمة.»

* * *

في وسط ذلك الأسبوع، انطلقت جينا ونيكولاس كاسبيان وبقية المديرين في رحلة إلى سان فرانسيسكو كانت رحلة طويلة متعبة أرهقت جينا، إتكأت إلى الخلف في مقعدها في سيارة الليموزين التي كانت تحملهما إلى المدينة، وقد أغمضت عينيها. «كم تبلغ من البعد؟»

فقال نيكولاس: «ستة عشر ميلاً.» وكان قد أرسل الأربعة مديرين الآخرين في سيارة الليموزين الأخرى لأنهما كانا منطلقين في اتجاه مختلف، فهو وجينا سيمكثان مع أمه في

بيتهم، بينما الرجال الآخرون سيمكثون في فندق سانت فرانسيس في شارع باول ستريت، في قلب مدينة سان فرانسيسكو.

قالت بذعر: «هل هي بعيدة إلى هذا الحد؟ أحقاً؟ كنت أرجو ان أذهب إلى السرير وأحصل على نوم حقيقي، فأنا لم أنم في الطائرة.»

«هذه ليست فكرة حسنة، إذ عليك ان تكيفي نفسك لتوقيت هذه البلاد، عليك أن تبقي مستيقظة إلى ان يذهب الجميع للنوم، وعند ذلك تستيقظين غداً شاعرة بتحسن كبير.»

فتأوهت قائلة: «لا اصدق أنني سأشعر بالتحسن على الاطلاق، فرأسي يقرع كالطبل، كما انني أشعر بشيء من الغثيان، أريد فقط أن استلقي في مكان هادىء.»

«مسكينة جينا.» وشعرت بذراعه تلتف حولها، فأجفلت، وإذا بالأرض تميد بها.

ولكنها لم تكن الأرض التي كانت تميد، وإنما هي التي كانت تسقط على الأرض، مضت لحظة لم تدرك ما كان يحدث، ثم إذا بها تجد نفسها ممددة على المقعد ورأسها على ركبتيه.

«ما الذي...» ابتدأت تقول بينما وضع إصبعه على شفتيها يمنعها من الكلام: «عودي إلى اغماض عينيك ولا تتحركي. إنك لن تنامي، ولكن الراحة لن تضرك. ففي مثل هذا الزحام سيستغرق الوصول إلى منزل امي ساعة كاملة.»

فتمتمت غاضبة: «وما الذي سيظنه السائق بنا؟»

«إنه لا يأخذ راتباً لكي يظن.»

«دعني أنهض يا نيكولاس.»

قال ساخراً وهو يضحك: «لا تكوني طفلة، لماذا لا تعترفين بأنك مرتاحة اكثر وأنت مستلقية بهذا الشكل، بدلاً من الجلوس بينما نشق طريقنا وسط الزحام.»

رأت جينا أن الجدال معه، ومقاومته، هو أمر بعيد عن الرزانة، فأغمضت عينيها دون أن تنطق بكلمة أخرى، ثم حاولت أن ترتاح، وكان الحق معه، فوضعها هذا كان مريحاً تماماً، وفي الواقع كانت أوشكت على النوم عندما وصلا أخيراً إلى منزل السيدة كاسبيان.

قال لها نيكولاس وهو يساعدها في الجلوس: «لقد وصلنا.» فتثاءبت جينا ثم اخذت تنظر بعينيها المثقلتين بالنعاس إلى خارج النافذة بينما كانت السيارة تصعد في طريق ضيق متعرج يصعد إلى تلة شديدة الإنحدار، وتحف به أشجار النخيل، ومن خلال اغصان النخيل، رأت مروجاً خضراء وفوقها منزل فيكتوري فخم من الطراز القوطي، ما جعل ذلك يؤلف منظراً غامضاً من خلال الأشجار، وأخذ نيكولاس يتمتم: «البرج ذو السبع قبب.»

فأجفلت تقول: «ماذا؟»

«ذاك اسم المنزل، فقد بني على هذه التلة لكي يبدو للناظرين من أبعد الأمكنة... فأسفله يقع الخليج...» والتفت مشيراً إلى الخلف. «حتى ان بإمكانك ان تريه من هناك حين لا يوجد ضباب.»

سألته والسيارة تقف امام المنزل: «هل أمك هي التي اختارت ذلك الاسم؟»

«كلا، لقد اختاره الرجل الذي بنى المنزل، لقد كان رجلاً شاعرياً.» قال نيكولاس ذلك باستخفاف.

فقالت: «لا بد انني كذلك، أنا أيضاً فقد اعجبني الاسم جداً، وهو يناسب المنزل.»

فتح السائق الباب، فخرجت جينا ووقفت على الطريق ومضت تتأمل المنظر، فقد كان غير عادي.

كان المبنى المذهل الذي يصدم النظر عبارة عن برج ذي ثلاثة طوابق متوجة بسقف مستدير من الواح أردوازية، ولكن كان هنالك قبتان خضراوان مغطاتين بالبرونز وذلك خلف المبنى، وعلى طول الطابق الأول كان صف من النوافذ المستطيلة العالية امام كل منها شرفة ذات درابزين من الحديد رائع الزخرفة أسود اللون، كما كان ثمة شرفة فسيحة امام الباب العالي المصنوع من خشب السنديان والذي كان فتح في هذه اللحظة ووقفت عند العتبة امرأة نحيلة أنيقة ترتدي ثوباً أسود ذا ياقة من الدانتيل الأبيض، بدا وجهها جامداً تحت شعرها الفضي المنظم بيد خبيرة.

تملك جينا الشكوك والقلق، أتراها ستقابل هنا بالترحاب، أم انهم سيعاملونها بشكل عدائي؟ وتمنت لو أنها لم تحضر.

الفصل الثامن

تملك جينا التوتر وهي تتبع نيكولاس نحو الباب المفتوح والمرأة الواقفة عنده، ولكن عندما وصلا إليها قالت المرأة: «مرحباً بك يا سيدي أرجو أن رحلتك كانت مريحة.»

إذن فهذه ليست أمه، أخذت جينا تفكر في ذلك ونيكولاس يقدمها إلى المرأة: «جينا ان السيدة غرانت هي سكرتيرة أمي، هذه السيدة جينا تيريل، يا سيدة غرانت، انها متعبة جداً وتريد أن تذهب إلى غرفتها مباشرة، ولكنني أنا سأذهب وأرى أمي أولاً.»

سارا خلال الشرفة المبلطة بالرخام فقابلا رجلاً قصير القامة قاتم الشعر قوي العضلات في حوالي الخمسين من عمره، يرتدي بذلة أنيقة داكنة اللون وقميصاً أبيض، حياه نيكولاس ببشاشة باللغة الاسبانية: «كيف حالك يا جوزيه؟»

«على ما يرام، شكراً يا سنيور نيكولاس.» رد عليه بذلك باسماً ثم انطلق بسيل طويل من الأسئلة باللغة الاسبانية بسرعة لم تتمكن جينا معها من متابعته بالنسبة لدرجة معرفتها باللغة، وقد أجاب نيكولاس بطلاقة، ثم التفت إليها: «هذا جوزيه، يا جينا... هو وزوجته كونشيتا يديران هذا المنزل عند أمي منذ عشرين عاماً.»

نظرت جينا إلى العينين السوداوين الباسمتين، ثم صافحته شاعرة بمودة سريعة نحو جوزيه، فقد كان في وجهه دفء وشهامة وقوة.

وقال لها: «أرجو أن تستمتعي بزيارتك إلى سان فرانسيسكو.»

«أنا واثقة من ذلك، ليس لديّ صبر عن الذهاب للتفرج على مناظرها.»

سارت السيدة غرانت بعد حديث قصير مع جوزيه، فتبعها نيكولاس وجينا التي أخذت تنظر غير مصدقة إلى القاعة الفيكتورية الرائعة بطرازها القوطي من القرون الوسطى. كانت بالغة الفخامة بسقفها البالغ العلو ومدفأتها الحجرية الضخمة، وفي الوسط قامت منضدة فسيحة من السنديان كما علق على الجدران المبطنة بخشب السنديان أنواع مختلفة من الاسلحة ما بين سيوف واقواس وأسهم وحراب وألوية مطرزة كانت تبدو قديمة للغاية.

سألت نيكولاس: «هل كل هذا حقيقي؟» فنظر إليها مذهكماً: «لا بد أنها كذلك، فقد كلفت أبي ثروة كبيرة، لقد كان كلف أشخاصاً بالتجوال في أوروبا خصيصاً للبحث عن اسلحة القرون الوسطى وذلك لسنوات ما جعل لديه مجموعة ضخمة منها ذهب معظمها إلى المتحف بعد وفاته، لقد كان ذلك إحدى هواياته بعد أن كبر في السن، فقد كان مفتوناً بالقرون الوسطى في أوروبا، خصوصاً بتاريخ المانيا وشرق اوروبا، لقد حاول أن يجعلني أهتم بذلك مثله، ولكنني وجدت ذلك مشوشاً للذهن، وكان هذا هو السبب في إعطاء مجموعته كلها للمتحف ما عدا هذه المعلقة هنا على الجدران، لقد كان ترك هذا البيت وكل ما يحتويه لأمي رغم ان اهتمامها بالاسلحة ليس اكثر من اهتمامي أنا.»

فقالت بعد رؤية كل هذه الأسلحة حولها: «كان السير

جورج يجمع الأثاث والرسوم القديمة وقد ورثت بعضها، لقد وضعتها في شقتي كما أنه ترك بعض القطع لأصدقائه والبعض الآخر للمتحف أيضاً، فالمجموعات تصبح نوعاً من الهوس عندما تتملك الأشخاص، أليس كذلك؟»

«كان والدي في صباه فقيراً جداً، ولهذا تملك هوس اقتناء الأشياء، فاشترى البيوت والشركات والأثاث والقطع الفنية هذا إلى أسلحته الأثرية، كل بيوته كانت مزدحمة بالأشياء الثمينة، ولكنني اشك في أنه يعود للنظر اليها بعد أن تصبح في حوزته، لقد كان دوماً مشغولاً بأعماله، بالنسبة إليه، كان ذلك يمثل سعادة الطراد وهو يصطاد شيئاً لا يثمن، هازماً كل منافسيه، وعندما يحصل عليه يفقد اهتمامه به.»

أخذت جينا تحدق فيه وعيناها الخضراوان يقظتان للتغيرات التي تنعكس على ملامحه، ثم قالت له: «انك ورثت عنه بعضاً من هذه الصفة، أليس كذلك؟»

نظر إليها مقطباً: «ماذا؟»

«انك تحب دوماً استهداف صحف جديدة، باذلاً وسعك في سبيل السيطرة عليها، وهذا أيضاً نوع من الهوس.»

فقال بحدة: «كلا، ليس هذا كذاك، فهذا ليس هوساً، وأنا لست من النوع المهووس... وإنما هي خطة للعمل، وهو شيء مختلف جداً، فأنا عندما أحصل على شركة جديدة لا أنسى كل شيء عنها ثم انظر إلى هدف جديد. ان شركة كاسبيان هي مجموعة شركات مختلفة ضمن شركة واحدة، وعندما احصل على شركة جديدة في بلد جديد، ابذل جهوداً شاقة في سبيل ادخالها ضمن الشركة الأم، وهذا يدفعني

إلى القيام برحلات كثيرة، وأعمال كتابية لا نهاية لها، والأحاديث الهاتفية والاجتماعات...»

وكانت هي عرفت كل ذلك من وراء العمل معه أثناء السنة الماضية، فهي لا تنكر جهوده الشاقة، وخبرته في إدارة الشركة العالمية المختلطة، لقد أعد نفسه لهذه المهمة وذلك بتعلمه اكثر لغات أوروبا، وقد نصح جينا بذلك أيضاً، فهي اصبحت تتكلم عدة لغات.

اثناء اجتيازهم الردهة، كان نيكولاس مازال يتحدث. «انني أراقب بعناية كل فرع منفصل من الشركة ولا يفلت مني سوى القليل جداً.»

نظر إليها بجانب عينه، وعيناه تلمعان، فاحمر وجهها وقد أدركت المعنى الخفي الذي يتضمنه كلامه فهي احدى اهداف نيكولاس منذ مدة طويلة، ومازال لم يذعن، فقد صمم على أن لا يدعها تفلت منه، وعادت بأفكارها إلى كل ما كان حدث السنة الماضية... قد يدعي أنه ليس من النوع المهووس، ولكن كيف تفسر إصراره على ملاحقتها، حتى إلى حد انتقاله للسكن بجانبها لكي تبقى تحت نظره؟

توقف نيكولاس أسفل سلم من خشب السنديان مصقول إلى درجة بالغة، ويصعد متعرجاً إلى فسحة واسعة معلق على جدارها مجموعة أخرى من الأسلحة الأثرية، ثم يتفرع منها سلم آخر يصعد إلى الطابق التالي، وكانت السيدة غرانت تعبت من انتظارهما فتابعت طريقها صعوداً وقد بان عليها فروغ الصبر.

رفع نيكولاس بصره إلى المرأة، ثم همس لجينا، لاوياً شفتيه: «ان سكرتيرة أمي ذات كفاءة بالغة حتى انها لا تحب إضاعة الوقت، والأفضل ان نسرع لنلحق بها.»

وعندما وصلوا إلى الطابق التالي، كانت السيدة غرانت تنتظر هناك، فقال لجينا: «سأراك فيما بعد. لا تنامي، بل خذي حماماً وغيري ملابسك، فهذا سيشعرك بالتحسن، انني سأراك في الطابق الأسفل بعد نحو ساعتين، وسنذهب في جولة قصيرة في المدينة حيث ترين معالمها العادية، الجسر ذو البوابة الذهبية والمدينة الصينية، ومرفأ الصيادين، ولكن علينا أن نعود إلى هنا في السادسة، اننا سنتناول العشاء هذه الليلة مع عدد من بائعي الجملة وذلك في مطعم بورتمان، وهو المطعم الذي كنت سأقيم فيه لو لم أكن مقيماً مع أمي، فهو أحد افضل الفنادق التي أعرفها، والشواء الذي يقدمه رائع، وأنا واثق من ان أمسيتنا هناك لا يمكن أن تنسى، وأريدك ان ترتدي لهذه المناسبة ثوباً غير عادي، وإذا أردت كيّ ملابسك، فاسألي السيدة غرانت.»

تبعت جينا السيدة غرانت خلال الردهة المستطيلة ذات نوافذ مقنطرة ملونة الزجاج، وإذ لاحظت السيدة غرانت اهتمامها، قالت بصوت بارد واضح النبرات: «هذا الزجاج هو طبعاً، من صنع فرنسا.»

«من القرن التاسع عشر؟»

فأومأت السيدة غرانت بالإيجاب.

سألتها جينا: «متى كان بناء المنزل؟»

«سنة ١٩٠٧ ولكنه بني مكان منزل مثله كان تهدم في زلزال سنة ١٩٠٦، وقد صمم المنزلين مهندس شهير هو ناتانيال هورنر، والذي أراد أن يكون فناناً في حداثته، ولكنه أرغم، بدلاً من ذلك على مشاركة أبيه في عمله في أعمال الشحن بالسفن، ولكنه أمضى حياته يرسم أيام الأحد،

ولكنني اظن نبوغه الحقيقي تجلى في تصميم هذا المنزل في السنوات الأخيرة من حياته، وقد توفي بعد انتقاله إليه بوقت قصير. فتحت السيدة غرانت باباً ثم أشارت لجينا بأدب بدخول غرفة فسيحة مغمورة بأشعة الشمس. «لقد اختارت السيدة كاسبيان هذه الغرفة لإقامتك، وأرجو ان تجديها مريحة، انها تطل على المدينة.»

اتجهت جينا إلى النافذة ونظرت منها، ثم تمتمت تقول وهي تحدّق إلى أسفل: «انه منظر يخطف الأنفاس.» كان منظراً يكتسح السطوح والأبراج ومداخن البيوت حتى تألق المياه الزرقاء والتي كانت هي تعلم أنها خليج سان فرانسيسكو الشهير.

أرتها السيدة غرانت بقية الغرفة. «ان حمامك خلف ذاك الباب، ثمة لوح في أعلى السرير تجدين عليه الأزرار التي تديرين بواسطتها التلفزيون ومصابيح الغرفة والراديو، وأرقام الهواتف الداخلية... مكتبي، ومكتب مديرة المنزل، والكاراج والمطبخ وهكذا... واقترح، في حالة حاجتك إلى شيء ما، ان تتصلي إما بي أنا وإما بمديرة المنزل كونشيتا.»

أومأت جينا وهي تكبح تثاؤبها بصعوبة، راجية ان لا تلاحظ المرأة هذا.

ثم سألتها المرأة: «ربما ترغبين في فنجان من الشاي قبل ان تبدإي الاستحمام.»

«لشد ما أحب هذا.»

«سأرسله اليك الآن.» قالت السيدة غرانت ذلك وهي تسير نحو الباب في الوقت الذي دخل فيه جوزيه حاملاً أمتعة

جينا، فابتسم لها بمودة بينما قالت السيدة غرانت: «هل تريدين مساعدة في إفراغ الحقائب؟ انني سأرسل كونشيتا بالشاي، وسيسرها ان تقوم بذلك، ثم تأخذ الثوب الذي سترتدينه للعشاء هذا المساء لتكويه لك.»

ولم تنتظر جواب جينا، فتوارت عند آخر كلمة قالتها وتبعها جوزيه.

وقبل أن يغلق الباب قال لها: «اذا كنت تريدين شيئاً استطيع القيام به لأجلك، فأديري رقم ١٤ يا سيدة تيريل.»

«شكراً لك.»

شعرت جينا بالارتياح عندما أصبحت بمفردها، شاعرة بالهدوء والسلام حولها، كانت متعبة من اضطرارها إلى الابتسام بأدب طوال الوقت، والحديث إلى الغرباء، فهذا الجهد استنزف كثيراً من طاقتها والتي لم يبق لديها منها الآن سوى القليل، جلست على الكرسي بجانب النافذة واخذت تنظر إلى مشهد المدينة إلى أن أجفلت لسماعها صوت قرع على الباب.

كانت كونشيتا، مديرة المنزل، هي القادمة الآن بصينية الشاي وكانت المرأة ممتلئة الجسم سوداء العينين في حوالي الأربعين، ترتدي ثوباً أسود ذا ياقة بيضاء من الدانتيل، يشبه الثوب الذي ترتديه السيدة غرانت، وابتسمت لها جينا وهي تتساءل عما إذا كان هذا الزي رسمياً لموظفات المنزل.

«شكراً لك، فالشاي يبدو رائعاً، والكوب يبدو من الخزف الصيني طراز ويدغوود، أليس كذلك؟»

«نعم، يا سنيورا.» قالت المرأة ذلك بلهجة اسبانية، أو

لعلها مكسيكية، قوية... ثم تابعت تتحدث بالاسبانية إلى ان انتبهت إلى ان جينا كانت تقطب حاجبيها بعدم فهم: «آه، انك لا تفهمينني، أريد ان اقول... انك انكليزية، ولهذا صنعت الشاي على الطريقة الانكليزية، ان لدى السيدة كاسبيان خزانة مليئة بالآنية الصينية، جمعتها من كل أنحاء العالم.»

«هذا يدل على ذكاء كبير.»

«هل تريدين ليموناً، يا سنيورا؟»

«نعم، من فضلك.»

سكبت كونشيتا كوباً من الشاي وناولته لجينا، وهي تقول: «بسكويت انكليزي، يا سنيورا؟»

وشربت الشاي شاكرة وهي تقضم بسكويتة من حين لآخر، لم تكن جائعة، ولكنها لم تشأ ان تخيب أمل كونشيتا بعد ان حاولت المرأة جهدها في سبيل إرضائها.

وعندما أنهت تناول الشاي، كانت كونشيتا قد أنهت تعليق ثيابها. ووضعت على ذراعها ثوباً حريرياً أزرق كانت جينا قررت ارتداءه هذا المساء، ثم حملت صينية الشاي بيدها الأخرى، أقفلت جينا الباب خلفها، ثم خلعت ثيابها ودخلت الحمام.

بعد ذلك بعشر دقائق، استلقت في المياه الدافئة المعطرة، تتأمل حالمة، كان الحمام عصرياً تماماً، ولكنه مع هذا كان يبدو من طراز العصر الفيكتوري، وأخذت تنظر معجبة إلى الزخارف المرسومة باليد على الحوض الأبيض والأشياء الأخرى، كما كانت الجدران مدهونة باللون الأزرق بينما تغطي الأرض سجادة وثيرة ناصعة كالثلج، والخزانات من خشب الماهوغاني بمقابض نحاسية.

كانت متعتها خالصة لا يشوبها سوى التساؤلات التي كانت تموج في ذهنها فتقلقها.

ما الذي قاله نيكولاس لأمه بشأنها؟ ما الذي تعرفه السيدة كاسبيان عن صحيفة سنتنال والخصام الدائر حولها؟ عن المعارك الدائرة بينها وبين نيكولاس منذ شهور؟ والأكثر أهمية من كل هذا، متى ستقابل السيدة كاسبيان؟ وما هو شعور السيدة كاسبيان نحوها؟

بعد حوالي الساعتين، خرجت من غرفتها مرتدية ثوباً قطنياً بلون الكهرمان، وهبطت السلم عائدة إلى الطابق الأسفل، وهذه المرة استطاعت أن تتأمل عن قرب الصور المرسومة على زجاج النوافذ.

عند وصولها جاء نيكولاس، إلى أسفل السلم وهو يمد ذراعه ينظر في ساعته، قائلاً: «كنت قادماً اليك، انك تأخرت ربع ساعة، تعالي الآن والا فلن يكون لدينا وقت للتفرج على معالم المدينة قبل الاجتماع بتجار الجملة أولئك.»

«متى سأستطيع التعرف إلى أمك؟»

«عندما نعود، فهي ستتناول فنجان قهوة معنا قبل أن نذهب إلى فندق بورتمان.»

كان سائق الليموزين ينتظرهما عند الباب، فسألته جينا وهي تصعد إلى المقعد الخلفي: «هل هذه السيارة استأجرتها لنستعملها هنا أم هي سيارة أمك؟»

«بل هي سيارة أمي، والسائق هو روي اكبر أبناء جوزيه. عندما تقاعد سائق أمي السابق بعد أن عمل لديها سنوات تقدم روي لهذه الوظيفة، وقد دهشنا جميعاً لأنه كان تعلم ميكانيك السيارات، ولكن يبدو أنه كان يحب العمل في هذا المنزل

بقرب أسرته واظنه يعتبر هذا المنزل بمثابة بيته، فقد عاش فيه معظم سنوات حياته، طبعاً، وهو قرر الزواج الآن في الربيع، وقد منحته أمي شقة صغيرة فوق الكاراج.»

فقالت جينا: «لا بد أنهم يحبون العمل عندها ما يجعلهم يمضون السنوات في خدمتها.»

وحولت نظراتها بعيداً، نحو الشوارع التي كانت تحفها المنازل العالية القوطية الطراز، والتي كانا يمران بها. «ان منزل أمك ليس غير عادي كما ظننت، فأنا أرى منازل كثيرة بنفس الطراز.»

فأجاب كاسبيان: «لقد أعاد مركز الهندسة المعمارية بناء المنازل التي تهدمت بعد زلزال سنة ١٩٠٦ على الطراز القوطي والذي كان في ذلك الحين هو الطراز الشائع في اميركا وكذلك في أوروبا.»

«لشد ما أحبه، فهو شاعري للغاية، انه أجمل كثيراً من هذه البيوت الشائعة، والتي هي عبارة عن صفوف وصفوف من الصناديق، ان المدينة هذه تبدو وكأنها بنيت فوق التلال، فالشوارع شديدة الإنحدار، وإذا استلزم الأمر ان أعيش في مكان ما، فأنا أكره العيش في هذا المكان.»

«ليس عليك ذلك، فمعظم الناس لديهم سيارات وهناك طبعاً...»

وقبل ان ينتهي من كلامه، أطلقت جينا صيحة سرور قصيرة. «انظر، هذا ترام، انني لم أر واحداً منها منذ زمن طويل، كم أتمنى لو أركب في واحد منها.»

«وأيضاً التلفريك، فمعظم الناس يستعملونه إذا لم يكونوا يستعملون سياراتهم، لا بد أنك سمعت به، فهو مشهور.»

«نعم، لقد سمعت به، ولكن الرؤية تختلف، لا يمكنني الانتظار إلى حين الركوب.»

فابتسم لحماستها: «عليك ان تنتظري إلى الغد، إذا كان ثمة وقت بين المواعيد، فلا يوجد لدينا وقت اليوم، انني أريد ان أعطيك فكرة عن المدينة، أولاً الجسر ذو البوابة الذهبية.»

وفجأة اندفعت السيارة فوق قمة إحدى التلال المنحدرة فشهقت جينا وسقطت إلى جانب، أمسك نيكولاس بها فضحكت وهي تقول لاهثة: «يا له من شعور غريب جميل، هل سيحدث لنا ذلك كثيراً؟»

قال نيكولاس برقة: «أرجو ذلك.» فخفق قلبها وهي تنظر في عينيه، وأخذت تفكر بأسى كم تحبه أحياناً عندما يكونان جالسين معاً بهذا الشكل وقد نسيا كل ما يتعلق بالجريدة... وكل الماضي والذكريات السيئة.

كانت السيارة قد هبطت بهما التلة المنحدرة نحو لمعان المياه الزرقاء الذي يبدو من بعيد متألقاً بفعل الضباب.

قال: «الجسر موجود هناك، ولكن يبدو وكأن ليس بإمكانك ان تريه جيداً هذا النهار، لماذا لا نذهب فقط إلى مرفأ الصيادين؟»

فقالت: «هذا حسن.» وهذا ما فعلاه، انزلهما السائق في آخر شارع تايلور ثم تركهما بعد أن طلب نيكولاس منه أن يعود إليهما بعد ساعة.

أخذت جينا تحدق حالمة إلى زوارق الصيادين وهي تبحر نحو المرسى وأسراب النوارس تتبعها بينما أشعة الشمس تتألق على الأمواج، ثم نظرت إلى بعض منصات عرض البضائع بقربها، وقالت لنيكولاس.

«عليّ ان أشتري هدايا لآخذها معي حينما أعود، هنالك مجوهرات بديعة على تلك المنصة، وأحب أن أراها عن قرب.»

أخذت تتأمل العقود والأساور بإعجاب، وكذلك الأقراط وبقية أنواع الحلى، وذلك قبل أن تشتري البعض لروز وهيزل وكذلك لنفسها، وعندما استدارت لتبتعد، توقفت وهي تحدق في الخليج فاغرة الفم.

«هل تلك...؟»

قال باسماً: «نعم ألكتراز، الصخرة كما يسمونها، يمكنك الذهاب إلى الجزيرة على عبارة للتفرج على المكان، لقد أقفلوا السجن منذ سنة ١٩٦٣ كما أظن، وهو الآن متحف، ولكنه موحش مرعب، وليس لدينا اليوم وقت كافي لذلك.»

إرتجفت جينا وهي تنظر إلى معالم السجن خلال الضباب الخفيف وهي تتصور ووجوه السجناء العديمة الأمل، وخشخشة المفاتيح وهي تدور في الأقفال، وانصفاق الأبواب الحديدية، ثم قالت: «لا أظنني أحب رؤيته.»

أخذا يتمشيان على امتداد المرفأ وهما يتفرجان على منصات عرض البضائع على الرصيف، تتبعهم روائح الأطعمة المصنوعة من حيوانات البحر.

قالت: «ما أجمل هذا، ربما استطعنا تناول العشاء هنا يوماً ما.»

«نعم، إذا شئت، ولكن هناك الكثير مما يجب رؤيته وعمله... وربما فيما بعد، يمكننا الذهاب للتفرج على متحف مارتيايم، وأحب أن اخذك إلى الميناء حيث ترين

سفناً شراعية قديمة رائعة، كنت أعشق التجوال هناك وأتصور كيف تكون الحياة إذا أنا أمضيت اسابيع أو أشهر أو اكثر، على ظهور تلك السفن.»

فقالت له جينا مازحة وهي تراها حياة بالغة القسوة: «لا أراها إلا حياة مخيفة.»

فقال: «انك لا تفعلين سوى الضحك عليّ.»

فضحكت: «آه، مسكين يا نيكولاس، كم هذا محزن.» ثم تلاقت أعينهما فتلاشت ضحكتها، وغامت عيناها الخضراوان، لم يكن نيكولاس يمزح، فقد كان جاداً للغاية، كما أنه لم يكن يفكر في السفن المبحرة، فقد كان يكسو ملامحه مزيج مخيف من الغضب والرغبة والمرارة، وخفق قلب جينا.

أواه، يا نيكولاس... أخذت تفكر في ذلك بضعف، بينما تقدم هو منها خطوة، وهو يتنفس بصوت مسموع، ولكن صون العقل الهادىء ذكرها بأنها لا يمكن ان تثق به مهما كانت النظرة في عينيه مقنعة، لم يكن يغفل أية فرصة تسنح له للوصول إلى عواطفها، كما أخذت تذكر نفسها، ومهما كان الموضوع الذي يتحدثان عنه، فهما سيعودان إلى حظهما القديم عاجلاً أم آجلاً، حيث يحاول نيكولاس أن يقنعها مرة أخرى بأن تدعه يحصل منها على ما يريد، ولكنها لا تستطيع ان تسمح له بالنجاح.

وشعرت بأنها تريد أن تبكي، شاعرة بغصة في حلقها وحرقان في عينيها.

انه آخر من ينبغي لها أن تقع في غرامه، ولكن نظرة واحدة منه تجعل جسدها يرتجف وفمها يجف.

كان الإزدحام في مرفأ الصيادين على أشده حولهما، ولكنها شعرت وكأنهما وحيدين في جزيرة منعزلة، كان يراقب ما تعاقب على ملامحها من تعبير، وذلك بعينين ضيقتين حادتين، ثم قال بصوت أجش: «لا تفعلي هذا.»

«افعل ماذا؟» وكانت تتظاهر بجهلها ما يعني، ولكن وجهه أظلم وتوترت ملامحه: «انك تعلمين جيداً ما أعنيه، كنت الآن فقط تبتسمين لي، ولم يكن يكسو ملامحك أي ظل، وإذا بك فجأة تجمدين وتنئين بمشاعرك عني، لقد تملكني التقزز من هذا، هل تسمعين؟ التقزز من هذا.»

أجفلت لصوته الغاضب، ونظرت حولها برعب، راجية أن لا يكون ثمة من سمع قوله، ولكن الناس كانوا يمرون بهما دون مبالاة، وقد شغلتهم أمور حياتهم عن كل شيء آخر.

همست تقول: «لا تصرخ بي.»

فصرف بأسنانه بصوت مسموع: «لا أصرخ بك؟ من حسن حظك أنني لم أضربك، أحياناً يبلغ بي الغضب منك حداً أوشك فيه أن اخنقك، ويوماً ما سترغمينني على التصرف، يا جينا، وعند ذلك...» وسكت وهو يتنفس بعنف. «قد أرى نفسي مرغماً على أخذ ما تمنعينه عني.»

«لا تهددني.» تمتمت بذلك وهي تشعر بخوف مفاجىء.

وتابع يقول محذراً: «ان الإحباط قد يدفع الرجل إلى الجنون، يا جينا.» قال ذلك ثم استدار يسير عائداً من الطريق التي جاءا منها، تاركاً إياها تتبعه.

عادت بهما السيارة إلى منزل والدته وقد ران عليهما الصمت.

تمنت لو تعرف ما تتصوره أمه عن هذه العلاقة، ولكنها

لم تجرؤ على سؤال نيكولاس، وهي ستنتظر وترى كيف سيكون استقبال السيدة كاسبيان لها.

فتحت لهما كونشيتا الباب، قالت لنيكولاس شيئاً بالاسبانية وهي تبتسم، فأومأ هذا برأسه وهو يبتسم ببرودة وقد عادت ملامحه إلى جمودها، ثم قال لجينا: «ان أمي في الصالة تنتظرنا، هل تريدين الصعود إلى غرفتك أولاً، أم تتعرفي إلى أمي أولاً؟»

فأخذت تتلعثم مترددة: «حسناً... كما تريد...» فأمسك بمرفقها، ثم قادها خلال قاعة رائعة إلى غرفة باردة عالية السقف.

أخذت جينا تدير عينيها حولها متوترة، متأملة ما يحيط بها من ألوان متألقة كالجواهر ما شعرت معه بالدوار.. الأعمدة الرخامية ذات اللونين الأبيض والوردي الستائر الحريرية، الأرائك بوسائدها الوثيرة، وكلها بطراز مغربي لا يشبه أياً من بقية المنزل.

وفي قفص كبير مقوس بالغ الجمال، كانت طيور الكنار ترفرف وتغني، ما ذكر جينا بقصر الحمراء في غرناطة في اسبانيا، حتى انه كان يوجد نافورة من الحجر تنثر المياه في حوض من القرميد في وسط الغرفة، زرقاء وصفراء، بأشكال هندسية، وعلى أريكة ذات غطاء مقصب، جلست امرأة تشبه نيكولاس... بشرة سمراء وعينان سوداوان وشعر كان يوماً فاحماً، ولكنه اختلط الآن بخيوط فضية، ولا بد أنها اجتازت الخمسين من عمرها بسنوات، ما دام نيكولاس نفسه في أواخر الثلاثينات، ولكن عينيها الجميلتين وملامح وجهها الرقيقة ما زالتا رائعتي الجمال.

تقدم نيكولاس مع جينا نحو الأريكة ثم قال بصوت عميق: «ماما، هذه جينا... جينا، هذه أمي.»

مدت المرأة يداً نحيفة، بينما أخذت العينان السوداوان المستطيلتان تحدقان فيها باهتمام: «إذن، فأنت جينا...» كان الصوت رقيقاً، ذا لكنة واضحة، لم تكن فرنسية مطلقاً، رغم أن بشرة السيدة كاسبيان كانت لاتينية بشكل واضح.

مدت جينا يدها وهي تنحني، قائلة: «انه لطف كبير منك أن تدعيني للإقامة في بيتك الجميل، يا سيدة كاسبيان.» قالت ذلك بلهجة رسمية متكلفة وهي تشم رائحة عطر المرأة الرائع الغريب.

قالت السيدة كاسبيان، وهي ما زالت تمسك بيد جينا: «منذ مدة طويلة وأنا متشوقة للتعرف إليك.» قالت ذلك وهي تتفحص وجهها، ما الذي كانت تتوقع رؤيته؟ اخذت جينا تتساءل عن ذلك وهي تطرف بعينيها الخضراوين مسبلة أهدابها لإخفاء ما تنطقان به، كانت تخاف أن ترى والدة نيكولاس في وجهها الكثير... أن ترى حبها لنيكولاس.

قرب كرسياً من الأريكة وهو يخاطبها قائلاً: «اجلسي يا جينا... هل أجلب اليك شيئاً تشربينه يا ماما؟»

«شكراً يا حبيبي، ان كونشيتا ستحضر إليّ إبريق عصير بعد لحظة.»

فأومأ قائلاً: «جينا، هل تريدين كوباً من عصير الليمون الطازج أم أحضر اليك شيئاً آخر؟»

«نفس ما تشربه أمك.» تمتمت تقول ذلك وقد تملكها خجل شديد في هذه الغرفة المحيرة مع هذه المرأة غير العادية.

فقال نيكولاس: «سأتصل هاتفياً بكونشيتا.» ومد يده

إلى الهاتف، ولكن قبل أن يرفع السماعة، ارتفع صوت جرسه، فرفع السماعة وقال: «نعم؟» ثم أخذ يستمع عابساً. «آه، حسناً جداً، يا سيدة غرانت... سآخذها في مكتبي، هل لك بأن تخبري كونشيتا بأن أمي جاهزة لتناول العصير؟»

وضع السماعة ثم نظر إلى المرأتين معتذراً: «آسف، فقد جاءتني مخابرة مستعجلة بشأن العمل، وسأحاول تصريفها بسرعة.»

ثم غادر الغرفة بينما أخذت جينا تنظر في أثره وقد تملكها ذلك الشعور المعتاد بالضياع كلما افترقا.

مطت والدته شفتيها ثم قالت: «انه مثل أبيه، ولكنه يكره مني أن اقول له ذلك.»

فألقت جينا عليها نظرة سريعة: «ولكن يبدو أنه معجب كثيراً بأبيه.»

فقالت السيدة كاسبيان: «انه يعجب به ويكرهه، كان زوجي رجلاً ذا شخصية قوية، مخيفة بعض الشيء، خصوصاً للأطفال واكثر ما يكون لابنه، لم يكن نيكولاس واثقاً على الاطلاق من أنه سيصل إلى ما كان والده يريد منه أن يكونه، ولكنه كان يريد أن يتفوق على أبيه، في نفس الوقت، فالناس لا يمكن أن تكون ردة الفعل بين بعضهم البعض سهلة، أليس كذلك؟»

«كلا.» قالت جينا ذلك ببطء، ثم ران الصمت على الاثنين، نظرت جينا حولها وهي ما زالت تحاول استيعاب الديكور، بينما أخذت السيدة كاسبيان تراقبها باسمة.

ثم سألتها: «ما رأيك في تخيلاتنا العربية؟»

«انها تحير اللب، لم أر مثلها قط إلا في أسبانيا، في قصر

الحمراء، بينما ليس لديهم أثاث هناك... ولكنني واثقة من أن هذه الأرائك والستائر وقفص الطيور هي ما كانوا يستعملونه عندما كان السلاطين يعيشون هناك.»

«كلا، فالفكرة لم تأت من اسبانيا، رغم ان تكهنك قريب من الحقيقة، ان المهندس ناتانيال هورنر قام بعدة زيارات إلى تركيا في حداثته، في أواخر القرن التاسع عشر، فتصميمه هذه القاعة كان نتيجة ما رأى في قصور استانبول، كانت هذه القاعة بالذات ما جعلني أريد شراء هذا المنزل حالما رأيته.»

«انك تبدين وكأن هذا مكانك الأصلي، فهو يلائمك جداً، لا بد أنه الحظ هو الذي أحضرك لرؤية المنزل هذا.» قالت جينا هذا باندفاع جعل السيدة كاسبيان ترمقها بنظرة طويلة مفكرة.

«من الغريب أن تقولي هذا، يا جينا، فالحظ قد لعب دوراً كبيراً في حياتي، لا أدري ما إذا كان نيكولاس قد أخبرك، ولكنني كنت في السابعة عشرة فقط عندما تزوجت والده، وعندما ولد نيكولاس لم اكن بلغت التاسعة عشرة، كانت الطريقة التي تعرفت فيها على زكريا من حسن حظي. كان أبي أسبانياً، وكنا من أسرة عريقة ولكننا فقراء، وكان لوالديّ ابناء كثيرون، كنا سبعة أبناء وأربع بنات، وكان منزلنا ضخماً وقد ابتدأ ينهار، واراضينا صخرية واعنابنا حامضة، حينذاك تعرف أبي إلى زكريا كاسبيان والذي كان في اسبانيا يبحث عن مزرعة في الريف، وأعجبته فكرة العثور على مزرعة رخيصة، جاء ليرى بيتنا وتعرف عليّ ثم طلب يدي من أبي بعد ذلك بأسبوع.»

«يا لها من قصة شاعرية.»

«ربما كان الأمر كذلك لو انني كنت أحبه، ولكنني لم اكن أحبه.» فأجفلت جينا لصراحتها هذه، ولم تعرف ما تقول سوى: «آه.»

«كنت في السابعة عشرة وهو قريب من الستين، كلا، لم اكن أحبه، ولكن أبي قال لي بوضوح أن ليس لي من خيار سوى القبول، فقد كنا في غاية الفقر، بينما كان زكريا بالغ الثراء، وكان من الانشغال بتحصيل المال ما جعله يبقى دون زواج ولكنه كان يريد أبناء، ومن سوء حظي أنني كنت جميلة عندما كنت صغيرة.»

فقالت جينا: «وما زلت جميلة.»

فابتسمت لها المرأة: «شكراً لك، انك انت أيضاً جميلة جداً، كما أن لك قلباً رقيقاً طيباً... ولا يدهشني أن يغرم نيكولاس بك.»

فاتسعت عينا جينا ذهولاً، ما الذي أخبر به أمه؟ وتنهدت السيدة كاسبيان: «لقد اشتقت للتعرف عليك منذ حدثني عنك، فأنا أريده من كل قلبي أن يجد امرأة تسعده، وكنت قد تخليت عن الأمل في ذلك، فوالده لم يتزوج إلا بعد بلوغه الستين، وكنت خائفة أن يتأخر نيكولاس في ذلك، هو أيضاً ان نيكولاس يبدو ظاهراً خشناً واثقاً من نفسه، ولكنه رغم حياته المترفة، لم تكن طفولته سعيدة، وأنا ألوم نفسي لذلك، وهذا لا يعني أن نيكولاس يلومني، ولكنني أعلم أن الذنب ذنبي، لقد أمضى اكثر فترة طفولته وحيداً، أو مع المربية، ثم في المدرسة الداخلية، لم يكن له بيت حقيقي معظم الأحيان، حتى انه لم يكن يرى شقيقتيه كثيراً.»

«شقيقتاه؟» تملكت الدهشة جينا وهي تسمع أن لنيكولاس شقيقات، فهو لن يذكر لها ذلك قط. «نعم، بعد أن ولدت نيكولاس، انجبت ابنتين، ليليت والتي هي في الخامسة والثلاثين الآن ومتزوجة ولها أولاد، وأليسا، أصغر أولادي والتي هي أصغر من أختها بسنة، لم تتزوج بعد انها رسامة وتعيش وحدها في نيويورك.»

فقالت جينا بفضول: «هذا غريب، فنيكولاس لم يتحدث عنهما على الاطلاق.»

تنهدت المرأة: «حسناً، أظنني أفهم السبب، فقد تشاجرت مع زوجي وهربت منه بعد ولادة أليسا، وكان هو رجلاً غريباً، كان مهووساً باقتناء الأشياء... بيوت، نساء، لوحات فنية، كتب، فهو لم يكن ليكتفي من شيء، وعندما اكتشفت أنني لم اكن المرأة الوحيدة في حياته، تركته وجئت إلى كاليفورنيا هنا، وقد حصل الانفصال بيننا عندما أدرك أنني لن أعود إليه، اظنه لم يعد يريدني كما كان يريدني عندما قابلني لأول مرة، كان يريد دوماً كل شيء جديد، ومختلف، ورأيت أنا هذا البيت فعشقته وذلك بعد زواجنا مباشرة، ولهذا اشتراه زكريا، وعندما تركته جئت إلى هنا... فوافق على أن يدعني أسكنه، وعندما مات تركه لي، إننا لم نتطلق قط، فأنا لا أحبذ الطلاق.» وسكتت، ثم عادت تقول بلهجة عملية: «وعدا عن ذلك، لم أشأ أن أنجب له ابناً آخر، إذ لم أشأ ان يكون لنيكولاس منافس آخر في املاك أبيه.»

فسألتها جينا وهي تتساءل عما كان تأثير ذلك الانفصال على نيكولاس: «وهل أخذت معك أولادك عندما تركت زوجك؟»

فأومأت المرأة تقول: «نعم، لقد تركت زوجي دون أن أخبره بأنني راحلة، لأنني كنت أعلم أنه لن يدعني آخذ الأولاد، لم يكن يريد الابنتين، وكان مستعداً لتركهما تعيشان معي، ولكن نيكولاس كان ابنه الوحيد، وقد حاربني زكريا مدة طويلة امام المحاكم لكي يستعيده مني، وقد نجح طبعاً لأنه كان أحد أغنى اغنياء العالم، وكان لديه أحسن المحامين، وكان نيكولاس أبنه ووريثه الوحيد. وهكذا اضطررت للتخلي عن ابني... وعند ذلك أرسله زكريا مباشرة إلى مدرسة داخلية حالما حصل على حق الوصاية، لم يكن يريد أن يبقي نيكولاس معه في الحقيقة، وإنما كان يريد فقط السيطرة عليه.»

فسألتها جينا مقطبة الجبين: «كم كان عمر نيكولاس حينذاك؟»

«كان في التاسعة، وكان الأمر شاقاً بالنسبة إليه، خصوصاً عندما علم بأن شقيقتيه ستبقيان معي بينما يؤخذ هو بعيداً عني، لقد بكى وتعلق بي وبقي يقول: «سأكون ولداً طيباً، يا ماما، فلا تبعديني عنك...» وسكتت وقد أوشكت على البكاء. «كان ذلك أسوأ يوم في حياتي، وربما في حياته هو أيضاً.»

فقالت جينا بصوت أجش: «يا للصغير المسكين.» وأخذت تقاوم دموعاً اغرورقت بها عيناها وهي تتصوره يسلخونه من بين ذراعي أمه وهو صغير بذلك الشكل، ليأخذوه إلى مدرسة داخلية، مسكين نيكولاس، لقد منحتها هذه الصورة عن نيكولاس، فكرة مختلفة عنه كلياً، ويجب أن لا تأخذ بعد الآن فكرة سيئة كالسابق عن كل ما يقوله أو يفعله، كما اعتادت.

ولكن لماذا هذه المصارحة المذهلة من أمه معها؟ لماذا تخبرها بكل هذه التفاصيل الحميمة عن حياتها؟ وخلفية حياة نيكولاس وهما لم تتعارفا إلا لتوهما؟ ونظرت إلى السيدة كاسبيان بحذر فمنحتها المرأة ابتسامة ملتوية: «لا تخبري نيكولاس بأنني تحدثت عن كل هذا، فهو لا يحب ذكر تلك الأيام، لقد بقي فترة طويلة صعب الطباع نحوي، إذ بقي عدة سنوات يلومني لتحطيم زواجنا ما جعل والده يستلم الوصاية، ولكننا تناقشنا في كل ذلك عندما كبر وعلم أن الأمور لم تكن كما كان يظن... وعلى كل حال، فقد بقي كارهاً لهذه السيرة.»

«لماذا إذن اخبرتني بكل هذا، يا سيدة كاسبيان؟»

فالقت المرأة عليها نظرة سريعة، ثم قالت لاوية شفتيها: «انني أعلم ان نيكولاس لن يتطرق إلى هذا الأمر، ففكرت في أن عليك أن تعلمي السبب في أن نيكولاس بهذا الخلق.»

نظرت جينا في عيني المرأة السوداوين، وفهمت كل شيء، لقد كان نيكولاس اخبرها بأن جينا لن تتزوجه وربما اخبرها بالضبط عن السبب... ولهذا أرادت الأم من جينا أن تشعر بالعطف نحو ابنها، آملة بأنها إذا هي علمت عن مشاكل طفولته، فقد يقنعها هذا بأن تصفح عنه.

الفصل التاسع

بقيت فاليري ذلك الأسبوع في انشغال دائم، فكانت خارج المكتب اكثر الوقت ما جعلها لا ترى جيب كثيراً، ويوم الجمعة كان لديها موعد للغداء مع كريستا نوردستروم، عارضة الأزياء السويدية والتي أصبحت نجمة سينمائية، وكانت الآن تصور فيلماً في بريطانيا، وعندما عادت إلى باربري وارف رأت جيب في بلازا، وهو يتحدث إلى صوفي واطسن قرب النافورة، كان جيب يبتسم لصوفي، بينما الفتاة شاخصة النظر إليه وقد بدا عليها الافتتان به بوضوح.

حولت فاليري عينيها عنهما وهي تصرف بأسنانها ثم تابعت مسيرها نحو المبنى.

وجدت ورقة على مكتبها من كوليت تسي، والتي كانت خرجت من المكتب لابتداء العطلة الأسبوعية، حيث أن تحرير صفحة الشخصيات البارزة قد انتهت، ونظرت فاليري إلى ما هو مكتوب في الورقة. (اكتبي نبذة عن كريستا قبل أن تذهبي إلى بيتك، إلى اللقاء يوم الاثنين)، وتحت ذلك كانت قائمة من أرقام الهاتف كانت فاليري تلقتها حين كانت في الخارج.

قفز أمامها، اسم جيب، ووقت الاتصال كان الساعة الحادية عشرة والنصف، ولا خبر خاص منه.

قد يكون اتصل بها ليدعوها إلى الغداء، وإذ لم يجدها إتصل بصوفي يدعوها بدلاً منها.

كرشت فاليري الورقة بيدها وألقت بها في سلة المهملات، كان من الصعب عليها أن تركز أفكارها حالياً، فالغيرة ظلت تلسعها، وعند الساعة الثالثة تصاعد رنين الهاتف ما جعلها تجفل، بقيت لحظة تفكر في أنه قد يكون جيب، ولكنه كان غاي فوكنر: «آسف، يا فاليري، ولكننا بحاجة إلى رؤيتك مرة أخرى... هل يمكنك القدوم إلينا؟»

فقالت بحدة: «ان لدي عملاً عليّ ان أنهيه، ان محررة صفحة الشخصيات تريدني أن أنهي هذه القطعة بسرعة.»

«كم ستستغرق من وقتك؟»

فقالت عابسة: «عشر دقائق أخرى.»

بدا من صوت غاي وكأنه كان يبتسم: «أنهيها إذن، وسنكون بانتظارك بعد ربع ساعة.»

وعندما وصلت فاليري، كانت صوفي خلف مكتبها في المكتب الخارجي، فألقت على فاليري نظرة كالثلج، ثم قالت بلهجة الاتهام: «انهما بانتظارك.»

فقالت فاليري ببرودة وقد لاحظت عداء الفتاة نحوها: «لقد جئت في الموعد المحدد.» ثم سارت نحو الباب الداخلي تقرعه.

أجابها صوت المحامي هنري ساندل: «أدخلي.» كان أول من وقعت عليه نظراتها هو غاي فوكنر واقفاً قرب النافذة ووجهه النحيل الذكي الملامح مستديراً نحوها وقد بدت المودة في عينيه، ولكنها حولت نظراتها عنه، دون ان تبتسم، نحو هنري ساندل، الذي كان جالساً خلف مكتبه.

قال لها وهو ينظر اليها من فوق نظاراته ذات الإطار الذهبي: «آه، الآنسة نايت، شكراً لقدومك.»

قدم غاي كرسياً إليها فجلست مواجهة الرجلين، فسألها غاي: «اتريدين كوباً من الشاي؟»

كانت فاليري على وشك أن ترفض، ولكنها عندما رأت نظرات صوفي المستاءة نحوها، وكأنها تكره أن تقدم اليها الشاي، غيرت رأيها، فقالت باسمة بعذوبة: «نعم، شكراً، هذا يسرني جداً.»

«شاي لثلاثة أشخاص، يا آنسة واطسن.»

قال هنري ساندال ذلك لصوفي التي استدارت على عقيبها خارجة ووجهها مدلهم كالعاصفة.

ثم قال وهو يعود إلى الجلوس: «والآن يا آنسة نايت، لقد اتصل بنا محامي ماك كاميرون، وهو غير متراجع عن الدعوى، مع الأسف، وكنت أرجو أنه مع التفكير الناضج، قد يغير رأيه، ولكن يبدو أنه مصمم على متابعة القضية، وفي الواقع اخبرني محاميه أنه أشد غضباً، وقبل ان نعقد نحن اجتماعاً للتشاور، علينا ان نتأكد من صلابة الأرض التي نقف عليها، ان السيد كاسبيان غائب حالياً في كاليفورنيا، ولكنني تحدثت معه في الهاتف، وشرحت له كل شيء، وما هم عليه خصومنا، وفي الأساس مطلوب منا إما ان ننشر اعتذاراً عاماً، متراجعين عن كلامنا عن أن السيد كاميرون هو والد طفل مولي غرين، ومع ذلك نبقى معرضين لأن ندفع تعويضاً تقرره المحكمة، أو أننا نثبت القضية والذي قد يعني دعوى قضائية طويلة الأمد، وإذا نحن خسرنا سنجد أن علينا ان ندفع تكاليف الدعوى الباهظة عن الجانبين، هذا إلى ما تقرره المحكمة من تعويض.»

تمنت فاليري لو أنه يسكت ويكف عن النقيق، فقد كانت

تعرف أبعاد القضية كما يعرفها هو، وليس عليه أن يستمر في شرحها، وهي ليست غبية.

وكان غاي فوكنر يراقبها وفي عينيه نظرة هزل، وعندما نظرت إليه غمزها بعينه بحذر، فأشاحت عنه بوجهها، وكان هنري ساندل يقول: «هذا هو السبب في دعوتنا لك للتحدث مرة أخرى، إنني آسف يا آنسة نايت، ولكن علينا أن نراجع اثباتاتك مرة أخرى.»

فقالت متجهمة الوجه: «لا بأس، ولكن ماذا بإمكاني أن اخبركما غير ذلك؟ لقد اخذتما دفتر ملاحظاتي وشريط تسجيل المقابلة، وتقريري عن المقابلة الثانية مع مولي وكل أجوبتها لأسئلتكم.»

فقال: «نعم، وهي لدي هنا، ولكن لا بد أن تكون هناك بعض الهفوات، أليس كذلك؟»

«أحقاً؟»

فابتسم غاي للضيق الذي بدا على وجه فاليري، ولكن هنري ساندال لم يعجبه ردها فقال: «نعم، يا آنسة نايت، آه، ها هي ذي الآنسة واطسن تحضر صينية الشاي، شكراً. نعم سآخذ قطعة بسكويت.» وأخذ يرشف الشاي وهو يتنهد: «حسناً، علينا أن نعود إلى العمل، اننا سنسجل شريطاً عن المقابلة هذه، طبعاً، يا آنسة نايت، فهل هذا مقبول منك؟»

فأومأت فاليري بالإيجاب بعد إذ لم تجد فائدة من الرفض.

فكاد يبتسم وهو يقول: «حسناً، هل نبدأ إذن؟ هل انت مستعدة يا آنسة واطسن؟»

وعلى مدى ساعتين، أخذ الرجلان يعذبانها بأسئلتهما

عن تفاصيل كل شيء، وعندما انتهيا كانت هي على وشك الانفجار.

ووقف السيد ساندال أخيراً وهو يقول: «حسناً، لقد قمنا بكل ما نستطيعه اليوم، على أحسن وجه، شكراً لك يا آنسة نايت.»

لم تنتظر فاليري اكثر من ذلك خوفاً من أن يعود فيفكر في سؤال آخر، فأومأت واندفعت نحو الباب، سبقها غاي وفتح لها الباب، فتمتمت تقول دون أن تنظر إليه: «شكراً.»

أحست بدهشته، فشعرت بأنها كانت جافة معه، ولكنها لم تكن في مزاج يسمح لها بإبداء المودة بعد تلك الجلسة المرهقة، ان عليها ان لا تنسى أن غاي مهما كان لطيفاً، ودوداً فهو لا يخرج عن كونه محام، وماهر أيضاً كما انه يشتغل لحساب نيكولاس كاسبيان، والمحافظة على شركة كاسبيان الدولية هو من صميم عمله، ولهذا لا تستطيع الثقة به، ولكن أي رجل بإمكانها ان تثق به؟ لقد كان جيب اخبرها منذ أيام: «انك لي وانت تعلمين هذا.» وهكذا جعلها تعده بأن لا تخرج مع أحد آخر. ان هذه الغيرة لا يظهرها إلا رجل مغرم للغاية، ما جعلها تعترف أخيراً بأنها تحب جيب، وانها أحبته منذ مدة طويلة، وذلك على الرغم منها... وذلك رغماً عن كل منطق وتعقل، ولو أنه لم يجعلها تظن أنه يحبها، لاستمرت في محاربة مشاعرها الحمقاء هذه. ما الذي جعلها تتصرف بهذا الغباء؟ فهو بعد ذلك بعدة أيام فقط، اخذ يعبث مع صوفي واطسن من وراء ظهرها، معتقداً انها ما زالت في الخارج تتناول الغداء مع كريستا نوردستروم، وربما كان يخرج مع صوفي طوال الوقت.

ضغطت زر المصعد ونظرت إلى ساعتها بفروغ صبر، كانت تريد أن تذهب إلى بيتها وتغتسل وترتاح امام التلفزيون وأمامها شيء تأكله من الممنوعات عليها، وهذه المرة ستشرب شيئاً من الكاكاو.

«إلى اين تذهبين في مثل هذه السرعة؟»

تصلب جسمها وهي ترى غاي بجانبها، فقالت: «انني ذاهبة إلى البيت في عطلتي الأسبوعية.»

«تعالي لنتناول شيئاً نشربه، أولاً، أريد أن اسألك شيئاً.»

فقالت متأوهة: «لا أريد المزيد من الاسئلة.» وسارت نحو المصعد الذي كان وصل الآن، كان مزدحماً، فحشرا نفسيهما بين الآخرين، ولم يستطيعا متابعة الكلام امامهم إلى ان وصل المصعد إلى الطابق الأرضي.

سألها: «كيف تذهبين إلى بيتك؟»

فأجابته بسرعة واختصار: «بالباص.»

فقال: «ان معي سيارتي، سأوصلك إلى بيتك ويمكننا أن نتحدث في الطريق.»

كانت سترفض لولا أن صوفي مرت بهما في هذه اللحظة ورمقتهما بنظرة جانبية جامدة وهي تقول ببرودة الثلج: «تصبح على خير.»

«تصبحين على خير يا صوفي.» قال غاي ذلك بلهجة عفوية دون أن ينتبه إلى نظراتها العدائية إلى فاليري.

لم تقل فاليري شيئاً، وإنما اخذت تنظر إلى حركات الفتاة الرشيقة، فشعرت بالمرارة، كانت صوفي أنيقة بقدر ما هي جميلة، فليس عجيباً أن لا يستطيع جيب مقاومتها.

مزقها العذاب فعضت شفتها خوفاً من أن تصرخ، هل كان

مكتوباً عليها العذاب؟ كانت صممت على أنها لن تسمح لنفسها بأن تنخدع مرة أخرى، ولكن الحب غدار، فهو يتسلل إلى المشاعر دون انتباه منها، ولا تلبث أن تقع في نفس الفخ.

قال لها غاي متذمراً: «انك لا تستمعين إليّ.»

فقالت وهي تتمالك نفسها: «آسفة، ماذا قلت؟»

فقال بشبه ابتسامة: «أراك مشغولة البال، كنت أسألك إذا كنت تسمحين لي بتوصيلك إلى البيت.»

جذبت نفساً عميقاً... ولماذا لا؟ فهي لم تستمتع بلحظة واحدة من وقتها هذا الأسبوع، فقد كانت ضجرة وتعيسة وتريد أن تنسى جيب كولينغوود وهذه القضية وكل شيء آخر في حياتها، وأخيراً قالت: «لا بأس، شكراً لك.» كانت تعلم أنه إذا أوصلها إلى بيتها فسيتوقع منها أن تدعوه إلى فنجان قهوة.

وعندما ابتعدا في سيارته عن باربري وارف، مرا بصوفي واطسن بين مجموعة من موظفي المكاتب قاصدين إلى محطة المترو تحت الأرض والتي كانت تبعد مسافة قصيرة.

أخذت فاليري تنظر إلى الشفق منعكساً على صفحة مياه النهر، كانت الأيام تقصر والخريف على الأبواب، اترى صوفي رأت سيارة غاي؟ ورأتها تجلس بجانبه على المقعد الأمامي؟ كانت فاليري ترجو أن يكون هذا ما حدث، لأن صوفي إذا قابلت جيب أثناء هذه العطلة الأسبوعية، فهي من النوع الذي يقول كل شيء، وهي ستخبره عن ذلك بشكل عفوي، خصوصاً إذا لم تكن واثقة من مشاعره نحوها وتريد أن تهدم أي شعور ما يزال يشعر به نحوها هي فاليري.

ولن يخطر ببال صوفي أن فاليري نفسها ربما تريد أن يعلم جيب بذلك، لكي يعرف أنها لم تعد تفكر فيه، وأن بإمكانها أن تخرج مع أي شخص تريد، دون اهتمام بما سيفكر فيه.

سألها غاي وهما يقفان عند إشارة السير الحمراء: «هل ما يزال بالك مشغولاً؟»

فقالت بابتسامة شاحبة: «آسفة.»

«هل انت قلقة بشأن الدعوى القضائية؟»

«ألا تظن أنه ينبغي عليّ ذلك؟»

فهز كتفيه قائلاً: «لا تهتمي كثيراً بما يقوله هنري ساندال، فوظيفته هي أن يكون حذراً ولا يكشف شيئاً، ولكن ليس لك أن تقلقي في الحقيقة، فأنا لا أظن أن السيد ماك كاميرون سيجلب الافلاس إلى شركة كاسبيان الدولية، مهما بلغ طمعه، كما أن انتشار أمر الدعوى لن تؤذينا على الاطلاق، خاصة في هذه القضية، ان لكاميرون شهرة بكونه معشوق النساء، ما سيجعل ادعاءه البراءة مشكوكاً فيه تماماً، ومولي غرين هي هدية الحظ إلى باعة الصور الفوتوغرافية إذ يكفي لمن يشتري صورتها أن يلقي نظرة واحدة على ذلك الوجه البريء الحلو، حتى يرفع صوته طالباً من ماك كاميرون أن لا يظلمها. في هذه القصة عنها ان العدالة بجانبنا بالرغم مما يظنه هنري ساندال إنه يعرف القانون جيداً، ولكنه ليس خبيراً بما تبيعه الصحف، ربما أنت سيذاع اسمك، وتعرض عليك صحف أخرى عروضاً دسمة، وأرجو ان ترفضي ذلك، كما أن سنتنال ستحقق قفزة هائلة في المبيع وسيبلغ من سرور السيد كاسبيان أن يضاعف راتبك.»

فضحكت قائلة: «سيكون ذلك يوماً مشهوداً.»

«ربما يحتوي كلامي هذا بعض المبالغة، ولكنني لا اظنك ستخسرين وظيفتك، خصوصاً إذا نحن ربحنا الدعوى.»

«لا تقل (إذا) بل قل (عندما)... وعلى كل حال، شكراً لك لطمئنتي.»

وقفا بالسيارة امام المبنى الذي يضم شقتها، فابتسمت له، لقد بذل جهده لتحسين نفسيتها، وكانت من الشكر له إلى حد سألته: «هل لك بالدخول لتناول فنجان قهوة؟»

فقال: «هذا إذا وافقت على تناول العشاء معي بعد ذلك.»

فترددت، لقد كان غاي فوكنر مرافقاً حسناً، وكان بالغ اللطف والرقة معها هذا المساء، ولكنها لا تريد علاقة أقوى معه، ورجل واحد في حياتها هو كثير عليها.

فقالت تعتذر: «إنني حقاً متعبة هذا المساء.»

فقال يحاول إقناعها: «ولكن لا بد لك من أن تأكلي، فلماذا لا يكون ذلك معي؟ يمكننا أن نذهب إلى مكان قريب... إلى مكان بسيط وسريع، ولكنه جيد، وبعد ذلك أعيدك إلى هنا حيث تذهبين إلى فراشك باكراً.»

فلم تستطع فاليري منع نفسها من الضحك: «انك تحسن الإقناع إلى درجة هائلة... ويمكنني تصورك بسهولة وأنت في المحكمة تقنع القضاة بحديثك الجميل بأن يدعوا موكلك يفلت بجريمته.»

فسألها: «هل معنى كلامك نعم؟»

تنهدت وهي تومىء بالإيجاب: «نعم، بالرغم مما تدعوني الحكمة إليه، ولكن هذا فقط، اعترافاً بجميلك

لطمأنتي بالنسبة لقضية كاميرون، فهي تؤرقني في الليالي لشدة قلقي على المستقبل.»

صعد غاي معها إلى شقتها لتناول القهوة، ثم انتظرها لتأخذ دوشاً سريعاً ثم تغير ثيابها، قالت له بعد أن سكبت له كوباً من العصير: «ضع أي شريط موسيقي يعجبك في المسجل واستمع إلى الموسيقى.» وبعد أن جففت جسدها سمعت موسيقى الجاز تتجاوب في جو الشقة، وإذا بصوت آخر يتجاوب هو أيضاً، وهو رنين جرس الهاتف.

سألها غاي: «هل أجيب الهاتف عنك؟»

فأجابته من الحمام: «شكراً، قل إنني في الحمام وخذ أي رسالة من المتكلم، قل إنني سأتصل فيما بعد إذا كان الأمر هاماً.»

توقف رنين جرس الهاتف، فارتدت معطف الحمام، وكانت على وشك الخروج من الحمام عندما ناداها غاي: «اظن من الأفضل ان تجيبي على الهاتف، يا فاليري، انه جيب كولينغوود، إنه يقول ان مولي غرين في مستشفى الولادة.»

ركضت فاليري حافية في الممر وأخذت منه السماعة، ثم قالت لاهثة: «آلو؟»

وإذا بجيب يقول بتهكم مليء بالمرارة: «تستحمين بعد ان شبعت حباً مع غاي، أليس كذلك؟»

لم تزعج نفسها بالجواب على قوله هذا، وإنما سألته: «ما هذا الذي تقوله عن أن مولي في مستشفى الولادة؟»

فضحك بجفاء، ثم قال بلهجة عملية: «لقد ابتدأ احساسها بالألم عصر هذا اليوم، ولكنها ظنته عسر هضم، لأن موعد ولادتها هو بعد ستة أسابيع، ولكن الألم لم يتوقف، وإنما

ازداد سوءاً، وهكذا أخذها اقرباؤها إلى أقرب مستشفى ولادة وقد دخلته منذ ساعتين.»

سألته: «من اخبرك بذلك؟ تيقن أولاً من صحة المصدر.»

فأجابها جيب باختصار: «ابنة عمها جانيت.»

«هل اتصلت بك؟ وما الذي جعلها تفعل ذلك؟ ومن أين لها برقم هاتفك؟»

فقال: «انها لم تتصل بي، بل اتصلت بك، الى مكتبك ولكنك لم تكوني هناك، والذي أجاب الهاتف اخبرها بأنك كنت مشغولة في الدائرة القانونية.» ثم بدت السخرية في صوته. «انهم لم يكونوا يمزحون، أليس كذلك؟»

فاحمر وجهها غضباً: «توقف عن هذا المزاح الرخيص من فضلك.»

فقال: «يسرني اعتبارك هذا مزاحاً، فإن حاستي الفكاهية لم تمتد إلى هذا الحد.»

فقالت بصوت اثخنه الغضب: «اسمع، فقط أخبرني كيف انتهى اليك الخبر.»

«الأمر بسيط جداً، لقد تركت جانيت خبراً لك، ثم رقم الهاتف الذي يمكن لك أن تتصلي بها، وقد كتب شخص ما هذا ووضعه على مكتبك، حيث وجدته وقرأته، وأظن ان من كتب لك الورقة كان يظنك ستعودين إلى مكتبك، ولكن يبدو انك ذهبت إلى بيتك مباشرة وبسرعة أليس كذلك؟»

«لا تعد إلى هذا مرة أخرى.»

ساد صمت قصير، ثم عاد يقول: «لم تذكر جانيت سبب اتصالها بك، ولهذا اتصلت أنا بها وعندما قالت إن الطفل في الطريق، وعدتها بأن اتصل بك وآخذك إلى هناك.»

فاتسعت عينا فاليري ذاهلة: «ماذا؟ وما الذي يجعلني أذهب إلى هناك؟»

«ان مولي تجتاز وضعاً صعباً، حسب قول جانيت، فهي تعاني الكثير من الألم وتحتاج مرافقة دائمة، وكذلك الكثير من التطمين والتخفيف.»

فتنهدت فاليري: «يا للطفلة المسكينة، ومع ذلك... فهي لن تكون بحاجة إليّ هناك، فأنا لم اعرفها إلا منذ مدة قصيرة.»

فقال جيب بإيجاز: «انها تحبك وتثق فيك، وإلا لما سكبت قلبها امامك، وما الذي يجعل جانيت تتصل بك سوى هذا؟ لقد فكرت في انك تريدين أن تعرفي، ان تكوني هناك.» وعاد صوته إلى حدته، يلسعها كالسوط. «ماذا جرى؟ هل انت مستمتعة بصحبته إلى حد لا تريدين معه أن تتركيه؟»

فقالت شاعرة بالكراهية بحيث تركته يظن ما يريد: «وماذا لو كنت كذلك؟»

فقال بحدة: «هذا شيء سيىء للغاية، ولكن عملك يجب أن يأتي أولاً، دوماً كان كذلك بالنسبة إليك حتى هذا الحين. لا بأس، انك لا تريدين أن تأتي لأنك تحبين مولي، وتهتمين لما يحدث لها، ولكن عليك ان تذهبي لأن سنتنال يجب ان تكون أول من يكتب هذا الخبر، فهذا الطفل هو طفل سنتنال، وذلك لأمور كثيرة، وسيطلبون منك صوراً، فالأفضل أن ترتبي هذا الأمر مع مصور الصحيفة، كم سيأخذ ارتداؤك ملابسك من وقتك؟»

فقالت وهي تتأوه: «خمس دقائق، ولكن وصولي إلى هناك سيأخذ ساعات، كما إنني متعبة وجائعة بعد عمل يومي شاق، ان آخر شيء أريد القيام به هو قيادة السيارة

طوال ذلك الطريق، خصوصاً أثناء الليل، إنني أكره القيادة أثناء الليل.»

«لا حاجة بك لذلك، فأنا الذي سآخذك في سيارتي، لقد وعدت جانيت بذلك وأنا أنوي ذلك حقاً.»

سرى فيها الحذر، فابتدأت تقول غاضبة: «كلا، لن اذهب معك... ان بإمكاني...»

فأقفل الهاتف في وجهها، وانزلت السماعة هي أيضاً وهي تعض شفتها، ثم التفتت إلى غاي الذي كان واقفاً خلفها بينما الفضول يكسو ملامحه، ولم تستطع أن تتأكد مما إذا كان غاضباً أم هازلاً.

«أنا آسفة يا غاي، ولكن...»

فسألها بجفاء: «انك ستذهبين بسيارتك إلى ذلك المستشفى، أعلم ذلك، هل أفهم من ذلك ان كولينغوود يريد أن يأخذك بنفسه إلى هناك؟»

فقالت له غاضبة: «يمكنني ان أذهب بنفسي.»

فتمتم يقول: «سيسرني ان آخذك بنفسي.»

«لا ينبغي لي أن أحلم بذلك...»

فأسكتها بقوله: «أنا أريد ذلك، يا فاليري.» كان صوته هادئاً حاسماً، فعضت شفتها وهي تنظر بعيداً وقد ازداد احمرار وجهها.

«هذا لطف كبير منك... انني شاكرة لك حقاً... ولكن...» وسكتت وهي تلقي عليه نظرة عاجزة متوترة، فارتسمت على وجهه ابتسامة ملتوية: «فهمت. كانت لديّ فكرة بأن جيب يلاحقك وانك لا تريدينه ولكنك لا تعرفين كيف تجعلينه يتأكد من هذا، ولكن من الواضح انني مخطىء في ذلك.»

فتحت فاليري فمها لتخبره بأنه لم يكن مخطئاً، وان هذا هو الوضع بالضبط، ولكن لأمر ما، لم تخرج هذه الكلمات من فمها، وبهدوء قال غاي يهدىء من الموقف: «الأفضل ان تذهبي وترتدي ثيابك، بينما أخرج أنا، وأرجو ان يسير الأمر مع مولي على ما يرام، ولا شك ان سنتنال تريد أن تكون أول من تخبر الناس بولادة الطفل، ان قراءنا يتابعون القصة، وعندما تكونين هناك، اجعليهم يقومون بفحص دم الطفل، سنكون بحاجة إلى ذلك إذا لم تنتهي هذه القضية خارج المحكمة.»

سار نحو الباب، فسارت معه فاليري من باب المجاملة.

قالت له بصوت مبحوح: «أنا آسفة.» فأومأ هو وقد لوى شفتيه متمتماً: «يخسر المرء شيئاً، ويربح شيئاً آخر.»

وبعد لحظة كان قد خرج وأغلقت هي الباب خلفه وهي ترتجف، لم تكد تعرف غاي، ولكنها شعرت بانزعاج بالغ وكأنما ثمة باباً كان انفتح لها لتوه، ينغلق فجأة، وإلى الأبد، ولكن لم يكن لديها وقت للتأمل والتساؤل عن غاي فوكنر، فركضت إلى غرفتها وأخذت ترتدي ثيابها بسرعة، ارتدت بنطلون جينز أزرق اللون وقميصاً دون أكمام وفوقه كنزة زرقاء، كانت الرحلة إلى ديفون طويلة، وقد يصبح الجو بالغ البرودة.

أمضت خمس دقائق تجهز حقيبة صغيرة لليلة واحدة، لأنها لن تعود إلى لندن قبل الغد، وقد تبقى طوال العطلة الأسبوعية، وهذا يعتمد على حالة مولي.

دق جرس الباب ما جعل قلبها يخفق بعنف، انه هنا، فاختطفت حقيبتها ثم اتجهت نحو الباب. «انك ارتديت ثيابك

بسرعة، أين فوكنر؟» ألقى عليها جيب هذا السؤال ببرودة وهو يتأملها بعينين ضيقتين.

خرجت وأقفلت الباب خلفها: «ذهب إلى بيته، كما اظن، وأنا بإمكاني ان اذهب بنفسي دون الحاجة إليك.»

«آه، أحقاً؟»

فقالت غاضبة: «خصوصاً إذا كنت ستنتهرني طوال الطريق.»

تركته وسارت ولكنه اندفع خلفها يمسك بها. «ان سيارتي في الخارج.»

فقالت وهي تحاول الافلات منه: «ان سيارتي في الكاراج.» ولكنه لم يفلتها، وجرها إلى خارج المبنى، قائلاً: «بل سآخذك في سيارتي.» واثناء ذلك كانت إحدى جاراتها تعود إلى بيتها، فتكلفت فاليري الابتسام رغم وجهها المحمّر: «مساء الخير يا سيدة بريدج.»

«مساء الخير، أصبح الجو بارداً، أليس كذلك؟ أظن علينا أن نتوقع ذلك، فقد انتهى فصل الصيف في الواقع.» قالت المرأة ذلك وهي تلقي على جيب نظرة إعجاب من امرأة ابتدأت تكبر في السن ولكنها ما زالت تعجب بالرجل الوسيم.

فقال جيب باسماً: «نعم، وليس لك ان تقفي هنا لئلا تصابي ببرد، هيا بنا، يا فاليري، ان امامنا رحلة طويلة.»

سألتهما السيدة بريدج وهي تنظر إلى الحقيبة في يد فاليري: «هل انتما ذاهبان إلى مكان جميل؟»

فقالت فاليري وهي تترك حقيبتها لجيب الذي وضعها في مقعد سيارته الخلفي: «كلا، وإنما للعمل فقط.» ولكنها وهما يبتعدان بالسيارة، رأت السيدة بريدج تراقبهما من نافذة شقتها في الطابق الأرضي.

قال جيب ساخراً وهو يضحك: «انها تظن أننا ذاهبان لقضاء عطلة أسبوعية جميلة.»

فحملقت فيه قائلة: «هذا ليس مضحكاً، فأنا لا أريد أن تسوء سمعتي.»

فقال بلؤم: «وما هو نوع سمعتك الآن؟ انني واثق من أنها رأت فوكنر رائحاً غادياً.»

فابتدأت تقول: «كانت هذه هي المرة الأولى...» ثم سكتت وهي تعض شفتها. «آه، ولماذا عليّ أن أهتم فليس لك الحق في أن تلقي عليّ محاضرة... على الأخص أنت.»

فالتفت ينظر إليها بحدة: «ما معنى ذلك؟»

كانت السيارة حول منعطف حاد، فانحرفت بهما إلى وسط الطريق، موشكة على صدم سيارة أخرى كانت قادمة من الإتجاه المعاكس.

فقالت فاليري والخوف يتملكها: «انتبه إلى الطريق.» بينما أخذ السائق الآخر ينفخ في بوقه، أما جيب فقد تراجع بسيارته إلى خط السير القديم.

سارا فترة وقد ران عليهما الصمت، ثم خطرت ببال فاليري فكرة فقالت وقد اتسعت عيناها: «كان علينا أن نتصل بماك كاميرون.»

فأطلق ضحكة قصيرة: «انك تمزحين، فإذا كان ينكر أبوته للطفل، فلن يريد أن يعلم بولادته.»

لم تستطع أن تنكر ذلك، فتنهدت قائلة: «اظنك على حق، هذا محزن جداً، ويا ليتني أعرف الحقيقة، ان الأمر محيّر جداً، فجينا تقول انه صادق، فهي لا تستطيع ان تتصوره كاذباً بالنسبة لأبوته، فقد كان مستاءً حقيقة من مولي،

وكأنما سببت له كثيراً من الألم باتهامها له، ولكنني أيضاً أحب مولي كثيراً، ولا استطيع أن أصدق أنها كاذبة.»

«لا بد أن احدهما كاذب.»

فقالت بجفاء: «نعم، ولكن مهما كان الأمر، فالذنب ليس ذنب الطفل، يا للمخلوق المسكين والذي ولد في خضم حرب لا يعلم عنها شيئاً.» ونظرت إلى ساعتها، كانت الثامنة تقريباً. «قد تكون انتهت الآن، متى تظننا سنكون هناك؟»

ليس قبل الحادية عشرة بكثير، ولكن تبعاً لما قالته ابنة عم مولي، لا يتوقعون أن تلد قبل منتصف الليل، هل تناولت شيئاً هذه الليلة؟»

«كلا، كنا ذاهبين لتونا لتناول العشاء.»

فقال بحدة: «ان الحب يمنح الشهية، أليس كذلك؟»

فنظرت إليه غاضبة: «لا يوجد حب بيني وبينه، ولا تبدأ بمثل هذا الكلام مرة أخرى، فأنا لم أرافقك كل هذا الطريق إلى ديفون لكي أتحمل وخزاتك طوال الوقت.»

«ربما هذا لأنني جائع، إننا سنتوقف في الطريق لنتناول شيئاً، وسيكون علينا ان نأكل بسرعة إذ لا وقت لدينا لوجبة طويلة.»

تحولا عن الطريق العام بعد ذلك بنصف ساعة إلى حيث وجدا مطعماً هندياً في ضاحية مدينة صغيرة.

قال لهما النادل الودود انهما الزبونان الوحيدان في المطعم، وأن الناس يأتون عادة بعد ذلك الوقت، بعد أن تقفل المقاهي أو يشاهدوا فيلماً سينمائياً، ثم اضاف قائلاً، وهو ينظر إليهما مشجعاً وكأنه يظنهما حبيبين: «وهكذا، المكان هادىء بالنسبة إليكما.» ثم وضع أغنية حب هندية

قبل أن يعود إلى المطبخ ليساعد الطاهي الذي كان يجهز طعامهما.

أخذت فاليري تنظر حولها، كان للمطعم ستائر مخملية داكنة الزرقة معلقة على النوافذ، كانت على الجدران شبكة خشبية مسمّرة فوق ورق الجدران المطبوع عليه اوراق شجر خضراء، كما كان السقف مصبوغاً باللون الأزرق الداكن، ترصعه نجوم فضية بينهما هلال فضي.

قالت: «يا له من ديكور غريب محير.»

فرفع جيب بصره وضحك: «في منتهى الشاعرية.» ثم سكت برهة وعاد يقول: «لقد وصل بي الأمر إلى النهاية، يا فاليري ولم أعد استطيع الاحتمال.»

كادت أنفاسها أن تتوقف، وتصاعدت خفقات قلبها، بينما كان يتمتم قائلاً: «لقد ظننت حقاً أنك تهتمين بي، وأنك أخيراً، أصبح لديك مثل شعوري. وإذا بك تخرجين مع غاي فوكنر، لماذا؟» وبدت الخشونة والمرارة في صوته وهو يرفع رأسه ويلقي عليها نظرة عنيفة. «هل يلذ لك تعذيبي؟»

«أنا لست من هذا النوع.»

«أحقاً؟ ولكنك منذ شهور تتركينني معلقاً... فلا أنت تقولين نعم، ولا تقولين كلا...»

«هذا غير صحيح، فقد سبق وقلت لك إنني لا اخرج أبداً مع رجال متزوجين.»

«وأنا اخبرتك بأن زواجي انتهى منذ سنوات، وأنني كنت فقط في انتظار إتمام الطلاق.»

«وأثناء انتظارك ذاك، خرجت مع نصف فتيات الشركة.»

«نعم، كنت أخرج مع الفتيات، ولكن ذلك لم يكن يعدو

نزهات عادية... إلى العشاء أو السينما، أو إلى حفلات الموظفين، كانت مجرد صداقات عادية... فقد كن يعرفن النهاية وكذلك أنا، ففي نهاية كل سهرة كنت أوصلهن إلى باب البيت ثم أقول لهن تصبحن على خير عند العتبة، وينتهي كل شيء بيننا.»

«وماذا بالنسبة إلى صوفي؟»

فأجاب: «صوفي؟ أتعنين صوفي واطسن؟ ماذا بالنسبة إليها؟»

فقالت بغضب: «لقد رأيتكما معاً.» وشعرت بألم كطعنة خنجر، من الغيرة. «رأيتها كيف كانت تنظر اليك، وأنا أعلم انها لا تحب رؤيتي... انني لست حمقاء، وأنت تعلم هذا.»

أخذ جيب يحدق في عينيها الكبيرتين اللامعتين، بعينين حادتين يلمع فيهما شيء أشبه بالإنتصار: «لا أدري ما الذي تتحدثين عنه، ولكن اذا كنت تتصورين أن لي علاقة مع صوفي واطسن، فأنت مجنونة، هل تعترفين بذلك أنك تغارين منها يا فاليري؟»

وسكت عندما جاء النادل يحمل صينية مثقلة بطلباتهما، اتكأ جيب إلى الخلف وهو يلهث وكأنه ركض شوطاً طويلاً.

وضع النادل أطباق الطعام على المائدة، ثم عاد أدراجه بلباقة إذ أنه بدون شك، أحس بالجو المتوتر الذي يكتنفهما، ولكن لباقته هذه ذهبت سدى على كل حال، إذ بعد خمس دقائق وصلت مجموعة من الزبائن فعاد النادل وامتلأت القاعة بالجلبة والأصوات والضحكات.

تناول جيب وفاليري طعامهما دون أن ينطقا بكلمة ولا يكاد احدهما ينظر إلى الآخر، ثم تناولا القهوة وخرجا ولم

تتجاوز فترة عشائهما الساعة، بدلاً من ان يعودا إلى الطريق العام، أوقف جيب السيارة تحت اشجار الجميز هناك والتي كانت أوراقها تتناثر مع كل هبة ريح.

همست تسأله وقلبها يخفق عالياً حتى لم تعد تسمع معه صوتها: «لماذا توقفت هنا؟»

فالتفت إليها بعينين ملتهبتين وقد مد ذراعه على مسند كرسيها، ثم قال برقة: «لأول مرة منذ زمن طويل، أجلس معك وحدنا، ولن يزعجنا أحد هذه المرة والآن أريد منك الكلمة النهائية والصادقة، يا فاليري، إذا كنت تغارين من صوفي، فهذا يعني شيئاً...»

فاحمر وجهها: «أنا لم أقل أنني أغار.»

فتجاهل إنكارها. «والشيء الوحيد الذي يمكن أن يعنيه فهو أنك تحبينني، سواء اعترفت بهذا أم انكرته، هل خرجت مع غاي فوكنر فقط لأنك ظننتني أخرج مع صوفي؟»

حولت عينيها عنه، فضحك بصوت خافت: «انك مجنونة، كم من المرات عليّ ان أخبرك إنني أحبك، وأنني أريد الزواج منك.»

فصرخت تقول بصوت معذب: «ولكن إلى متى سيدوم ذلك الزواج؟ لقد كنت متزوجاً من قبل، ولكن زواجك لم يستمر طويلاً، أليس كذلك؟ آه، إنني أعلم انك تقول ان زواجك كان غلطة لأنك تزوجت صغير السن وأنك الآن اكبر سناً واكثر حكمة ولن تقترف تلك الغلطة مرة أخرى، ولكن ما يدريني انك لن تتركني، أنا أيضاً؟ لقد ترك أبي أمي فدمّر بذلك حياتنا، فأنا لا أريد أن أسبب ذلك لولد من أولادي، انني أريد أن يكون لي أولاد، ولكنني أريد أن اكون واثقة من أن

بإمكاني أن أقدم إليهم بيتاً مستقراً والدين محبين... لا أن أراهم يعانون ما عانيته أنا، ان الطلاق هو شيء كالزلزال، إذ تنشق الأرض التي تقف فوقها فجأة فلا يمكنك القفز عبر الهاوية التي يحدثها ذلك... فتبقى ملتصقاً بجانب واحد، مع أحد والديك، بينما يتركك الآخر نهائياً، وبعد ذلك لا تعود الحياة كما كانت أبداً، لقد نشأت لا أثق بالرجال ولا أثق بمشاعري، لا أريد أن احب أحداً خوفاً من أن لا يدوم حبه لي، ما يسبب لي الأحزان.»

أخذ جيب يحدق في عينيها: «إننا جميعاً نتملكنا الأحزان، يا فاليري سواء عاجلاً أم آجلاً فإذا أنت رفضتني فسيؤلمني ذلك بشكل لا استطيع احتماله فالحياة لا ضمان لها، فالزلزال هو حدث طبيعي، وشركات التأمين لا تقبل التأمين عليه، وكذلك الانسان لا يستطيع ان يضمن نفسه ضد الأحزان، ان بإمكاني فقط أن اقول على الدوام إنني احبك وقد أحببتك منذ زمن طويل، وقد حاولت أنت ان تمنعيني من حبك، ولكنك لم تنجحي في ذلك، انني أعتقد ان بإمكاننا أن نسعد معاً هذا إذا اعطيتني فرصة أثبت لك فيها ذلك.»

نظرت إلى ملامح وجهه القوية، ثم قالت بصوت مرتجف: «انني أريد ذلك، يا جيب، ولكن...»

فتنفس بعنف: «آه... يا فاليري، كونك تريدين ذلك يكفي، فلا تكوني جبانة... اخبريني بأنك تحبينني، أريد أن اسمعك تقولين ذلك.»

غاصت عيناه في أعماق عينيها، تمنحانها الشجاعة لتهمس بما أدركته لتوها: «احبك.» وشعرت بجفاف في حلقها للرعب الذي شعرت به وهي تعترف بذلك، ولكنها بعد

أن قالت هذه الكلمة لم يصل العالم إلى نهايته، وبالتالي لم تندم لقولها، ولكنه أخذ ينظر إليها بمشاعر غامرة جعلتها توشك على الإغماء، وعادت تقول بصوت أقوى: «أنا أحبك... حبيبي آه يا حبيبي...» وكانت المشاعر تحترق في كيانها.

أغمض هو عينيه، فشعرت برجفة تسري في كيانه وهو يقول: «لا أستطيع ان اصدق انك قلت هذه الكلمة، انها الحقيقة، أليس كذلك، يا فاليري؟» كان وجهها متوهجاً وكان يرتجف لفيض المشاعر، وفقد الاثنان كل حس بالمكان ومرور الوقت إلى ان مرت سيارة بجانبهما موجهة أنوارها إلى داخل سيارة جيب ما جعلهما يجفلان.

أخذ جيب يشتم، بينما أخذت فاليري ترتجف، ثم قال جيب بصوت أجش: «والآن... كانت هذه المفاجأة أشبه بزلزال، وأنا محظوظ إذ بقيت حياً.»

فضحكت قائلة: «وأنا أيضاً.»

فارتسمت على شفتيه ابتسامة ملتوية، وقد بانت الرقة في عينيه: «حسناً، اكره أن اقول هذا، ولكن رغم أنني أتمنى لو بقيت معك طوال الليل، إلا ان من الأفضل أن نعاود السير إذا كنا نريد أن نصل إلى المستشفى قبل أن تنجب مولي.»

«آه، لقد نسيت مولي.» هتفت بذلك وهي تشهق فزعة ما جعله يضحك وهو يتحرك بالسيارة.

وصلا إلى المستشفى قبل منتصف الليل مباشرة، فوجدا ابنة عم مولي وزوجها نصف نائمين في غرفة الانتظار، فجلسا وهما يتثاءبان وقد احمر وجهاهما.

قالت جانيت: «آه، مرحباً، ها قد جئت أخيراً، قال والد

مولي انك لن تستطيعي القدوم في هذه الرحلة الطويلة، وأنه ما كان لي ان اتصل بك.»

فسألتهما فاليري بلهفة: «كيف حالها؟ هل وانجبت؟»

هزا رأسيهما: «كلا، ان والديها معها وقد أخرجتنا الدكتورة حين دخولهما، فهم لا يريدون كثيراً من الناس في الغرفة، ان الولادة لا تسير سيراً طبيعياً، وأظن أنهم سيجرون لها عملية قيصرية.»

«آه، كلا... يا للمسكينة.» وكان الإرهاق يبدو على جانيت وآندي، وتساءلت فاليري كيف إذن سيكون منظر مولي. «منذ متى هي بالمخاض؟»

وقبل أن تجيب جانيت على هذا السؤال، انفتح الباب فالتفتوا جميعاً، كان والد مولي يدخل إلى الغرفة، والابتسامة تضيىء وجهه.

هتفت جانيت: «هل انجبت؟»

فنظر اليها ذاهلاً: «نعم، انها بنت ضئيلة الحجم، وقد وضعاها في الحاضنة، ولكنهم قالوا إن قلبها قوي، وهي ستصبح على مايرام.» ثم جلس على أقرب كرسي وهو يمر بيده على شعره: «إنني متعب للغاية، ولا أدري كيف تحتملن هذه الأمور، انتن النساء، لا أريد أبداً ان اعاني مرة أخرى ما عانيته الليلة.»

سألته فاليري: «كيف حال مولي؟» فنظر إليها بجمود وكأنه لم يلحظ وجودها من قبل: «لقد اعطوها إبرة، وهي نائمة، لقد ذهبت زوجتي إلى غرفة الملابس لكي تستطيع أن تبكي على انفراد، إنني أشعر بالرغبة في مشاركتها ذلك.»

فضحكت جانيت: «انك بحاجة إلى فنجان من الشاي الثقيل الحلو.»

وبينما أخذ يرشف الشاي، همست فاليري لجانيت: «لا اظن أحداً اتصل بماك كاميرون يخبره بالأمر.»

سمع السيد غرين السؤال بالرغم من تخفيضها لصوتها، فالتفت يحملق فيها: «كلا، لم نتصل، كما اننا لا نريده هنا، وإذا جاء سأقتله.»

عذرته فاليري لغضبه هذا، ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في عيني مولي الحزينتين، والطفلة الصغيرة التي جاءت لتوها إلى هذا العالم، ولكن هل ماك كاميرون والدها حقاً؟ وتنهدت، وكان جيب يراقبها، فقال لها: «انك متعبة وبحاجة إلى الراحة، تعالي.» والتفت إلى الموجودين. «إذا كانت مولي نائمة، فلن يمكننا رؤيتها الآن، إننا سنبحث عن فندق ونحجز غرفة لهذه الليلة ونعود غداً.»

فقالت له جانيت: «لن تجد فندقاً يقبل بك هذه الساعة، تعاليا معنا إلى المزرعة.»

فقالت فاليري مترددة: «هل أنت واثقة؟» قد يكون صحيحاً أنهما لن يجدا غرفة في أي فندق في مثل هذه الساعة، ولكنها كرهت أن تثقل على هؤلاء الناس، فأصرت جانيت قائلة: «طبعاً، فلدينا أماكن كثيرة، إننا خارجون الآن ويمكنكما أن تلحقا بنا بسيارتكما إلى المزرعة.»

خرج جيب وفاليري بعد ذلك بدقائق في هذا الليل الخريفي البارد، وكانت السماء صحواً والنجوم تتألق كحبيبات الماس المنثور، فرفعت فاليري عينيها إليها وارتجفت فسألها جيب: «ماذا؟»

«إنني أشعر بأسى بالغ لأجل مولي وطفلتها.»

«ان لمولي والدين محبين وأصدقاء يهتمون بهما، فلا حاجة بك للقلق عليها.»

«ان المستقبل غامض جداً بالنسبة لها وكذلك لطفلتها، ماذا لو خسرنا هذه القضية؟ ان مولي لن تحصل على نفقة من ماك كاميرون، وسيكون عليها أن تربي ابنتها دون مساعدة من أحد.»

«سنعبر الجسر عندما نصل إليه، كما يقول المثل، فكفى قلقاً على ما يمكن أن يكون... وركزي أفكارك على مستقبلنا، انك تدللت وجعلت نفسك صعبة المنال وذلك لمدة طويلة، ولكنني حصلت عليك الآن، وسأكرس حياتي لإسعادك.. وسترين.»

تمت